

البعث الشيعي في سورية

2007-1919

تم هذا البحث برعاية



IISS

المعهد الدولي للدراسات السورية

معهد بحثي مستقل وغير ربحي متخصص بالدراسات السورية



الفهرس



مقدمة

"سنهزم أمريكا وإسرائيل في لبنان!"
(خامنئي، تموز 2006)

مع بروز مفهوم الهلال الشيعي الذي يمتد من إيران إلى جنوب لبنان بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وبجوار جملة من النشاطات المتزايدة للمبشرين الشيعة في سورية والمؤسسات المتكاثرة التي أثارت السكان المحليين، أخذ موضوع النشاط الشيعي التبشري في سورية يحظى باهتمام محلي وإقليمي ودولي، وأصبح أحد الموضوعات التي تجتذب اهتمام الصحافة العربية والعالمية، ذلك أن خطورة التبشير الشيعي ليس من كونه نشاطاً دينياً صرفاً، بل في كونه جزءاً من فعل سياسي يتعلق بتغييرات القوى التي أصابت المنطقة، والتطورات التي لحقت بالمحور السوري الإيراني فحولته إلى محور استراتيجي بالنسبة إلى دمشق خصوصاً في ظل التهديدات الجدية التي تعصف بنظام الأسد بعد مقتل رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري.

وفي بلد مثل سورية يمتلك موقعاً جغرافياً سياسياً بالغ الأهمية في الشرق الأوسط ـــ إذ يقع تماماً في نقطة تقاطع القارات الثلاث (آسيا، وأوربا، وأفريقيا)، ولديه حدود مع خمسة بلدان ذات أهمية سياسية في الشرق الأوسط (فلسطين، لبنان، العراق، الأردن، تركيا) ويطل على شرق البحر المتوسط ـــ فإن التأثير في استقراره أو السيطرة عليه تمثل خطراً كبيراً على منطقة حيوية وحساسة جداً بالنسبة للمجتمع الدولي، وبالتالي فالحديث عن المخاوف من النفوذ الإيراني هو أمر طبيعي تماماً.

ومن الناحية الدينية فإن سورية (عاصمة الدولة الأموية تاريخياً) تحتل موقعاً بالغ الحساسية ومكانة دينية مهمة لدى المسلمين السنة والطائفة الشيعة في الوقت ذاته، ففي حين يعتبرها السنة معقل الإسلام وحصنه المنيع، ويعتقدون ـــ انطلاقاً من نصوص دينية ـــ أنها آخر قلاع الإسلام (السني) إذا ضاقت بلاد المسلمين على أهلها[1]، فإن الشيعة يعتبرونه ـــ في المقابل ـــ البلد الذي بدأ فيه اضهاد الشيعة منذ ظهورهم كطائفة دينية منشقة بعد قرابة ثلاثين سنة من وفاة النبي محمد (ص)، ومن جهة

---

[1] ثمة نصوص نبوية شريفة كثيرة تشير إلى هذه الأهمية الاستثنائية للشام وتذكر عادة في هذا السياق، أهمها: "ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام"، و"وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ"، و"إنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ".

أخرى يعتقد معظم السنة أن الشام ستشهد ظهور "المهدي"، فيما يعتقد الشيعة أنها البلاد التي ستناهض "المهدي المنتظر"!

وفي بلد يكاد ينعدم فيها الوجود الشيعي الاثني عشري ديمغرافياً حتى وقت قريب[2]، فإن فهم الظاهرة الشيعية المتزايدة ودراسة مخاطرها على المنطقة أمر يكتسب أهمية حقيقية إذا أُخذت بعين الاعتبار جملة المعلومات المتدفقة حول هذه الظاهرة وإطارها السياسي في السنوات الثلاث الأخيرة.

والواقع أن تفسير قضية النشاط التبشيري الشيعي المتزايد في سورية لا يمكن فهمه بشكل جيد بمعزل عن الأسس السياسية التي حكمت العلاقة بين المجال الديني والفضاء العام في نظام الأسد الأب والأسد الابن، ذلك أن هذه القضية تتعلق أساساً بهذين العهدين بشكل خاص. فقد تميزت شريحة رجال الدين والمؤسسات الدينية باستقلالها الواضح خلال الحقبة الممتدة بين 1919 – 1963، وبتأثيرها في المجال السياسي بشكل مباشر، وعلى الرغم من التأثير الكبير للخطوة التي وجهها الرئيس حسني الزعيم عام 1949 بإلغاء مؤسسة الوقف التي كانت تمنح الطبقة الدينية ومؤسساتها الاستقلال الاقتصادي، فإن رجال الدين والمؤسسة الدينية بقيت مستقلة وذات نفوذ واسع في المجال العام.

وأدى انقلاب البعث 8 آذار/مارس 1963 إلى دخول الدولة الوطنية في نموذج الدولة الأمنية، الوجه الآخر لجمهورية "الشرعية الثورية"، وفي دولة كهذه ــ حيث تصبح خيوط القيادة ممركزة بيد "قائد المسيرة" و"المجلس الثوري" ــ يصبح وجود أي قوى على الأرض "فاقداً" للشرعية بشكل تلقائي، ولتثبيت أركان جمهورية الشرعية الثورية (وفق منطق الشرعية الثورية) لابد من تطهير الجمهورية من القوى المناهضة للثورة، وبالتالي يجب القيام بمواجهة شاملة لكل القوى، وعلى وجه الخصوص المؤسسة الدينية "الرجعية".

في هذا العهد ــ وفيما يخص المجال الديني ــ بدأ التحول نحو ما يمكن تسميته بــ"صراع التطويع" مع المؤسسة الدينية (وبموازاتها سائر القوى السياسية) وطبقة رجال الدين، لإجبار جميع القوى على الخضوع والامتثال لقائد المسيرة، القائد الواحد الأحد في دولة الحزب الواحد والرأي الواحد. وخلال ثمان سنوات لم يستطع انقلابيو البعث تطويع المؤسسة الدينية ورجال الدين بشكل

---

[2] "بضعة عشرات من الألوف من الشيعة الاثني عشرية" هم كل الشيعة الاثني عشرية من السكان الأصليين، وعادة "لا يلتفت إليهم كمجموعة منفردة في بيانات الإحصاءات السكانية السورية".

ليفريت، فلاينت، **وراثة سورية: اختبار بشار بالنار**، تر: عماد فوزي الشعيبي، (الطبعة الإنكليزية) مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط في معهد بروكيتز، نيو يورك، (الطبعة العربية) الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2005، ص26.



كامل، وأدت التوترات الطائفية التي سببتها عملية تطييف (التحول إلى استئثار طائفي) الجيش والحزب إلى ازدياد نفوذ رجال الدين وتقوية دورهم كمعارضة متزادة ضد جمهورية البعث الثورية.

لم يخرج الأسد ـــ بعد انقلابه في 16 تشرين الأول/أكتوبر 1970 عن نموذج جمهورية البعث، لكنه قام بمأسسة موقع الرئيس بشكل رسمي كموقع وحيد للقرار انطلاقاً من تعديل الدستور 1973، ليجمع كل مراكز القوة بيده بدءاً من تعيينه الأمين العام لحزب البعث بعد أن جُعل حزب البعث القائد للدولة والمجتمع دستورياً، مروراً بجعل الرئيس هو القائد العام للجيش والقوات المسلحة، وصولاً إلى إسناد تشكيل الحكومة إلى الرئيس مباشرة. لكن الأسد ما كان قادراً على تطويع المؤسسة الدينية وطبقة رجال الدين التي تعاظمت قوتها وبرزت بوصفها قوة متحدية في أزمة الاستفتاء على الدستور، حين اعترضوا على الدستور لخلو مواده من ذكر بعض القضايا التي تهمهم وتعتبر حساسة بالنسبة لهم، مثل تحديد دين رئيس الدولة، أو دين الدولة.

كان الصراع مع المؤسسات الدينية وطبقة رجال الدين يتصاعد بجوار عملية تطييف واسعة أكمل فيها الأسد مسيرة التطييف لدولة البعث منذ 1963 وقام بتعديتها إلى تطييف أجهزة الأمن ومراكز القرار، إلى أن حدث الانفجار الكبير في الفترة 1978-1982.

بانتهاء أحداث الثمانينيات أكمل الأسد إضعاف جميع مؤسسات المجتمع المدني (بما فيها المؤسسة الدينية) وإقصائها عن الفعل العام، وبشكل خاص استطاع حسم الصراع مع المؤسسة الدينية ورجال الدين وإنهائه بشكل كامل، ليستتب له ما كان قد أنجزه دستورياً من إقصاء كل مؤسسات المجتمع المدني عن التأثير في المجال السياسي، وحتى يستطيع استتباعها وتطويعها والسيطرة عليها فقد اتبع سياسة الموافقات الأمنية المسبقة والمراقبة الأمنية لكل نشاطات مؤسساتها ونشطائها، وبذلك استطاع تحقيق أقصى ما يمكن من الضبط الاجتماعي.

وعبر سنوات ما بعد أحداث الثمانينيات من حكم الأسد الأب حرص الرئيس على ضبط شراكة المؤسسة الدينية مع المؤسسة السياسية في التأثير في المجال العام الذي أصبح محدوداً باستراتيجية الاستئناس، القائمة على المنفعة المتبادلة، فالأسد القادم عبر انقلاب عسكري (وليس انتخاب ديمقراطي حقيقي) عانى من معضلة الشرعية بدءاً من أزمة الدستور وحتى أحداث الثمانينات، ثم هو بحاجة للمؤسسة الدينية لتحسين صورته التي انثلمت بعد أحداث العنف الوحشي الذي مارسته أجهزته بحق الإسلاميين، لقد كان الأسد يريد الالتفاف على المؤسسة الدينية لتكون جزءاً من قوته بدلاً من أن تكون قوة مواجهة له.

كان الأسد يعرف أن القوة التي يتمتع بها رجال الدين تأتي من خلال إيمان الناس بهم، واعتقاداتهم الدينية، ولمعرفة الأسد أنه ليس بمقدور أحد مواجهة الحقيقة الاجتماعية الإنسانية المتمثلة في الدين، فقد قرر اتباع استراتيجية الاستئناس المبنية على نقطتين، أولاها أن لا تكون المؤسسة قادرة على اتخاذ قرار مستقل فيما يخص النشاط العام، وذلك بإخضاعها في كل صغيرة وكبيرة لنظام الموافقات الأمنية والمراقبة المشددة. وثانيها ضبط النشاط الخاص بها ومنعها من القيام بنشاطات مستقلة من خلال خضوعها للقرارات الإدارية المصممة بعناية في "مؤسسة الرئاسة" (ممثلة في نائب الرئيس لشؤون التربية والتعليم) وأن يكون محكوماً بالخطوط الحمراء المحرمة على جميع السوريين، التي تشرح معنى عدم الاقتراب بأي شكل من الأشكال من المجال السياسي.

ولتحقيق هذه الاستراتيجية فقد كان لابد من مقايضة المؤسسة الدينية ورجال الدين بشيء يفرغ رغبتهم المكبوتة بمقاومة النظام والتمرد عليه، ويحفزهم على الاستجابة لشروط اللعبة الجديدة، بالسماح لها بالنشاط العام، لكن هذا السماح سيكون مشروطاً دوماً بـــ: إثبات ولائها ودعمها للنظام، وبإضفاء وتثبيت شرعية النظام كلما احتاج الأمر، فقد كان الأمر أشبه بمبدأ الترغيب والترهيب الديني، لكن هنا يسبق الترهيبُ الترغيبَ.

على أساس هذه الاستراتيجية تعامل الأسد الأب بكثير من الحذر مع النشاط التبشيري الشيعي، فمن جهة لا يرغب الأسد إطلاقاً باستفزاز المؤسسة الدينية السنية ورجالات الدين؛ إذ خَبِر الأسد مرارة المواجهة الدينية لنظامه، ومن جهة أخرى كان يريد للمؤسسة الدينية أن تبقى في الخط المرسوم لها وضمن إطار حفاظها على استقرار النظام بالطريقة التي رسمها لها.

توفي الأسد الأب وخلَّف ورائه مؤسسة دينية منضبطة بإيقاع النظام الذي رسخ قواعده بنفسه، وخلف رجال دين زاهدين بالمجال العام، أو منخرطين فيه وفق شروط الاستئناس الصارمة، وعندما ورث نجله بشار السلطة عام 2000، أغراه هذا الضبط الفائق للمؤسسة الدينية السنية، فلم ينلها اهتمامه الإصلاحي، وعلى العكس فقد تعامل معها لا على أنها مؤسسة مستأنسة ومروَّضة حسب قاعدة الترهيب والترغيب، بل بوصفها مؤسسة ملحقة بالنظام يستخدمها لأغراضه ولا يمنحها مقابل، عليه الأمر وعليها الطاعة، كان هذا بمثابة تحول استراتيجي في التعامل مع المؤسسة الدينية.

على سبيل المثال فإن اختيار شخصية براغماتية فاقدة للشعبية لمنصب مفتي الجمهورية (الشيخ الواعظ أحمد حسون) بغض النظر عن اعتراض علماء الدين ورأيهم القادح فيه وفي علمه كان على أساس النظر إلى مؤسسة الافتاء بوصفها مؤسسة تابعة للنظام، وليست مؤسسة أهلية تنتظم إدارياً في سلك حكومي، إن قوة المفتي هي في كونه يمتلك مصداقية لدى مواطنيه، غير أن الأسد الابن ضحَّى

بأهم صفة للمفتي وهي مصداقيته الدينية والشعبية (ثقة الناس به كمرجع ديني) فقط لمعيار ولائه غير المحدود للنظام وتوافقه الشخصي مع الأسد.

في الواقع إن هذا التحول الاستراتيجي ليس ناجماً عن تخطيط مسبق، بل إن المنطق الأمني الشامل الذي يحكم التفكير السياسي لبشار الأسد ــ كما تشير جملة الأحداث السياسية خلال سنوات عهده السبع ــ هو الذي أفضى إلى هذا التحول، فبشار لا يمتلك رؤى استراتيجية مخططة خاصة به، بقدر ما يمتلك مواقف استراتيجية وحسب.

لقد أدى هذا التحول الاستراتيجي إلى إهمال مطالب رجال الدين بل والتصادم معهم في بعض الأحيان، كما في موضوع قانون التعليم الشرعي الذي لم يأخذ بحسابه موقف رجال الدين والمؤسسة الدينية، فاضطر علماء الدين السوريون إلى أن يصدروا بيانهم في تموز/ يوليو 2006 وفيهم من هو محسوب على النظام! لا ريب أن البيان وموقف علماء الدين أثار دهشة الرئيس الشاب، إذ كان يتوقع من المؤسسة المستأنسة طاعة مطلقة، كما لو أنها أي مؤسسة من مؤسسات الدولة، وكيف يتجرأ رجال الدين على مواجهة قرارات حكومية ويتجهوا للرئيس؟ لا شك أن الرئيس أحس بشكل واضح أن التعامل مع المؤسسة الدينية ورجال الدين ليس أمراً هيناً أبداً.

على هذه القاعدة الاستراتيجية في النظر إلى المؤسسة الدينية ورجالاتها سمح الأسد الابن للمؤسسة الشيعية بالعمل بكامل حريتها وبتسهيلات غير عادية ــ لأغراض سياسية وقناعات شخصية؛ كما ستوضح هذه الدرسة ــ على أساس أن ضبط العمل الديني ممكن في أية لحظة عندما يخرج عن المسار المتاح له، يبدو أن الأسد الابن نظر إلى المسألة كما لو أنها مسألة تخص النظام وحده، وبالتالي فقد أهمل من حسابه انعكاساتها الاجتماعية والدينية في الوسط السني الذي يمثل الأكثرية السكانية المطلقة في سورية.

وعلى سبيل المثال فإن إصرار الأجهزة الأمنية على الاعتقال والحكم بأحكام قاسية لمجرد الانتساب الفكري للتيار السلفي وبدون أي عمل مادي ضد النظام منذ تولي الأسد الابن السلطة وحتى اليوم، في مقابل ترك المجال مفتوحاً أمام النشاط التبشيري الشيعي بدون حساب في الوقت نفسه .بما فيه من استفزاز اجتماعي بالغ، وحساسية للمؤسسة الدينية وطبقة رجال الدين لا يعني سوى أن المنظور الأمني الاستلحاقي للمجال الديني ومؤسساته ورجاله هو الذي يتحكم في فكر صانع القرار.

الدراسات السابقة

لقد كُتب ونُشر وأذيع الكثير من المقالات والتقارير في وسائل الإعلام المختلفة عن التمدد الشيعي ونشاط مبشريه في سورية، غير أن معظم ما كتب يقوم على مشاهدات جزئية وتقارير يغلب عليها الانطباع والحماس العاطفي، وذلك لا يعني بالضرورة أن هذه التقارير الصحفية والمقالات لا تتضمن جملة كبيرة من الحقائق، غير أن هذا الموضوع لم يحظ ببحث منظم إلا في دراستين:

1. **تحذير البرية من نشاط الشيعة في سورية** (عبد السِّتِّير آل حسين).

وهي دراسة كتبت في وقت مبكر نسبياً (١١ شباط ٢٠٠٤)، وشملت (دمشق، وحلب، وإدلب، والرقة، وديرالزور، والقامشلي، وحمص والساحل)، ويبدو أن اسم المؤلف مستعار، وأياً يكن فإن هذا لا يبدو مهماً فالظروف الأمنية تبرر ذلك بكل تأكيد.

من جهة أخرى الدراسة موجودة فقط على شبكة الإنترنيت وفي مواقع عديدة، ولا يشار في أي من هذه المواقع إلى معلومات عن مكان الطباعة والنشر، ويبدو أنها نشرت بشكل إلكتروني وحسب على شكل ملف (pdf).

هذه الدراسة أيضاً ــ التي جاءت في 127 صفحة من القطع المتوسط ــ لا تستند إلى أصول علمية صلبة، فهي تميل لأن تكون تسجيل منظم لانطباعات وملاحظات قائمة على أساس أيديولوجي، ومع ذلك تساعد هذه الدراسة ــ رغم عدم دقة المعلومات الواردة فيها وحاجتها للتوثيق والتأكيد، وخلوها من أرقام محددة ــ على إمساك ببعض الخيوط الرئيسية في التبشير الشعي وتمدده في المناطق السنية في سورية.

2. **عملية التشيع في سورية 1985-2006: دراسة اجتماعية ــ إحصائية**، 2006.

The Shiitization Process in Syria 1985-2006: *A Socio-statistic Paper*

أشرف على هذه الدراسة منظمة "**المجلس الوطني للحقيقة والمصالحة والعدالة في سورية**"، وقدم لها رئيس المنظمة الطبيب والمعارض "**نزار نيوف**".

وعلى الرغم من أن الدراسة ــ كما ورد في عرضها على موقع الجهة المشرفة على الإنترنت ــ تشير إلى تمسك "صارم" بالمنهجية والشكلية البحثية الاجتماعية الإحصائية، وأن الباحثين الذين أجروا الدراسة (تسعة باحثين ميدانيين) هم باحثون متخصصون في مجالات علم الاجتماع وعلم الاجتماع السياسي والإحصاء، وجميعهم "علمانيون ونشطاء في حركات المجتمع المدني السورية" (على حد تعبير

مقدم الدراسة)، كما زعمت هذه الدراسة أنها اعتمدت على مصادر معلومات محددة هي سجلات المحاكم الشرعية (المذهبية) وبيانات الزواج والطلاق، ومعطيات مستخلصة من سجلات مديريات وزارة الأوقاف في المحافظات، ومقابلات شخصية ميدانية مع رجال دين ووجهاء ومواطنين عاديين ينتمون إلى مختلف المذاهب الإسلامية المعنية، ومعطيات مستخلصة من سجلات المراكز الثقافية الإيرانية والحوزات والمدارس الشيعية التي تشرف عليها وتدعمها، جزئياً أو كلياً، السفارة الإيرانية في دمشق، فإن الدراسة تستدعي عدداً من الملاحظات نسجل أهمها ههنا:

أولاً – بغض النظر عن النتائج التي وصلت إليها الدراسة، فإن سجلات وزارة الأوقاف لا تتضمن معلومات تتعلق بالمؤسسات الشيعية الدينية والتعليمية، وهي فقيرة بالمعلومات عن المؤسسات الشيعية إلى حد مؤسف خصوصاً فيما يتعلق الحسينيات والمؤسسات التعليمية، وبالتالي الاستناد إلى مصادر مديريات وزارة الأوقاف وحتى الوزارة نفسها؛ أمر غير مجد ولا يقدم كثير فائدة، ولا يمكن أن يكون مصدر غنياً للمعلومات قياساً إلى المصادر الأخرى.

ثانياً – إن النتيجة التي خرج بها البحث بأن نِسبَ تشيع منطقة الجزيرة السورية في محافظتي دير الزور والرقة والقنيطرة؛ كونها لا تشكل إلا أجزاء عشرية متناهية الصغر بضع عائلات تعد على أصابع يد واحدة، ولكون النشاط الشيعي فيها يبتعد عن الشكل "التبشيري" ويقتصر على الجانب "الطقسي" أمرٌ تخالفه التقارير والوثائق والوقائع على الأرض كما ستوضحه فصول هذه الدراسة؛ فمعظم المد الشيعي التبشيري في عهد الأسد الابن تركَّزَ في الوسط الاجتماعي الديني الموسوم بالسني.

كما أن نتائج البحث وتفسيرها تشير إلى تحيز أيديولوجي وتضخيم بالغ الوضوح، فمن جهة هي تحرص على علمانية متطرفة، ومن جهة ثانية هي متحيزة طائفياً للعلويين، وقد أثبت البحث الميداني والجولات الاستطلاعية التي قمنا بها أن الدراسة مفتقرة بشدة للمعلومات في المجتمع السني، وبالتأكيد فإن ذلك سيؤثر في مصداقيتها، خصوصاً لجهة الأرقام التي أعلنتها، والتي حاولت كسب مصداقية واقعية فيها عبر زهوها بالشكليات المنهجية!

ونظراً للظروف الخاصة بالطائفة العلوية فيما يتعلق بالحساسية الأمنية، فإنه من الصعوبة بمكان الحصول على معلومات دقيقة بالنسبة للباحثين، ومع ذلك فإن الدراسة أعلاه تُعتبر أحد المصادر للمعلومات التي تخضع لعمليات الامتحان والغربلة والمقارنة، مع الأخذ بعين الاعتبار كل التحفظات المذكورة، والتحفظات العلمية الأخرى التي لم نتطرق لها في هذا الاستعراض المختصر للنقاط الأساسية.

مجال البحث وحدوده

1- المقصود بالـ"الشيعة" في البحث هم طائفة الشيعة "الاثني عشرية"[3]، الذين يندرج معتقدهم تحت المعتقد الديني السائد في إيران، والذي ينص عليه دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ويستهدف البحث دراسة تبشير الشيعة الاثني عشرية بالتحديد في المجتمع السوري عموماً، والشق السني بشكل خاص.

2- يشمل البحث المحافظات السورية الرئيسية: دمشق وريفها، حلب، اللاذقية، طرطوس، إدلب، حمص، حماة، دير الزور، الرقة، الحسكة، درعا. واستثنت الدراسة محافظة السويداء ومحافظة القنيطرة. فمن جهة ليس هناك تواجد شيعي في محافظة السويداء التي يقطن غالبيتها الدروز، ومن جهة ثانية فإن القرى التابعة لها أو للقنيطرة إذا كان يجري التشييع فيها فانطلاقاً من درعا، وبالتالي فما ورد من معلومات تتعلق بريف القنيطرة والسويداء تم إلحاقه بريف درعا.

3- يركِّز البحث بشكل أساسي على الفترة الزمنية الممتدة بين 2000 - 2007، أي منذ تولي بشار الأسد رئاسة الجمهورية، لكنه يشمل أيضاً دراسة للوجود والتبشير الشيعي الحديث بدءاً من ظهور الدولة الوطنية وحتى نهاية عهد الرئيس حافظ الأسد (1970- 2000)، ذلك أن من غير الممكن فهم التغيرات الديمغرافية وتفسير النشاط التبشيري في الفترة (2000 - 2006) بدون معرفة تاريخ الوجود الشيعي وتغيراته قبل ذلك.

4- تم تحديد بداية المجال الزمني في هذه الدراسة عام 1919؛ لأنه العام الذي شهد قيام الدولة الوطنية السورية، وكل ما قبل هذا المجال الزمني هو عبارة توضيحات تاريخية عامة لجذور الشيعة في سورية بشكل مختصر ومركز للغاية.

---

[3] طائفة إسلامية منشقة، ظهرت إثر الخلاف الذي نشأ بين الخليفة الرابع للمسلمين علي بن أبي طالب (يعتقدون أنه دفن في النجف) ومعاوية بن أبي سفيان الذي كان والياً على بلاد الشام في عهد الخليفتين الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، ويؤمنون بأن الخلافة لا ترجع إلى إرادة المسلمين في تحديد مصالحهم، وإنما هي محددة سلفاً بنصوص من الوحي وبالأسماء، وقد حددت النصوص اثني عشر إماماً كلهم من نسل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب (ابن عم النبي وزوج ابنته)، يمتلكون جميعهم العصمة الإلهية (الخطأ غير وارد في تصرفاتهم وأقوالهم)، والإيمان بهم أصل من أصول الدين لدى الشيعة.

انظر تعريف الشيعة الاثنا عشرية في: الأمين، حسن، **ثورة إيران في جذورها الإسلامية الشيعية**، ملف النهار، دار النهار، بيروت، 2 نيسان، 1979، ص ص 31-35.

منهج البحث

استغرقت الدراسة وجمع المعلومات عاماً كاملاً (تشرين الأول/أكتوبر 2006– تشرين الأول/أكتوبر 2007)، وقامت على أساس تعدد منهجي:

1- الجولات الميدانية الاستطلاعية: التي شملت أكثر المحافظات المذكورة.

2- تحليل المضمون: وثائق رسمية حكومية ووبيانات سياسية، شهادات شهود عيان. وفيما يخص شهادات شهود العيان والمصادر المطلعة والتقارير الصحفية فإنه تم التثبت من معلوماتها عبر المقارنة، وغالباً تم التأكد من المعلومة من مصدر مستقل، ومن أكثر من مصدر. أما الوثائق الحكومية فقد تم التأكد من صحتها عبر مصادر متعددة مستقلة، وعبر تقاطع نصوصها مع بعضها، وعبر تقاطعها مع سير الأحداث والوقائع زمن صدورها.

3- المقارنة المستمرة مع معلومات ونتائج الدراسات خصوصاً تلك التي اعتمدت على سجلات الأحوال الشخصية للمحاكم الشرعية الجعفرية، مع ملاحظة أن سجلات الأحوال الشخصية لهذه المحاكم لا تحتوي بالضرورة على أسماء كل المتشيعين (أو "المستبصرين" حسب التعبير الشيعي)، وذلك يعني أن المعلومات التي تتضمنها على أهميتها تعتبر معلومات تقديرية.

مصادر المعلومات في الدراسة

1- الجولات الميدانية.
2- وثائق رسميَّة.
3- شهادات متشيعين وشهود عيان.
4- الدراسات السابقة.
5- التقارير الصحفية.
6- المقابلات مع شخصيات ذات علاقة بموضوع الدراسة.
7- الدراسات العامة عن التاريخ السياسي والاجتماعي لسورية بعد الاستقلال.
8- الدراسات السياسية المتخصصة بعهدي: حافظ الأسد (1970-2000)، والأسد الابن في الفترة (2000- 2007).

ملاحظات على البحث

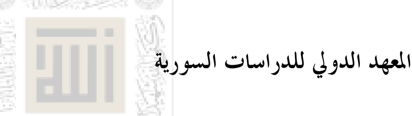
1- لا تدخل هذه الدراسة في إطار التحيُّزات المذهبية والدينية، وتتعامل هذه الدراسة مع المصطلحات الدينية (مثل: "سني" أو "شيعي"... إلخ) بوصفها مصطلحات أداتيَّة مجردة، كما أن هذه الدراسة ليست معنيَّة بتصحيح أو تخطئة ما يندرج تحتها من التصورات الدينية والأيديولوجية.

2- تجنبت الدراسة الاعتماد على أساليب البحث الاجتماعي في تفريغ البيانات نظراً لصعوبة الإحصاء الميداني والحصول على أرقام حقيقية، وبالتالي اكتفت بالنسب التقديرية القائمة على تقاطع معلومات من المصادر المختلفة التي اعتمدها هذه الدراسة.

3- إن دراسة ترصد الأرقام الحقيقية لا يمكن أن توجد في ظل الظروف الحالية، ولا يمكن لفرد أو بضعة أفراد القيام بها، لا بد لذلك من مؤسسة حكومية ـــ أو دولية متخصصة في مجال الدراسات الأمنية والاجتماعية وبمساعدة حكومية ـــ كي يمكن إنجازها بدقة وإعطاء صورة حقيقية لما يجري في الواقع، ومع ذلك فإن الجهد المبذول في هذه الدراسة يمثل عملاً قريباً جداً لوصف الواقع، ولهذا السبب تعتبر النتائج التي توصلت إليها نتائج نسبية مهما كانت قريبة من الحقيقة، ومن المتعذر في الوقت الراهن وجود نتائج إحصائية دقيقة، لكن هذا لا يعني أنها أقرب ما تكون للواقع.

4- ستغفل هذه الدراسة لضرورات تتعلق بأصحابها مصادر المعلومات الشخصية، خصوصاً في الشهادات العيانية ومصادر الوثائق.

5- توثيق المعلومات من مصادرها التي تعتبر مرجعاً أصلياً وموثوقاً في موضوعها، فعلى سبيل المثال تعتمد الدراسة في توثيق الأحداث التي تتعلق بالأقلية الشيعية في سورية والوجود الشيعي الجديد على مصادر شيعية أو حكومية رسمية.

المسار العام للدراسة

نظراً لصعوبة فهم حركة التشيع الراهنة بمعزل عن تاريخ الوجود الشيعي في سورية، فقد تم تخصيص الفصلين الأول والثاني للتمهيد التاريخي عن الوجود الشيعي والتغييرات التي طرأت على بنيته الاجتماعية والفكرية، فمن المهم للغاية وضع المعنيين بهذا الموضوع في السياق التاريخي.

تتجه الدرسة في الفصل الثالث للإمساك بالبدايات الفعلية للمد الشيعي في عهد حافظ الأسد، وانعكاسها على التشييع في الطائفة العلوية، وتأثير تشكيل المحور السوري الإيراني غداة قيام الجمهورية الإسلامية الإيراينة عام 1979، وعشية حرب الخليج الأولى. وفي الفصل الرابع تصل الدراسة إلى غايتها في الكشف عن أبعاد قضية التشييع ودور النظام السياسي والجهاز الأمني في دعم وحماية التبشير الشيعي في المجتمع السوري، والظروف السياسية والاجتماعية المحلية والدولية التي أدت إلى انفجار قضية التشيع في سورية، وتتناول بالبحث انعكاسات التحول الاستراتيجي في المحور الإيراني ــ السوري في ظل أزمة الملف النووي الإيراني وخروج الجيش السوري من لبنان غداة انطلاق التحقيق الدولي في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري.

تختتم هذه الدرسة بعرض النتائج التي توصلت إليها، وتوضيح خارطة المد الشيعي، ودلالتها السياسية والاجتماعية، والتقديرات الرقمية للمتشيعين في المجتمع السوري كما هي عليه اليوم، والنسب التي تعتبر من نتاج المرحلة الخاصة بعهد بشار الأسد 2000 – 2007.

أخيراً

تندرج هذه الدراسة في إطار البحوث المتخصصة بموضوع الدين وعلاقته بالمجال السياسي، وانطلاقاً من ذلك فهذه الدراسة تشكل جزءاً متمماً للدراسات التي درست الحركات الإسلامية وتأثير المؤسسة الدينية ورجال الدين في المجال السياسي، التي يمكن بمجموعها أن تفسر بشكل أعمق علاقات القوة ونظام اللعبة السياسية في سورية اليوم.

ولابد في ختام مقدمة هذه الدراسة التي تداخلت فيها جهود عدد من أبناء الوطن المخلصين ــ من شكرهم جميعاً، والبدء بشكر خاص لــ **"حركة العدالة والبناء"** التي رعت هذه الدراسة ودعمتها منذ البدء، وعملت على إخراجها إلى النور بدافع شعورها النبيل بالمسؤولية الوطنية ووضع السوريين أمام معرفة علمية بما يجري في بلادهم في هذه القضية التي كثر فيها القول والتقوُّل، وفي الوقت نفسه



حافظت على مسافة من الجهة البحثية التي أنجزت هذه الدراسة وحرصت على تأمين مناخ فيه كامل الحرية والاستقلال وبشفافية نادرة تستحق التحية عليها.

كما يجب التوجه بالشكر لكل الذين وفروا وثيقة من الوثائق التي تتعلق بالقضية، ولكل الذي قدموا شهاداتهم ومشاهداتهم بأمانة، ولأولئك الذين أتعبوا أنفسهم في مراجعة النسخ الأولية من هذه الدراسة، و لم يبخلوا بتقديم ملحوظاتهم القيمة وخبراتهم في موضوع البحث؛ فكان لها الأثر في تحسين صيغتة وتصويب بعض ما جاء في الدراسة، ولكل من ترجمها إلى لغة أجنبية، ولكل من بذل و لم يدخر جهداً من أجل إخراجها، يحتسبه في سبيل الوطن، لكل أولئك يتوجه المعهد الدولي للدراسات السورية بالشكر الجزيل والتقدير الكبير.



الفصل الأول

المنبوذون

الإحياء 1919–1969

"إننا مقبلون على تطور اجتماعي يعم أبنائنا شئنا أم أبينا، فلنقطع الطريق على ما يرافق التطورات عادة من انحراف وتهور وضياع بإنشاء مدرسة تزودهم بما يقضي به هذا التطور من صنوف المعرفة، وتبقيهم في رعايتنا ضمن إشرافنا"

(الشيخ محسن الأمين)

عندما حدثت عملية تفجير مرقد "الإمام الحسن بن علي العسكري" (260هـ) في سامراء عام 2005، كان مدير محطة إذاعية محلية في العراق يستفتي على الهواء مباشرة عمن يمكن أن يكون وراء هذا الحادث، وبحماس شديد قال أحد المتصلين: "أنا أعرفه"!، المذيع يسأل: "من هو؟"، يجيب المتصل: "إنهما أبو بكر وعمر"! يقصد أول خليفتين للإسلام، هذه الاستعادة للتاريخ تعني بالضبط أن التاريخ يفعل فعله الرمزي في التحشيد الطائفي، ما قاله الشاب يختزل ــ في الواقع ــ المخيال الجماعي الشيعي في العراق وغيره؛ فغداة تفجير المرقد اندلعت حرب طائفية مخيفة وغير مسبوقة في العراق، تَحَوُّل الشيعة إلى أقلية مهمشة في العالم الإسلامي (السني) وعجزهم طوال التاريخ عن التحول إلى أكثرية والنكبات التي منوا بها في رموزهم السياسية – الدينية جراء محاولاتهم السياسية السيطرة على الأكثرية خلقت وعياً انتقامياً مؤسساً على رؤية نفسية سوداوية للعالم قائمة على الشعور العميق والمزمن بالظلم (عدم الاعتراف بحقِّ الإمامة)، والنظر إلى الشيعة بوصفهم أقلية ضالَّة، يعزز هذه الرؤية ويغذيها مجموعةُ الطقوس الدموية الندبية على مقتل الحسين يوم عاشوراء، ومجالس العزاء، والبكائيات الجماعية، والترانيم الدينية المغرقة في الحزن والأسى، باختصار، ثمة رؤية للعالم مكرسة طقوسياً قلما توجد لدى أقليات دينية أخرى، تقوم على الشعور بالمظلومية والحزن والألم النفسي الشديد والمستديم نابع من الاعتقاد بالظلم والحرمان لأهل البيت وأتباعهم.



جملة المصطلحات المستخدمة في الخطاب الشيعي الديني: "الحسينية"، "المظلومية"، "العزاء"، "الندب" وسواها تؤسس لحالة نفسية قابلة للانفجار في أي لحظة انتقاماً من الجماعة "الظالمة، لهذا السبب فإن استحضار التاريخ يبدو قوياً في الحرب الطائفية الدائرة في العراق الآن، لقد "قُتل الإمام الحسين" عام 61هـ (نهاية القرن السابع الميلادي) في كربلاء على يد جند يزيد بن معاوية (الخليفة الأموي)، والآن يُعثر على جثث في مختلف أنحاء العراق انتقم من أصحابها للحسين! ومُثِّل بها بعبارة: "يا لثارات الحسين"!!

أولاً: الوجود الشيعي في سورية (.... – 1919)

في القرن الثالث الهجري قدم "الإمام النَّسَائي" (عالم الحديث السنِّي الشهير) إلى دمشق أيام الدولة العباسية، وجلس في المسجد الأموي الكبير (وفق التقاليد العلمية في ذلك الوقت) ليروي الحديث عن النبي (ص)، فسُئل أن يحدّث الناس عن فضائل معاوية بن أبي سفيان (خليفة المسلمين الخامس) فأجاب مستنكراً: "ألا يرضى معاوية أن ينجو رأساً برأس حتَّى يُفضَّل؟!" فقام إليه الناس فضربوه، حتى أخرجوه من المسجد، ليغادر دمشق من فوره، ويموت إثر تلك الحادثة بوقت قليل! هذه القصة تكشف عن صلابة الوعي السُّني وحساسيته الدينية الشديدة من التشيُّع.

وحيث يقبع اليوم ضريح مؤسس الدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان في دمشق تأسست جذور الوعي السني المفارق للانشقاقات الأخرى في الجسد الإسلامي، والتي كانت قد بدأت بالظهور والتبلور شيئاً فشيئاً مع مرور الوقت والأحداث، وما انتهت الدولة الأموية بعد قرن من الزمان حتى كانت الشام[4] مركزاً سنياً عصياً على الزحزحة والتغيير، ورث من العهد الأموي تشدده إزاء الانشقاق الشيعي.

بقيت بلاد الشام إقليماً سنياً متمسكاً بسنيته ومذاهبه الفقهية الحنفية والشافعية والحنبلية حتى ما بعد منتصف القرن الرابع الهجري حين وفد الحمدانيون وأسّسوا دولتهم في مدينة حلب (شمال سورية) وهم شيعة وُصِفُوا بأنهم غير مغالين، وكان الصراع بينهم وبين الإخشيديين (حكام مصر) حول السيطرة على دمشق. وفي نهاية القرن الرابع الهجري استطاع الفاطميون (العبيديون) احتلال أجزاء من بلاد الشام وخاصة مناطق من الساحل السوري، وبقي الأمر مضطرباً والصراعات مستمرة

[4] "**إقليم الشام**" يضم كلاً من: سورية وفلسطين والأردن ولبنان، وإذا أطلق مصطلح "الشام" فعادة ما يقصد به سورية ولبنان معاً.



بين الفاطميين والمرداسيين في حلب ودمشق إلى أن جاء السلاجقة الأتراك في منتصف القرن الخامس الهجري وكان من آثارهم صلاح الدين الأيوبي الذي وحد بلاد الشام ومصر[5].

ويبدو أن التشيع كان له أثر على بعض المناطق وخاصةً في مدينة حلب، إذ يذكر المؤرخون أنه حين أراد القائد التاريخي الناصر "**صلاح الدين الأيوبي**" الاستيلاء على حلب استنجد الوالي بأهلها، فاشترط عليه الشيعة (ويبدو أنهم كانوا يشكلون وجوداً كبيراً في حلب) إن أجابوه أن يعيد في الأذان "حيّ على خير العمل" في جميع المساجد، وينادي باسم "الأئمة الاثني عشر" أمام الجنائز، ويكبر على الميت خمس تكبيرات، ويفوض أمر العقود والأنكحة لشيخ الشيعة "أبي المكارم حمزة بن زهرة" (ت)، فقبل الوالي ذلك مكرهاً![6].

كانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي يغزو فيها الفكر الشيعي أرض الشام، فقد استعادت الدولة الأيوبية ــ خصوصاً بعد صلاح الدين ــ ثم العثمانية حكم بلاد الشام[7]، وأعادتها إلى وضعها الأصلي، لكن جيوباً للتشيع بقيت هنا وهناك تمت محاربتها ودفعها إلى الجبال، فقد كانت بمنزلة جيوب معارضة سياسية، فمعظمها يدين بالولاء للفاطميين، لهذا السبب ما كانت المسألة تعصباً سنياً بقدر ما كانت توطيداً سياسياً وعسكرياً لدولة استطاعت إخراج الصليبيين الغزاة من القدس بعد أن سقطت في أيديهم في العهد الفاطمي.

الولاء الديني السياسي للشيعة في بلاد الشام بعد انهيار الدولة الفاطمية حولهم إلى أقليات دينية باطنية منغلقة تغزوها الأفكار الوثنية للديانات الإحيائية التقليدية في منطقة الشرق الوسط وشكلت انشقاقات عن التشيع (الدروز والإسماعيلية، والعلويون (النصيريون))، ولم يبق من الشيعة الإمامية الاثنى عشرية سوى أقلية منبوذة اجتماعياً وسياسياً صغيرة جداً، تقطن بعض القرى الصغيرة، وهي آخذة بالاضمحلال والذوبان في الجسم السني الكبير.

---

[5] شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي، الجزء الأول ص 353.

[6] انظر: المقدسي، أبو شامة، **الروضتين في أخبار النورية والصلاحية**، موقع الوراق على الشبكة العالمية (www.alwarraq.com)، مرقم إلكترونياً، ص 257.

[7] بكثير من المغالطة يشير مبشرو التشييع حتى اليوم إلى أن سورية كانت شيعية، وأن صلاح الدين ثم الدولة العثمانية حولوا أهلها بالقوة إلى العقيدة السنية! انظر مثلاً: مقابلة مع "**الشيخ جلال معاش**" (عراقي، مدير الحوزة الزينبية)، صحيفة الوطن الكويتية، 2007/06/01. الذي يصرح بأن "كان هناك دولة شيعية في سورية على عهد الدولة الحمدانية، وبالتالي سورية **في الأصل** كانت دولة شيعية"! وكانت هذه إحدى الأفكار الرئيسية التي روجت لها "جمعية المرتضى" (1981-1983)، انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة، ص32.

ثانياً: الشيعة في الدولة الوطنية (1919– 1969)

لا تتوفر إحصاءات دقيقة لعدد الشيعة في سورية عند قيام دولة سورية الوطنية عام 1919، ولا يبدو واضحاً كيف أصبح الشيعة جزءاً من النسيج الاجتماعي الدمشقي، فللشيعة وجود في دمشق، وهم الأقلية الشيعية المدنية الوحيدة في سورية، وباقي الشيعة ـــ على الضآلة الشديدة لعددهم ـــ مشتتون في بعض الأرياف، قرب دمشق وحلب[8]. وقد يكون مفيداً للغاية البحث في السجلات العدلية العثمانية المحفوظة في تركيا لمعرفة أعدادهم وأوضاعهم في ظل الدولة العثمانية فيما إذا كانت هناك أساساً وثائق تدل على وجودهم في دمشق أو في المناطق التي تدخل الآن ضمن الحدود السورية.

في "حي الأمين" و"الجورة" (يسمى الآن: حي جعفر الصادق)، وعلى مقربة من الجامع الأموي الكبير في دمشق وداخل المدينة القديمة الأثرية حيث الأزقة المغلقة والحواري الضيقة يقيم شيعة دمشق، في منطقة تفصل بين الأقليتين اليهودية والمسيحية، وهي المنطقة الوحيدة التي يوجد فيها أقليات دينية في دمشق. وفي منطقة المهاجرين في جبل قاسيون في دمشق يقيم الشيعة في حي "زين العابدين" بمنطقة المهاجرين، ويطلق عليهم أهالي دمشق وصف "المتاولة"، أو "الأرفاض"، وهي أوصاف تدل على نبذ المجتمع الدمشقي لهم.

ويشير بعض الباحثين إلى أن في جوار دمشق، وتحديداً في الغوطة قرية "عين ترما" وقرية "راوية" (في"الدقانية"، وفيها مقام السيدة زينب الصغرى)، دخلها التشيع في القرن الثامن للهجرة.

في ريف حلب قرية "نُبُّل" الصغيرة يقطن بعض الشيعة، ولطالما كانت هذه القرية موضع حساسية المجتمع المديني الحلبي، وهو مجتمع معروف بتعصبه الاجتماعي فضلاً عن الديني، وفي إدلب كان يقطن بعض الشيعة قرية "الفوعة"، وفي حمص في "حي البياضة"، وفي قريتي (الحميدية، وأم العمد) يرجع الوجود الشيعي فيهما إلى القرن الرابع الهجري على أقل تقدير[9].

و لم يكن بإمكاننا ـــ بسبب الوقت ـــ البحث للتوصل إلى تاريخ ظهور الشيعة في هذه المناطق جميعها، وما إذا كانت ترجع إلى ما قبل ظهور الدولة الوطنية في العصر الحديث أم بعده.

---

[8] باستثناء ذلك فإن الوجود الشيعي جميعه جديدٌ وطارئٌ، يرجع في قسم منه إلى إيمان شخصي، وجدل ديني (كما هو الحال في قرية "**زرزور**" قرب جسر الشغور)، أو يرجع إلى فترة لاحقة مثل الهجرة التي سببتها الحرب الأهلية في لبنان كما في مدينة بصرى.

[9] انظر: **التأسيس لتاريخ الشيعة**، م.س، ص251.



وحسب الإحصاءات الرسمية فإن نسبة الشيعة إلى عدد السكان في سورية كانت في عام 1953 تمثل 0.4 %[10] من سكان سورية، وهذا يؤكد أن الطائفة الشيعية كانت صغيرة للغاية. وقد طغى على المجتمع الشيعي حالة من الانغلاق الشديد، حتى أنه لم يكن قادراً على الإسهام الجيد في المجال العام؛ لا ثقافياً ولا اجتماعياً ولا سياسياً حتى الستينيات، وبينما كان في عزلته غارقاً في طقوس عزائه المقيم وبكائياته المتواصلة على "الإمام المظلوم" الحسين بن علي وفد عليه الشيخ "محسن الأمين الحسيني" من جبل عامل في لبنان، ليواجه هذا الانغلاق وما صحبه من تصورات دينية سقيمة، ويبث فيهم روح الحياة.

انشغل الشيخ الأمين بتصحيح "الانحرافات" التي أصابت الفكر الشيعي الاثنا عشري في دمشق، وأسس لهذا الغرض "المدرسة العلوية" لإحياء التعاليم الدينية الشيعية "الصحيحة" ومواجهة "الانحرافات" الأخلاقية التي يجلبها العصر[11]، وهي أول مدرسة شيعية في سورية للتعليم الديني، ما تزال المدرسة قائمة إلى اليوم، وهي معروفة باسم (المدرسة المحسنية). وعلى الرغم من أن الشيخ لم يواجه في إصلاحاته ممانعة قوية من المجتمع الشيعي الصغير؛ إلا أنه نازع شيوخه على سلطتهم الدينية والاجتماعية، ولقي في سبيل ذلك الكثير من التجريح كما يشير في مذكراته؛ إذ يقول: "وجدنا مجالس العزاء وما يتلى فيها من أحاديث غير صحيحة وما يُصنع في المشهد المنسوب إلى زينب الصغرى المكنَّاة بأم كلثوم في قرية "راوية" من ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات، وبعض الأفعال المستنكرة، وقد صار ذلك كالعادة التي يعسر استئصالها؛ لاسيما أنها ملبّسة بلباس الدين" وعندما كان المجتمع الشيعي يذكر إنجازاته فـــ "هو الذي شيّد المجالس في دمشق"، كان شيوخ الشيعة يكفرونه: "قد كان هذا عن أول أمره؛ لكنه بعد ذلك خرج من دين الإسلام!" (المذكرات).

توفي الشيخ محسن الأمين عام 1952، ودفن في "الحضرة الزينبية" مخلفاً وراءه طائفة بدأت تدب فيها الحياة، متحفزة للمشاركة في المجال العام بعد أن كانت منبوذة ومغلقة على نفسها، يعلوها غبار مئات السنين من التاريخ المطوي؛ لهذا السبب يحظى السيد محسن الأمين لدى الشيعة السوريين

---

[10] **سوريا بالأرقام**: **دليل إحصائي شامل** (المعطيات الجرافية والسياسية والتربوية والعسكرية)، المركز اللبناني للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط1، 1985، ج1، ص124-125.

[11] ينقل نجله **هاشم** عن والده ـــ بشأن فكرة تاسيس هذه المدرسة ـــ قوله: "إننا مقبلون على تطور اجتماعي يعم أبناءنا شئنا أم أبينا، فلنقطع الطريق على ما يرافق التطورات عادة من انحراف وتهور وضياع بإنشاء مدرسة تزودهم بما يقضي به هذا التطور من صنوف المعرفة، وتبقيهم في رعايتنا ضمن إشرافنا". انظر:

الأمين، هاشم محسن، وبيضون، عباس. **الخيبة والحزب والعزلة**، جريدة السفير، بيروت، 17-11-1981، ص10. نقلاً عن: شرارة، وضاح. **دولة حزب الله: لبنان مجتمعاً إسلامياً**، دار النهار، ط4، 2006، ص27.

باحترام كبير، فهم مدينون له بإحياء الطائفة، وتكريماً له يطلق على أحد الأحياء التاريخية التي يقطنها الشيعة اسم "حي الأمين".

في الستينيات شارك الشيعة في حكومة البعث في الفترة (شباط/فبراير 1966- تشرين الثاني/نوفمبر 1970) عبر حقيبة وزارية واحدة[12]، وبعد استيلاء الضباط العلويين الكامل على السلطة، وهو أمر له دلالته الهامة، خصوصاً إذا عرفنا أن حزب البعث امتد إلى لبنان في ذلك الوقت، وأن بين كبار قياداته في لبنان شيعة[13].

وعلى أية حال لم يُسجّل للشيعة قبل هذا التاريخ أي مشاركة سياسية، في وقت كان الدروز والمسيحيون والعلويون يسهمون بقوة في الحكومات[14] وانقلابات الجيش، وبرز منهم ضباط كبار لعبوا دروا مهماً في تاريخ سورية في مرحلة ما بعد الاستقلال.

حتى ذلك الوقت لم تكن هناك تغيرات ديمغرافية ملحوظة للوجود الشيعي في سورية، وباستثناء بعض حالات التحول (الاستبصار) الفردية في حلب[15] وإدلب[16] وربما في ريف درعا وغيرها، فإنه لا يوجد تبشير شيعي بالمعنى المنظم ولا بالمعنى السياسي، كانت المسألة في ذلك الوقت مجرد قناعات نادرة دينية ومذهبية صرفة.

---

[12] انظر:

Van Dam, Nikolaos. **The Struggle for Power in Syria:** ***Politics and Society under Asad and Ba'th Party***, I. B. Tauris Publishers, London – New York, third published, 1996, p.83.

[13] مثل "**علي نادي**"، وهو شيعي من بنت جبيل، انظر: شرارة، **دولة حزب الله**، م.س، ص73، ص83.

[14] في فترة الانتداب الفرنسي وتحديداً عام 1925 أسس الأخوان "يوسف حيدر" و"سعيد حيدر" جريدة "المفيد" التي كان من أبرز محرريها نجيب الريس، وفي مكاتبها انعقد الاجتماع الذي تقرر فيه إرسال الوفد الوطني لمقابلة المفوض الفرنسي السامي الجديد "الجنرال ساراي" وكانت منبراً لحرب الشعب (الوطني)، وعلى الرغم من أن اسم الأخوين قد يوحي بشيعيتهما إلا أنه لا وجود لهذه الكنية في العائلات الشيعية في دمشق، وعلى الأغلب هم من العلويين؛ فهذه الكنية تدل على أصول ريفية من جهة، ومن جهة ثانية فإن الكنية شائعة جداً في العائلات العلوية (انظر: الأمين، حسن. **غارات على بلاد الشام**، دار قتيبة، دمشق، ط1، 2000، ص205).

[15] يعتبر الشيخ "**محمد مرعي الأنطاكي**" (ولد سنة 1314هـ/ 1897 في قرية "**عنصو**" وهي من القرى التابعة لأنطاكية)، مؤسس التشيع الحديث في مدينة حلب، كان شافعي المذهب، اعتنق المذهب الشيعي الجعفري الإمامي في ثلاثينيات القرن المنصرم، ونشط بالدعوة للتشيع في حلب ومحيطها.

[16] في قرية "**زرزور**" ـــ والتي تقع شمال جسر الشغور (مدينة تابعة إدارياً لمحافظة إدلب) بحدود سبعة عشر كيلو متراً، قرب الحدود التركية ـــ بدأ التشيع على يد **محمد ناجي الغفري**، الذي كان قد تأثر بالشيخ محمد مرعي الإنطاكي وأعلن تشيعه عام 1945، الأمر الذي يدل على مدى التأثير والنشاط الذي أحدثه الأنطاكي في ذلك الوقت.




الفصل الثاني

موطئ قدم

التحالف 1970– 1990

"الطريق إلى القدس يمر عبر كربلاء، والطريق إلى لبنان يمر عبر العراق"!

هاشمي رفسنجاني
رئيس مكتب حركات التحرر الإسلامية في الحرس الثوري الإيراني تموز 1982

"العلويون"[17] هم فرع من غلاة الشيعة انشقوا عن الطائفة الإمامية الاثني عشرية، يُنظر إليهم في النصوص الإمامية الاثني عشرية الفقهية باعتبارهم "كفاراً"، وهذا ما يقيم جداراً شاهقاً بين الأصل وانشقاقه، ولم يكن من المحتمل أن تقوم أية علاقة بين العلويين والشيعة الاثنى عشرية لأسباب دينية محضة حتى وقت قريب.

[17] ترجع تسمية الطائفة بـــ "العلويين" إلى الانتداب الفرنسي، فقبل الحرب العالمية الأولى كانت الطائفة تعرف باسم "النصيرية"، انظر: سيل، باتريك، **الأسد: الصراع على الشرق الأوسط**، لندن، دار الساقي، ط1، 1989، ص32.

مؤسس هذه الفرقة هو أبو شعيب محمد بن نصير النميري البصري (توفي 260 هــ) الذي عاش في العراق وادعى أنه الباب للإمام الحادي عشر الحسن العسكري وهو الذي جمع عقائد الفرق الشيعية المتطرفة ليصوغ منها المعتقدات النصيرية التي اتسمت بالسرية وأهمها تأليه الصحابي علي بن أبي طالب والقول بالتناسخ وتأويل كل الأوامر الشرعية بأن لها باطناً يخرجها عن مفهومها الشرعي، وجاء بعده محمد الجنبلاني الذي رحل من إيران إلى مصر وهناك تبعه الحسين بن حمدان الخصيبي الذي حاول نشر مبادئ هذه الفرقة عندما استقر في حلب أيام الدولة الحمدانية. انظر عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين، ط دار العلم للملايين، بيروت 1997، وانظر أحمد محمد جلي: دراسة عن الفرق، الرياض 1988.

حول شخصية الخصيبي ومرجعيته للعلوية انظر كتاب: الخصيبي، أبي عبد الله الحسين بن حمدان، **الهداية الكبرى**، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 1991، ص 7، ص14، ص323.



الانتماء إلى أقلية دينية[18] من هذا النوع كان له عمق كبير في شخصية **حافظ الأسد**، وعلى الرغم من انتمائه اليساري (فهو من الفصيل اليساري لحزب البعث) فإنه "كان يشارك أبناء طائفته عواطفهم في السخط على الماضي (...) وكان عليه أن يعمل بجد لإقناع المتشككين بأنه قد خلف عُقَدَ الأقلية وراء ظهره، وبأنه ملتزم جسداً وروحاً، قلباً وقالباً بالتيار القومي الرئيسي العام"[19]. لكن الأحداث أثبتت أنه كان غير ذلك، فقد كانت غريزته الطائفية أقوى من قوميته بما لا يقاس؛ إذ عمل الأسد ورفقائه في "اللجنة العسكرية" على علونة حزب البعث وعلونة السلطة، وقد بدأت عملية تطييف الجيش والبعث منذ انقلاب البعث في 8 آذار/مارس 1963، واشتدَّت مع تسلُّم الأسد وزارة الدفاع في عهد "**نور الدين الأتاسي**" (ظل "**صلاح جديد**") (1966-1970)[20]، وبلغت ذروتها بعد انقلاب الأسد، واستيلائه على السلطة، وكان لذلك أن يستثير الغريزة الطائفية السنية التي تتم عملية إزاحتها من الجيش والسلطة، ويفجر أسوأ أحداث عنف شهدتها سورية في تاريخها بين عامي (1978-1982) وما يزال أثرها قائماً إلى اليوم.

---

[18] الطائفة العلوية هي أكبر أقلية دينية في سورية، فنسبتها ـــ حسب الإحصاءات الرسمية حتى عام 1985 ـــ (11.5 %) (الأقليات الأخرى: الدروز (3 %) والإسماعيليون (1%) والمسيحيون (8 %))، والشيعة قرابة (0.4)، والباقي مسلمون سنة (76.1 %). انظر إحصاءات الأعوام (1952، 1960، 1963، 1975، 1982، 1983) في: **سوريا بالأرقام**، المركز اللبناني للدراسات الاستراتيجية، م.س، ج1، ص ص124، 125، ج2، ص ص 127، 128. وهناك بعض الباحثين من يشكك في دقة هذه النسب ويرى أن نسبة السنة في سورية لاتقل عن 80%. وقارن أيضاً:

Van Dam, ***The Struggle for Power***, Ibid, p.1.

وهو يعزو إلى:

Gabriel Baer, ***Population and Society in the Arab East,*** London, 1964, p. 109.

J.C. Dewdney, ***'Syria: patterns of population distribution'***. In J. I. Clarke & W.B. Fischer (eds) Populations of the Middle East and North Africa, New York, 1972, pp. 130-42.

E. Wirth, ***Syrien: Eine Geographische Landeskunde,*** Darmstadi, 1971, pp. 170. 171 .

[19] سيل، **الأسد**، م.س، ص45.

[20] على سبيل المثال: شكل الضباط من منطقة اللاذقية أعلى نسبة تمثيل بين الأعضاء العسكريين في القيادة القُطرية لحزب البعث، فقد وصلت إلى 49% بعد انقلاب البعثيين في 8 آذار/مارس 1963، وبالنظر إلى الأقليات الدينية فإن تمثيل الضباط العلويين في الفترة بعد انقلاب البعث في 8 مارس (آذار) 1963 وقبل انقلاب صلاح جديد ـــ بالقيادات القُطرية السورية كان على أشده حيث وصل في المتوسط إلى 37.7% يليه الدروز (9.4%) ثم الإسماعيليون (9.4%)، وتم تمثيل الضباط السنيين بنسبة 43.4%. ووصلت هذه النسبة إلى 63.2%من ضباط اللاذقية في عهد"صلاح جديد"، انظر:

Van Dam, ***The Struggle for Power***, Ibid, p. 79.

أولاً: "القومي" الذي كان ضد القومية! (1970– 1982)

لم تلتق الأقليتان السوريتان (أكبر أقلية دينية "العلويين النصيريين" وأصغر أقلية دينية "الشيعة الاثنى عشرية") الواقعتان بحجمهما على طرفين متقابلين من المجتمع؛ فما تزال الأصول الاعتقادية النصيرية ــ بالنسبة للشيعة على الأقل ــ خارج دائرة الإيمان "الصحيح"، ، تؤكد الدراسة التي أجراها "**المجلس الوطني للحقيقة والمصالحة في سورية**" أن الشيخ العلوي "**عبد الرحمن الخيِّر**" (1903-1982م/1322-1402هـ) أول من بدأ حركة التشييع في سورية عبر نشر التشيُّع في طائفته العلوية النصيرية، غير أن هذا ليس دقيقاً، من جهة يجب التمييز بين التشيُّع وبين حركة إصلاحية تتوسل بأصولها الشيعية لفك عزلتها، ووفقاً لتأريخ الشيخ الخيِّر "ليقظة العلويين" فإن تاريخ هذه الحركة يرجع إلى منتصف ثمانينيات القرن التاسع عشر!

ومن جهة ثانية فإن كتابات الخيِّر أيضاً، وكتبه المنشورة لا تشير إلى تبشير شيعي بالمعنى الدقيق، بقدر ما تشير إلى محاولة إكساء العقائد العلوية قدراً من الشرعية في المجتمع السني الإسلامي الكبير عبر شرحها بمفاهيم ومصطلحات شيعية جعفرية، فمعظم مؤلفاته هي تعريف بالعلويين وعقائدهم، وهي تُوزع بكثافة مثيرة للانتباه في الأكشاك العامة والمكتبات في دمشق وبعض المدن الأخرى، كل ما يمكن قوله بصدد الشيخ الخيِّر وجهوده، أنه عمل على محاولة كسر الجليد بين الطائفتين (النصيرية والإمامية الاثنى عشرية)، ولا يبدو أنه مارس تبشيراً شيعياً صرفاً، فقد كان حريصاً على بقاء الطائفة العلوية واستمرارها عبر ضخ الدم الشيعي فيها، وحاول أن يمدها باسباب البقاء نظرياً، كما الكثيرين قبله؛ مثل أستاذه "**الشيخ سليمان الأحمد**"، وإن كان ذلك لا يعني أن هذه التصورات الجديدة لم تؤدِّ إلى إعادة قسم من الطائفة إلى أصلها الشيعي، وأن الشيخ الخيِّر ذاته ربما تشيّع رسمياً وإن ظل يتحدث باسم الطائفة النصيرية.

الأقليتان (العلوية النصيرية والشيعة الاثني عشرية)

في مطلع السبعينيات وفي ظل استقطاب سياسي سني ــ مسيحي واحتقان طائفي نظر فيه الشيعة والدروز لأنفسهم على أنهم الطرف المحروم من الكعكة السياسية التي حُصِرت بين "السنة" و"المسيحين الموارنة" في لبنان كان الأسد يرنو بنظره إلى هناك متطلعاً إلى نفوذ فيه، فلطالما كانت لبنان معقل تخطيط الانقلابات السورية. ثم إن الأسد كان قد استفاد من دروس حربي 1967 و1973 مع

الإسرائيليين، فبعد خسارة الجولان عرف أن الخاصرة الرخوة لسورية بالنسبة للعدو الإسرائيلي تكمن في لبنان، لهذ السبب كان حريصاً على مد علاقاته مع القوى والزعامات الدينية والسياسية في لبنان.

لا أحد يعرف بالضبط كيف تعرف الأسد على رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان "**الإمام موسى الصدر**"[21] (الإيراني اللبناني) وانعقدت بينهما صداقة حميمة، وليس من المستبعد أن تكون زعامات دينية من الطائفة العلوية (مثل الشيخ الخيِّر) هي التي كانت سبباً في هذه العلاقة؛ فقد كانت للصدر علاقات جيدة بهم، وقد زار جبال العلويين مراراً، لكن من الواضح أيضاً أن العلاقة كانت ذات أبعاد سياسية يحاول الأسد من خلالها دعم الشيعة لاقتسام الكعكة السياسية وأخذ نصيبهم منها، فيما هو يسعى لنفوذ داخل القوى الناقمة، فالأسد أقام علاقات صداقة مع المسيحين الموارنة، ولديه بطبيعة الحال علاقات مع بعض الأطراف الفلسطينية، وقد استثمر ذلك كله في الدخول إلى لبنان عام 1976 (بموافقة أمريكية وتبعاً إسرائيلية، كما تشير الوثائق) عشية اندلاع الحرب الطائفية.

سرعان ما احتاج الأسد إلى "موسى الصدر"، ففي 31 كانون الثاني/يناير 1973 نُشرت مسوَّدة الدستور السوري الجديد، الذي صممه الأسد ليكون أساساً لحكم طويل المدى، ويعتبر من أسوأ الدساتير التي وضعت في تاريخ سورية منذ نشوئها كدولة وطنية، حذفت في هذا الدستور المادة التي تشترط أن يكون "رئيس الجمهورية مسلماً"، فأثار ذلك موجة احتجاجات عمت سورية، لا سيما في مدينة حماة (التي سيكون لها تاريخ دموي رهيب مع قوات الأسد)، وعلى الرغم من تراجع الأسد عن حذف المادة إياها، فإنه واجه مشكلة فيما بعد تتلخص في أن العلويين لا يعتبرون مسلمين لا عند السنة ولا عند الشيعة!! وبالتالي فالأسد لا ينطبق عليه الشرط الدستوري للرئاسة، وعليه أن يتنحى! أصبح هذا حديث الشارع السوري (ذي الأغلبية السنية) وأحد شواغله الرئيسية، لجأ الأسد

---

[21] عالم دين إيراني، ولد في قم، ودرس في النجف الشرف، قدم لبنان عام 1959 بناء على طلب "آل شرف الدين" من أهالي جبل عامل لخلافة عالمهم الذي توفي شاباً "**عبد الحسين شرف الدين**" (ت 1958)، أصبح أهم الزعامات الشيعية في التاريخ اللبناني الحديث، وإليه يعود الفضل في تحشيد الشيعة للمطالبة بحقوقهم السياسية (فقد كانوا مهمشين ومحرومين من الامتيازات التي تتمتع بها الطائفتان الكبيرتان: "السنة" و"الموارنة") وإدخالهم في معترك الصراع على السلطة. أسس لهذا الغرض "**حركة المحرومين**" السياسية عام 1974، والجناح العسكري لها "**أمل**" (الحروف الأولى من عبارة "**اتحاد محرومي لبنان**") عام 1975. اختفى أثناء زيارته ليبيا في آب/أغسطس 1978. ومازال اللبنانيون الشيعة إلى اليوم يطالبون بمعرفة حقيقة غياب الصدر.

انظر: سيل، **الأسد**، م.س، ص441، ص573. ويستند سيل في معلوماته عن الصدر إلى: عجمي، فؤاد. **الإمام المختفي: موسى الصدر والشيعة في لبنان**، طبع إيتاكا ولندن، 1986).

وانظر أيضاً: شرارة، **دولة حزب الله**، م.س، ص44.



إلى صديقه الزعيم الشيعي "الإمام موسى الصدر"، فأصدر له (في تموز/يوليو 1973) فتوى تقول بأن العلويين مسلمون، وهم طائفة من الشيعة[22].

مهما كانت قوة أو ضعف أثر هذه الفتوى على الشارع السوري، إلا أن مصطلح "شيعي" برز لأول مرة في المجال السياسي السوري وطرق أسماع السوريين بهذه الفتوى.

وفود عمائم الشيعة

في مطلع السبيعينيات لجأ إلى سورية عدد من رجال الدين الشيعة هرباً من بطش النظام العراقي (البعثي اليميني) إلى دمشق (حيث النظام البعثي اليساري)! كان من بينهم الشيخ "**حسن مهدي الحسيني الشيرازي**"[23]، الذي عانى في السجون العراقية إلى أن تمكن من الخروج إلى سورية بعد لأيٍ. أقام الشيرازي في قرية سنية بجوار مقام كان لا يزال غير معروف بشكل واسع في ذلك الوقت، هو مقام السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب، الذي أصبح فيما بعد أشهر مقامات الشيعة وربما أهمها بعد النجف وكربلاء، وأسس حسن مهدي الشيرازي عام 1976 حوزة علمية للتعليم الديني، عُرفت بـــ"**الحوزة الزينبية**"، وهي أول حوزة للتعليم الديني (العالي) للشيعة في سورية.

---

[22] انظر:

J. Agha, Hussein & S. Khalidi, Ahmad, ***Syria and Iran: Rivalry and Cooperation***, The Royal Institute of International Affairs, London, 1995, p.3.

و: سيل، **الأسد**، م.س، ص279.

وكان الشيخ الشيعي (العراقي من أصل إيراني) "**حسن مهدي الشيرازي**" قد أفتى في فبراير 1973 (11 ذي القعدة 1392هـ) بـــ"أن (العلويين) و(الشيعة) كلمتان مترادفتان مثل كلمتي (الإمامية) و(الجعفرية)، فكل شيعي هو علوي العقيدة، وكل علوي هو شيعي المذهب" وذلك في تقديمه لوثيقة شهيرة لثمانين شيخاً من الطائفة العلوية بينوا فيها "عقيدتهم" صدرت في ذلك الوقت. لكن حجم الشيخ حسن الشيرازي لم يكن إلى حد يسمع بمقارنته بحال الزعيم موسى الصدر، ولم يكن الشيخ الشاب أساساً في موقع مرجعية دينية تمكنه من الفتوى، لهذا لم يكن لما قاله صدى. وللتعريف بالشيرازي انظر الهامش التالي رقم 23.

[23] الشيخ **حسن الشيرازي** (1935-1980): عالم دين عراقي من أصل إيراني، الأخ الأصغر للمرجع الشيعي "**آية الله العظمى محمد الشيرازي**"، مناضل أصولي، اعتقل مرات عدة في العراق وانتقل إلى سورية، حمل فكرة أخيه في استعادة الفرع الشيعي (العلويين النصيريين) إلى المذهب الأم (الجعفرية الاثنى عشرية)، ولعب دوراً رئيسياً في تأسيس تيار للتشيع في أوساط الطائفة العلوية (النصيرية) في سورية بتوجيه من أخيه المرجع. اغتيل في لبنان عام 1981، ويُنسب اغتياله إلى المخابرات البعثية العراقية.

ينحدر حسن الشيرازي من أسرة دينية إيرانية عريقة من منطقة "شيراز"، التي لعبت دوراً في تاريخ إيران الحديث، فمنها المرجع الديني الكبير "**السيد محمد حسن الشيرازي**" قائد ثورة التنباك الشهيرة في إيران إبان الاستعمار البريطاني، والمرجع الديني "**الميرزا محمد تقي الشيرازي**" أحد قادة ثورة العشرين التي اشترك بها السنة والشيعة ضد الاحتلال العسكري البريطاني في العراق.

كان تأسيس الحوزة ـــ من وجهة نظر الشيرازي ـــ "في سورية جبراً للتّاريخ الأمويّ والتاريخ الماضي"[24]، و"لإحياء مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في عاصمة الأمويّين أعداء أهل البيت (عليهم السلام)"![25] على حد تعبير حسن الشيرازي نفسه.

تعتبر الحوزة الزينبية الآن أهم الحوزات العلمية في سورية وأكثرها نشاطاً وتأثيراً، وطلابها من لبنان، وشيعة السعودية والخليج، والأردن، والعراق، وسورية، وباكستان، وأفريقيا، وأفغانستان[26]، وكان الشيرازي المناضل الأصولي والمبشر يرى أن "سورية هي بوابة إلى العالم العربي وإلى العالم بأسره؛ فهي كانت ولا زالت جسراً بين العالمين الإسلامي والعربي". فاستثمر الشيرازي هذا الموقع الاستراتيجي بإنشاء الحوزة العلمية في السيدة زينب، واليوم يرى الشيعة أن "يوم افتتاح الحوزة [كان] فتحاً للشيعة ولعلمائهم؛ حيث استطاعوا أن ينفتحوا على العالم (...) فعبر هذه الحوزة أنشئت حوزات في السعودية وأفريقيا ولبنان، حيث استطاعت (...) أن توجد تياراً من العلماء يقومون بأعمال التثقيف والتعليم [الديني الشيعي] في مختلف المدن السورية"[27].

وإذا كانت الحوزة الزينبية بدأت تمارس دوراً خطيراً في التبشير الشيعي في سورية وجوارها منذ ذلك الوقت، فإنه لا يبدو أن الشيرازي استطاع أن يوجه جهده التبشيري للداخل السوري السني بقدر ما وجهه للداخل السوري العلوي، وإلى دول الجوار: لبنان ودول الخليج لمساندة الأقليات الشيعية هناك، ولكنه قام برحلات تبشيرية إلى أفريقيا (سيراليون وساحل العاج على وجه الخصوص)، وتبنى "في هذه الرحلات إيفاد مجموعة من الطلبة للدراسة في الحوزات العلمية في بيروت و[الحوزة] الزينبية ثم العودة إلى إفريقيا لغرض التدريس وتأسيس المشاريع الإسلامية"[28] بهدف التبشير وتنفيذاً لفكرة شقيقه في استعادة الفروع العلوية إلى أصلها الجعفري الإمامي.

بالتأكيد إذاً لا يعود انكفاؤه عن التبشير في الوسط السني السوري لحسن نواياه تجاه أهل البلد المضيف، بقدر ما كان الوضع في المجتمع السوري هو السبب؛ فقد تزايدت نقمة الأكثرية السنية بسبب العلونة الممنهجة للجيش والحزب التي مارسها حافظ الأسد ورفاقه منذ استيلاء البعث على السلطة في 8 آذار 1963 واستيلائهم عليه في الوقت نفسه، وفي هذا الوقت الذي أخذ الاحتقان

---

[24] مقابلة لموقع "**الشيرازي نت**" (الموقع الرسمي للمرجع الشيرازي وأخويه) مع تلميذه الأفغاني "**محمد علي العلوي**". انظر المقابلة على الرابط: http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/008.htm

[25] نقلاً عن تلميذه الأفغاني، انظر المصدر السابق نفسه.

[26] انظر: مقابلة مع "**الشيخ جلال معاش**" (عراقي، مدير الحوزة الزينبية)، صحيفة الوطن الكويتية، 1-6-2007.

[27] انظر الرابط، والتي تتضمن أيضاً سيرته الذاتية: http://rabe3_ala7rar.tripod.com/Subject.html

[28] المصدر نفسه.

الطائفي يتصاعد بشدة قدم الشيعة مساندهم للأسد ممثلة بفتوى "موسى الصدر" عن العلوية والشيعة، ولا يبدو أنه كان لدى حافظ الأسد ــ في ذلك الوقت ــ مانع من أي نشاط تبشيري شيعي؛ في ظرف كان يدافع فيه عن شيعية الطائفة العلوية لترسيخ موقعه في الرئاسة، وكان يأمل في الوقت نفسه ربما ــ ولكن على نحو أقل أهمية ــ بمساعدة الطائفة العلوية بإخراجها من عزلتها العقدية الاجتماعية[29].

الثورة الإسلامية في إيران والصدام مع إسلاميي سورية

"لا شيء يحرجنا في هذا البلد، فقد تجاوزنا العقد وتحررنا منها منذ وقت طويل"[30] كان هذا ما قاله الأسد رداً على الانتقادات التي طالته؛ لأنه ذهب إلى لبنان ليواجه المسلمين (السنة والفلسطينيين) حماية للمسيحيين في لبنان، لم يكن بالتأكيد متحمساً للمشروع المسيحي في لبنان، كان متحمساً فقط لوجود قوي وهيمنة سورية على لبنان، وعلى أية حال لعبت ميوله الطائفيه دوراً مهماً في علاقته بآيات الله في إيران، فقد كان "لها أيضاً جذور في خلفيته كأحد أبناء طائفة منشقة من التشيع، وفي شعوره بالتعاطف مع رجل دين من أصول ريفية ومن أقلية كالشيعة المحرومين في لبنان" كما يقول كاتب سيرته وصديقه الشخصي باتريك سيل[31].

في صيف 1976 عندما دخل جيش الأسد إلى لبنان أسدى إليه "موسى الصدر" خدمة أخرى؛ إذ أبقى الطائفة الشيعية اللبنانية خارج ائتلاف كمال جنبلاط اليساري، الذي كان الأسد

---

[29] يروي **الشيخ إبراهيم حسن النجار** (أحد شيوخ العلويين) هذه القصة الدالة على علاقة الأسد بشيوخ الطائفة ذوي النزعة الشيعية والملالي الشيعة في تلك الفترة: "كنّا خلال السبعينات، وذلك إمّا في عام 1975 أو 1976 مع المرحوم "**الأستاذ أحمد الخيِّر**" في سفرة إلى دمشق، ومنها قمنا بزيارة مقام السيدة زينب عليها السلام حيث التقينا هناك بسماحة المغفور له الشهيد "**السيد حسن الشيرازي**" قدس سره، فطلب السيد من الأستاذ أحمد الخيِّر (علماً أنّ الأستاذ أحمد الخيِّر هو أستاذ حافظ الأسد) أن يحدّد موعداً لزيارة الرئيس حافظ الأسد. فقال: لا مانع؛ تفضّل، وسأحدّد لك موعداً.

وفي اليوم التالي ذهبتُ وأنا بمعيّة المرحوم الأستاذ أحمد الخيِّر وآية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي إلى زيارة الرئيس حافظ الأسد. فقال السيد الرئيس ضمن حديثه وهو يخاطب السيد الشيرازي: يا سيد أنت في حمايتنا في سورية، ونحن في خدمتك واحترامك ونحافظ عليك، ولكن قلّل من ذهابك إلى لبنان، ففيها هناك مؤامرات عليك وخطر على حياتك، فابق عندنا. فأجابه السيد: "**واسحق جباه الملحدين مردّداً لا السجن يرهبني ولا الإعدام**"! فقال الرئيس له: وعلى كلّ حال فأنت من سلالة أهل البيت الطيبين الطاهرين وقلبك قوي، ولكن هذا رأيي".

الشيخ ابراهيم النجار (أحد العلويين المؤسسين للجمعية الجعفرية في اللاذقية سنة 1950، وأحد موقعي بيان العلويين 1973)، مقابلة أجراها معه موقع "**الشيرازي نت**" بتاريخ 25 أيلول 2005، انظر اللقاء على الرابط:
http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat.htm

[30] سيل، **الأسد**، ص461، نقلاً عن: ملخص الإذاعات العالمية عن الشرق الوسط من محطة الإذاعة البريطانية، العدد 5185، يوم 14 نيسان 1976.

[31] سيل، **الأسد**، ص572.



يحاول كبحه وإخضاعه آنذك[32]، أصبح الأسد مديناً للصدر مرتين، وكان عليه أن يرد الدين يوماً ما.

لعب الصدر دور صلة الوصل بين المعارضة الإيرانية المتمثلة بمعسكر الخميني وبين الأسد، فمدَّ لهم يد المساعدة[33]، وعرض على الخميني النزول في ضيافة سورية في تشرين الأول/ أكتوبر 1978 عندما أُخرج من العراق، ولكنه فضَّل أن يستقر في "نوفل لو شاتوه" قرب باريس. جاءت دعوة الأسد في وقت بدأ يواجه معارضة إسلامية سنية مسلحة.

كان الأسد يشعر بالخوف من المعارضة الإسلامية السنية المتعاظمة في الداخل، وكان يراقب بانتباه انقضاض الإسلاميين الشيعة على الشاه بقيادة الشيخ الشيعي آية الله الموسوي الخميني، لكنه على الرغم من أن دروس المعارضة الداخلية جعلته حذراً من النوم مع الإسلاميين تحت سقف واحد، إلا أنه مع ذلك أقام علاقات استثنائية مع الخميني، فما إن انتصرت الثورة الإيرانية حتى أوفد وزير خارجيته السُّني "**عبد الحليم خدام**" في آب/أغسطس 1979 مهنئاً وكان قد سبقه وزير الإعلام العلوي "أحمد اسكندر أحمد" بهدية من الأسد؛ هي نسخة من القرآن الكريم مزخرفة بالذهب.

وفي الوقت الذي بنى الأسد علاقته مع الخميني ومتنها لأسباب سياسية بالدرجة الأولى[34] ـــ تتعلق بخوفه من عدوه الرئيس العراقي "صدام حسين"، وطموحه، ومعاداة الخميني لأمريكا وقطعه للعلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل؛ والانخراط في استثمار التغيير الاستراتيجي الذي حصل في ميزان القوى بعد سقوط الشاه وتوقيع مصر معاهدة كامب ديفيد للسلام مع إسرائيل (آذار 1979) وخروجها نهائياً من الصراع العربي والإسلامي مع إسرائيل ـــ فإن الأسد كان يفكر في الوقت نفسه بمواجهة وربما معاقبة الدول الإسلامية السنية التي دعمت انتفاضة الإخوان المسلمين التي ظل يعاني منها حتى 1982، خصوصاً الأردن التي آوت قيادات الإخوان، والسعودية. لم يكن ملائماً لشعاراته القومية التي ظل يرفعها على الدوام، وينقضها باستمرار وفقاً لمقتضيات مصالحه السياسية أيضاً.

---

(32) المصدر نفسه، ص573.

(33) ساعد بعض المقربين من الخميني، مثل: إبراهيم يزدي، ومصطفى شمران، وصادق قطب زاده، فأعطى ـــ على سبيل المثال ـــ قطب زاده جواز سفر سوري مكنه من القيام بنشاط معاد لنظام الشاه تحت مظلة العمل كمراسل صحفي في باريس لجريدة الثورة السورية اليومية.

(34) انظر حول جملة الأسباب السياسية والاقتصادية لموقف الأسد:

J. Agha, & S. Khalidi, Ibid, ***Syria and Iran,*** pp.9-10.

شرارة، دولة **حزب الله**، م.س، ص316.

سيل، **الأسد**، م.س، ص ص571-575.



فشل تصدير الثورة الإيرانية

"إنكم تعرفون ماهية حزب البعث الكافر هذا (...) فإذا أعطيتم الفرصة لهذا الحزب الكافر فسوف لا يمضي وقت طويل إلا ويدمر أضرحة أئمة الإسلام ومشايخ وأئمة الشيعة والسنة، إن عدو هؤلاء الحقيقي هو الإسلام والقرآن، وإن هؤلاء يعتبرون الإسلام منافياً ومخالفاً لهم ولأهوائهم الشخصية. إن عفلق ومؤيديه لا يعتقدون بأي دين ومذهب"[35]، كان هذا جزءاً من كلام الخميني المفترض أنه حليف الرئيس الأسد الذي يحمل صفة الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي في سورية!

الواقع أن الأسد ــ على ما يبدو ــ لم يكن متحمساً كثيراً للخميني؛ إذ كان يرى فيه أصولياً، والأسد ما كان متديناً أبداً، بل كان علمانياً، وطائفيته طائفية سياسية لا تتعلق بأي قناعات دينية، لهذا السبب فبقدر ما كانت العلاقة مع الزعيم الشيعي الأكبر (الخميني) ذات وظائف سياسية كانت في المقابل لا تتضمن بعداً دينياً، بل إن الأسد حرص على ضبط العلاقة في هذا الإطار.

قام الأسد بمجازر وجرائم إبادة ضد شعبه في المدن السورية (وبشكل خاص: حلب وإدلب وحماة) في سياق محاولة قمعه الإسلاميين قمعاً وحشياً للتخلص منهم دون رجعة، لقي الأسد تغطية أمريكية؛ فقد كان دخل لبنان بصفقة أمريكية إسرائيلية، وقد أسدى ملالي إيران خدمة للأسد بصمتهم المطبق عما فعله من مذابح ومجازر 1980-1982، وذلك على الرغم من أن إيرن رفعت شعار تصدير الثورة ومناصرة الحركات الإسلامية التحررية[36] من الأنظمة الظالمة و"الكافرة" مثل النظام البعثي! ولا بد أن الأسد كان ممتناً ومديناً لهم بذلك بالتأكيد.

كيف يمكن للنظام أن يتبع سياسة في حماة وسياسة أخرى في طهران؟ أكان الصراع مع الإخوان المسلمين بكامله مجرد شيئ صوري فارغ بلا التزامات عقدية؟ أليس مشايخ إيران رجعيين ومتعصبين مثل الإسلاميين الذين قاتلهم الأسد في سورية؟ كانت هذه التساؤلات التي أطلقها الجنرال "رفعت الأسد"[37] (نائب الرئيس، وعضو القيادة القُطرية لحزب البعث، وقائد سرايا الدفاع) بعد أن بدأ يُنحَّى من مناصبه شيئاً فشيئاً إثر محاولته الانقلابية على أخيه في 30 أذار/مارس 1984. كان

---

[35] الخميني (قائد الثورة الإيرانية)، **خطاب للشعب العراقي والجيش العراقي**، 6 ذي الحجة 1400هـ (1980م).

[36] خصص قادة الثورة مكتباً في الحرس الثوري (باسيج) لدعم حركات التحرر الإسلامية باسم "**مكتب حركات التحرر الإسلامية**" وكان يرأسه في البداية "**هاشمي رفسنجاني**" والذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية. قد يكون بالإمكان تفسير موقف إيران تفسيراً مذهبياً، فالخميني وملاليه متعصبون لشيعيتهم، ولكن الأرجح أنه كان نفاقاً سياسياً لحفظ مصالحهم في التحالف مع الأسد ضد العراق ومن ورائه الأنظمة العربية؛ لأنهم في ذلك الوقت ليس لديهم موقف متشدد إزاء الإخوان المسلمين.

[37] سيل، **الأسد**، م.س، ص706.



رفعت محقّاً، ولكن حافظ الأسد ــ الذي استفاد كثيراً من دعمه لإيران، عبر إقامة محور "سوري ــ إيراني"، بالإضافة إلى محوره المتمم "االسوري ــ الشيعي"[38]، كان يقظاً جداً، فهو بالتأكيد يخشى من فكرة تصدير الثورة، خصوصاً وأن الخمينيين يضمرون أنه بعثي "كافر"، ورغم كل الود الذي أظهره الإيرانيون للأسد، فإن الأسد بقي حذراً لا يأمن جانبهم، ومن المهم ملاحظة أن عشر سنوات من دولة مرشد الثورة الخميني لم تجعل الأسد يزور الإمام الخميني[39] أو يلتقي به لأي سبب كان، على الرغم من التزايد المطرد في تقوية المحور السوري ــ الإيراني.

ثانياً: تشكيل المحور السوري الإيراني (1982– 1990)

حتى من الناحية السياسية لم يكن الأسد واثقاً جداً من آيات الله في طهران، فـــ "فضيحة إيران-كونترا" عام 1986 التي كشفت عن صفقة تسليح إسرائيلية إيرانية[40] بقيمة 100 (مليون دولار) بدءاً من عام 1980 (تاريخ اندلاع حرب الخليج الأولى) ــ والتي كشف الأسد نفسه خيوطها[41] ــ هزته بعنف، وشككته بقوة في إمكان الاعتماد على إيران في المواجهة الإسرائيلية مع ملالي لا يتورعون عن صفقات مشبوهة مع العدو، كما أن حادثة خطف السفير السوري في طهران "إياد المحمود" (في 2 تشرين الأول/أكتوبر 1986) من قبل جماعة إيرانية شيعية متطرفة يقودها "مهدي هاشمي" عزت المخاوف والريب لدى الأسد من ملالي الشيعة.

---

[38] المصدر نفسه، ص592.

[39] و لم يلتق الأسد أياً من رؤساء إيران في عهد مرشد الثورة (1979-1989)، سواء الرئيس **أبو الحسن بني صدر** (1979-1981) أو الرئيس **علي خامنئي** (1981-1989) (مرشد الثورة الإيرانية الحالي، وثالث رئيس للجمهورية)، باستثناء زيارة الرئيس خامنئي لسورية في أيلول/سبتمبر 1984.

[40] انظر: سيل، **الأسد**، م.س، ص ص780-789.

[41] سرَب الأسد خبر الصفقة الفضيحة عبر مجلة الشراع (اللبنانية) التابعة لحركة أمل، ونشرته في 3 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1986، وكان أصل القضية أن بعض كبار موظفي البيت الأبيض في إدارة الرئيس رونالد ريغان يأملون ببيع سلاح أميركي عن طريق الإسرائيليين – وربما بالموافقة على بيع السلاح الإسرائيلي إلى إيران – الإفراجَ عن الرهائن الأميركيين ببيروت! وفي نهاية آب/أغسطس من عام 1985 أقلعت من تل أبيب إلى طهران أول طائرة محملة بقذائف "تاو" ولكن هذه المرة بموافقة الولايات المتحدة، بعد أن كان يتم نقل الشحنات من تل أبيب إلى طهران بإرادة إسرائيلية متفردة منذ عام 1980. و لم يُعرف حتى اليوم ما إذا كانت الأسلحة أمريكية الصنع أم معها أسلحة إسرائيلية الصنع أيضاً.

وكان تسريب الأسد للخبر معاقبة للإيرانيين على سوء تصرفهم معه وعدم وقوفهم إلى جانبه في أزمة طائرة إل عال (1986-1987).



لم يكن الأسد في حقيقة الأمر يُسر لرؤية اللحى الشيعية الراديكالية الشعثاء في جبال لبنان وشوارع طهران، بل إنه كان يخشى أن يراها في شوارع دمشق؛ فهي تستثير مخيلته لتسترجع أحداث الثمانينيات الدموية، وتنقله من جهة أخرى إلى مشهد انقضاض الملالي على شاه إيران العلماني. وبحساباته السياسية — في الاستفادة من النزعة الدينية العنيفة للعب أدوار ونفوذ في المنطقة، وغريزته السياسية — قرر أن لا يسمح للملالي في طهران وتابعيهم في لبنان بتصدير ثورتهم إلى دمشق.

كان هذا أحد الأسباب التي جعلت الأسد حتى التسعينيات لا يسمح لأي من أعضاء حزب الله وقياداته بدخول سورية؛ إذ كان يعرف جيداً أنهم خمينيون يؤمنون بتصدير ثورة إمامهم في طهران، فضلاً عن أن "أساليبهم تمحو خط التمييز الفاصل بين نضال العرب المشروع من أجل التحرر الوطني، وبين الإرهاب"، وإن كان يريد الاستفادة "من كل ذرة من التصلب الشيعي"[42] في مواجهة إسرائيل في جنوب لبنان.

كان الأسد يقظاً للغاية، يحاول بكثير من الانتباه منع التبشير بالتشيُّع لمنع أفكار الثورة الإيرانية من التقدم إلى بلاده، وكان بانتظام وإصرار يلجم التواجد الإيراني، وفي كل مرة يشعر بتزايد النشاط الإيراني الشيعي يعمد إلى اتخاذ إجراءات لمواجهة تغلغل المؤسسات الإيرانية في المجتمع السوري، كإغلاق المعاهد والمؤسسات وحتى المستوصفات الممولة إيرانياً دون أن يقدم الأسباب، وباستمرار كانت تحركات السفير الإيراني والملحق الثقافي ومستشاره توضع تحت المراقبة، كان الأسد حازماً في ذلك، فقد كان دقيقاً في إدارة العلاقة مع إيران الشيعية: محور سياسي خالص يلعب دور توازن في القوى الإقليمية لمصلحته ومصلحة النظام الإيراني وليس أكثر من ذلك.

جمعية المرتضى "قائد المسار"

بينما كان نظام الأسد يصارع من أجل البقاء إبان أحداث العنف التي اندلعت في المدن السورية، وبعد نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية وأثناء أزمة الإخوان المسلمين أنشأ "جميل الأسد"[43]

---

[42] انظر: سيل، **الأسد**، م.س، ص759.

[43] ولد "جميل الأسد" عام 1933، انتخب عضواً في مجلس الشعب عام 1973 وبقي عضواً في مجلس الشعب حتى وفاته، وتمَّ اختياره عضواً في المؤتمر القومي الثاني عشر لحزب البعث عام 1975 (مع ابن عمه عدنان إضافة إلى شقيقه رفعت)، تخرج من كلية الحقوق، ثم حصل على شهادة دكتوراة في الحقوق من روسيا عام 1992.

وكان جميل قد عمل موظفاً في الأمن العام في شركة نفط العراق في بانياس، ثم أصبح رئيساً لبلدية القرداحة (مسقط رأس الرئيس الأسد). وتحول إلى رجل أعمال، واشتهر بممارسة الطرق غير المشروعة لكسب المال، فقد وضع مفارز مرتبطة به في المرافئ والمنافذ الحدودية تفرض الرسوم على كل بيان جمركي، عرف عنه الفساد المالي وممارسة التهريب على نطاق واسع. انظر:



(شقيق الرئيس) عام 1981 جمعية إسلامية في مدينة اللاذقية لنشر الفكر الشيعي باسم "جمعية المرتضى الإسلامية"، غير أن الجمعية التي لم تكن تحمل أفكاراً شيعية صرفة، كانت تحاول أيضاً توسيع نطاق النفوذ العلوي في سورية، فعمد جميل الأسد إلى افتتاح مقرات للجمعية في مختلف أنحاء سورية، وركز بشكل أساسي على القبائل في منطقة درعا والجزيرة ومناطق الأكراد في منطقة القامشلي، وفي مدينة اللاذقية وقرى العلويين.

وعلى الرغم من أن أفكار الجمعية كانت منفرَّة للوسط السني إلا أنه انتسب للجمعية آلاف من المواطنيين السوريين في المدن السورية وأريافها المختلفة تحت وطأة الخوف من القمع الدموي الذي مورس ضد الإخوان المسلمين، وتحت الإغراءات التي قدمتها الجمعية، فأعضاء الجمعية المهمون كانوا يُسلحون وتقدم لهم سيارات الحماية من قبل سرايا الدفاع، الأمر الذي كان يشير إلى صلة أكيدة بين الجمعية ورفعت الأسد، قائد السرايا، وعلى هذا فليس من المستغرب أن تكون الجمعية بالأساس من بنات أفكار رفعت في سياق مواجهة الإخوان المسلمين.

ما كان جميل متديناً، لكنه كان أقل علمانية من أخويه، وسمحت له ميوله الطائفية الدينية بالتفكير بجمعية دينية تبسط له النفوذ السياسي، أي إنشاء "تجمع سياسي وراء واجهة دينية"[44]، كان زعيم الجمعية يسعى بشكل خاص إلى علونة البدو والمزارعين من الجزيرة والمناطق الصحراوية وشبه الجدباء من حمص وحماة "بحجة أن سكان هذه المناطق كانوا في الأصل علويين واضطروا تحت ضغط السلطات العثمانية أن يصبحوا سنيين"[45]. عملت الجمعية بصورة علنية، وعقدت ندوات واحتفالات ومهرجانات في مختلف المناطق السورية، ورفعت يافطات الجمعية في المدن السورية، وفي معاقل شديدة التعصب ضد الشيعة[46]، وأصدرت وثائق وشهادات لمنتسبيها. وانتسب إلى هذه الجمعية ــ إضافة إلى السوريين – عدد من المسؤولين العلويين داخل النظام، وبعض كبار التجار وزعماء العشائر ممن يستهويهم التسلط. واستطاع جميل من خلال جمعيته أن ينشئ شبكة واسعة من الأتباع والمؤيدين، فكانت عشرات الحافلات تنقل مؤيديه إلى اللاذقية من شتى أنحاء سورية. وفي ظروف الحرب الدموية

Van Dam, ***The Struggle for Power***, Ibid, p.189, No. 38

توفي في كانون الأول/ديسمبر عام 2004م في مستشفى في فرنسا، وخلف وراءه ثروة هائلة بمليارات الدولات (ما يقارب خمسة مليارات دولار في البنوك في الخارج، بالإضافة إلى قصور وأراضي في فرنسا ولبنان وسورية)، ففجرت صراعاً عنيفاً بين ورثته وصلت فضائحه إلى العلن وبلغت أسماع المجتمع السوري.

[44] Ibid, p.122.

[45] Ibid, pp. 122 .123.

[46] مثلاً في مدينة دوما (ريف دمشق) معقل الحنبلية في سورية تزعم الشيخ الكردي "**أبو الحسن الميقري**" افتتاح مقر للجمعية وكان من أنشط مقراتها في دمشق وريفها.



مع الإخوان المسلمين من الطبيعي أن تلعب هذه الجمعية دوراً استخباراتياً مهماً عبر اختراقها للوسط الديني السني.

حشد خلفه بالقوة والمال والسلطة الكثيرين، وطال تأثيره بشكل خاص مناطق العلويين والمناطق الكردية، وبشيء من الدعم الذي حظي به من قبل حزب العمال الكردي (PKK) لاقت جمعية المرتضى إقبالاً في القامشلي والحسكة والقرى والبلدات الكردية (مثل بلدة "عفرين" و"جنديرس" (شمال مدينة حلب) التي افتتح فيها مقرات لجمعيته؛ إذ روَّج جميل أسد وعوداً بالاهتمام بالشأن الكردي في سورية، وبتوزيع الأسلحة الفردية على أنصاره، وكان تأثيره في الأكراد قوياً قياساً إلى الوسط السني العربي[47].

لقد خلط جميل الأسد بين الفكر العلوي والعقائد الشيعية ربما على نحو قريب من أفكار الشيوخ الإصلاحيين في الطائفة العلوية الذين كانوا يؤمنون بعودة الفرع (العلوي) إلى أصله (الشيعي الجعفري الإمامي)، وجمع حوله رجال دين منتفعين من دور الإفتاء في دمشق وبعض القرى والمدن السورية، وخلع على نفسه لقب "الإمام المرتضى"! وفي وقت لاحق ومع تزايد أتباعه أطلق على نفسه "قائد المسار" (بموازة اللقب الذي أطلقه حافظ الأسد على نفسه "قائد المسيرة")، لم تكن شخصيته الانتهازية ولا سمعته وممارساته السيئة والذائعة الصيت في الساحل تسمح بالقناعة به كقائد متدين، و لم يكن هناك شيء من مظاهر التدين يدل على "تدينه" سوى لحيته! لهذا لم يكن بين أتباعه سوى البسطاء والسذج والانتهازيين، الذين سيكون لهم دور لاحق وخطير في الغزو الشيعي لسورية.

سرعان ما أقام "الإمام المرتضى" علاقات مع الإيرانيين، وحظي بدعم ملالي الشيعة في إيران، لكن النظام الإيراني الرسمي نأى بنفسه، فعلاقته بحافظ الأسد لا تسمح له بالتورط في هذا النوع من النشاط التبشيري ذي الخلفية السياسية، وكان الإيرانيون يحاولون الدخول ـــ بطرق شتى ـــ إلى المناطق التي توجد فيها الطائفة العلوية، مستغلين ما يعتبرونه تقارباً مذهبياً مع أبنائها. وفي كل الأحوال كان الإمام الجديد "المرتضى" يحظى بدعم مالي ومعنوي من قبل المرجعيات الشيعية في العراق وإيران التي اهتمت بشكل كبير بتشييع الطائفة العلوية وتصدير الثورة؛ وبالتأكيد لم يكن يتورع عن استثمار

(47) بلغ أعضاء الجمعية الآف من الأكراد، وقد أخذ الحماس بعضهم حداً أقدم فيه أحد الأعضاء الأكراد القدامى – وهو "**رشيد مراد**" من قرية "**كفر صفرة**" ـــ على الإعلان عن تشكيل حزب سياسي باسم "**حركة التضامن الديمقراطي الكردي**" متأثر بأفكار الجمعية، وأصدر نشرة باسم "**التضامن**"، وذلك بعد حل الجمعية بفترة قصيرة، وانظر الهامش السابق رقم (54).



هذا الدعم للإثراء غير المشروع، وفي هذا السياق افتتح "الإمام المرتضى" أيضاً عشرات الحسينيات في أنحاء سورية، وبشكل خاص في الساحل السوري حول مدينتي اللاذقية وطرطوس[48].

كان حافظ الأسد يغض الطرف عن الجمعية، وربما لأنه كان مستفيداً منها فيما يتعلق بالشق الاستخباراتي، ولكن بروز انشقاقات في صفوف الضباط إبان ظهور النقاش على خلافة الرئيس حافظ الأسد، بعد تشكيله "اللجنة السداسية"[49] لإدارة البلاد أثناء مرضه في تشرين الثاني/نوفمبر 1983، حيث كان كثير من الضباط العلويين الكبار يرون في رفعت الشخص الأقوى ليحل مكانه أثناء مرضه، لم يخف جميل تأييده العلني له، ويشير البعض إلى أنه أثناء مرض الرئيس أعلن تأييده لرفعت الأسد من خلال قيام عدد كبير من أتباعه بمظاهرة أمام قصر الضيافة بدمشق تطالب بتنصيب رفعت الأسد رئيساً للبلاد! وهذا يدل على أن الجمعية فعلياً تعود إلى رفعت الأسد؛ لهذا السبب وبمجرد أن أَبَلَّ الرئيس من مرضه قرر حل الجمعية تقليماً لأظافر رفعت وإضعافه، فأصدر في منتصف كانون الأول/ديسمبر 1983 قراراً بحلِّها[50].

وإثر حلها تم اعتقال عدد غير قليل من أعضائها، خصوصاً الأكراد[51]، ودخل "الإمام المرتضى" و"قائد المسار" غير المظفَّر، حالة غياب وبقيت له بعض الصلات بكثير من أعضاء الجمعية ما لبثت أن تحولت – مع انصرافه للاهتمام بالتجارة وتجارة التهريب ومزاولة الابتزاز في الموانئ

---

[48] يقدر بعض مواطني اللاذقية عدد الحسينيات التي خلفتها جمعية المرتضى بحوالي 76 حسينية في مدينة اللاذقية وحولها فقط، حسب شهادة أحد المواطنين فإن هذه الحسينيات آلت "إلى خرائب يأوي إليها الشذاذ للعب القمار وشرب الخمور وأشياء أخرى يعف عن ذكرها القلم.. أكبر هذه الحسينيات كان في ضاحية "**دم سرخوب**" وتنوف مساحتها على ستة آلاف متر مربع وأصغرها في قرية "**عين التينة**" لا تكاد تزيد عن 40 متراً مربعاً". غير أن هذا الرقم الذي قد يكون دقيقاً لا يعني أن هذه الحسينيات من إنجاز الجمعية، فهناك تيار شيعي في وسط العلويين لابد أنه شيَّد عدداً منها قبل وجود جمعية المرتضى أساساً.

الشهادة منشورة على الإنترنت، بعنوان: "**رسالة من مواطن سوري حول المد الصفوي في اللاذقية**"، يمكن مطالعتها على الرابط:
http://www.d-sunnah.net/forum/showthread.php?t=62624

[49] أصدر الأسد وهو على فراش المرض أوامره بتشكيل لجنة سداسية أناط بها إدارة الأمور اليومية، مكونة من: وزير الخارجية "**عبد الحليم خدام**"، والأمين العام المساعد للقيادة القومية لحزب البعث "**عبد الله الأحمر**"، ووزير الدفاع "**مصطفى طلاس**"، ورئيس الأركان "**حكمت الشهابي**"، ورئيس الوزراء "**عبد الرؤوف الكسم**"، و"**زهير مشارقة**" الأمين العام المساعد للقيادة القُطرية لحزب البعث (جميعهم سنيون)، بيد أن الأمر غير الطبيعي هو عدم تعيين رفعت الأسد، والذي كان ترتيبه ضمن أعلى عشرة مراكز بالحزب، في هذه اللجنة السداسية التوجيهية، ورغم أنه كان أقوى أعضاء القيادة القُطرية بعد الرئيس نفسه، وكان يتمتع بقاعدة قوية داخل القوات المسلحة المكونة من سرايا دفاعه ذات الأسلحة الثقيلة والبالغ عددها 55 ألفاً وربما كانت هذه السرايا نظرياً تتبع رئيس الأركان أو وزير الدفاع، أما عملياً فقد كانت هذه السرايا تتصرف كتشكيلات مستقلة، وقد يعود لهذا السبب بجانب تصرفات رفعت التي تتسم بالتهور وعدم الحنكة والفساد، أن تقاعس الرئيس عن اختياره عضواً في اللجنة السداسية. انظر:
Van Dam, ***The Struggle for Power***, Ibid, p. 199.

[50] انظر: سيل، **الأسد**، م.س، ص695. وأيضاً: Van Dam, ***The Struggle for Power***, Ibid, p. 122.

[51] حسب رواية أحد شهود العيان لنا (طلب عدم ذكر اسمه) فإن الاعتقال في صفوف أعضاء الجمعية كان كبيراً في مناطق الأكراد.



والنوافذ الحدودية الجمركية – إلى عصابات مسلحة (عرفت باسم "الشبِّيحة") في العديد من المدن السورية، أثارت قلاقل للأمن والاستقرار الداخلي، وقد تحمل النظام أنواعاً مختلفة من الأنشطة غير المشروعة المتسمة بالعنف التي كان يقوم بها جميل الأسد وباقي الأفراد الأصغر سناً من أسرة الأسد الموسعة، بمن فيهم "فواز" نجل جميل، خاصة في منطقتي اللاذقية وطرطوس وقد تم كبح هذه الأنشطة فيما بعد ولو جزئياً، ولكنها بقيت مستمرة، حتى مطلع التسعينيات، حيث وَسَّدَ إلى "باسل الأسد" التصدي لها. لكن الجمعية خلفت وراءها عدداً من المنتفعين وربما المؤمنين الذي تسربت إليهم بعض قناعات شيعية في مختلف أنحاء البلاد.

لقد شكلت جمعية المرتضى أول نشاط تبشيري "شيعي" سياسي واسع النطاق مورس على الأراضي السورية تحت سمع وبصر النظام، لكنه نشاط تبشيري لأغراض سياسية محليَّة وليست إقليمية تتعلق بالمحور الإيراني أو هلاله الشيعي.

تشييع الطائفة العلوية

بقي العلويون في عزلة وعقائدهم توغل في كنف الأسرار والأساطير، ولم تدب اليقظة في الطائفة إلا مع مطلع القرن الهجري الثالث عشر (نهاية القرن التاسع عشر الميلادي) وعند بدايات ظهور الدولة الوطنية[52]، إلا أن جذور اليقظة قد تعود إلى سنة (1271هـ/1854م) عندما وقّع خمسة عشر من زعماء العشائر العلوية اتفاق "إلغاء العشائرية"[53] بعد أن بقيت عهداً طويلاً في صراع وتنافس مرير[54].

---

[52] أرَّخ ليقظة العلويين الشيخ "**عبد الرحمن الخيِّر**"، في سلسلة مقالات مهمة للغاية في "**مجلة النهضة**" – التي كانت تصدر في مدنية طرطوس – بين عامي (1937- 1938)، ثم جمع المقالات ونشرها نجله "**هاني الخيِّر**" في كتاب صغير مستقل عام 1996 تحت عنوان "**يقظة المسلمين العلويين**". انظر الكتاب على الرابط: http://alawi12.tripod.com/yaqaza.htm

[53] نص الوثيقة: "(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم). الباعث تحريره في يوم تاريخه: قد حضرنا، الفقراء لله، طلبة العِلم، المرقومة أسماؤهم أدناه، وقد اجتمعنا مع بعضنا البعض وحصلت المكالمة بيننا، حيث أننا عبيد الله ورعية الدولة العالية، وكل منا قصده رضاء ربّه، وقد اتفقنا واعتمدنا على خيرة الله تعالى وصرنا عشيرة واحدة، وصار صالحُ الدم والغيرة واحدة على حق الله تعالى؛ وإذا أحد منا ادَّعى على أخيه بدعوى من جميع الدعاوى يترافعان مع بعضهما البعض بالشرع الشريف، وكما يثبت ويحكم يجري العمل، ومَن اتَّبع رأينا من عامة الشعب له ما لنا وعليه ما علينا؛ فعلى هذا الوجه المشروع تم الرضا وحصل الاتفاق منا جميعاً برضانا واختيارنا، وتحرر هذا السند لوقت الحاجة. تاريخ هذا السند: (1271هـ). الشيخ **حبيب عيسى** – متور، الشيخ **صالح علي** – الحداديات، الشيخ **ديب الأحمد** – البيري، الشيخ **جابر عباس** – الطليعي، الشيخ **محمد يوسف** – رأس الخشوف، الشيخ **إبراهيم مرهج**، الشيخ **إسماعيل أوبين**، الشيخ **الحاج عبد العال الحاج**،



وشأن أي جماعة دينية عندما تريد الانخراط في العالم الجديد والخروج من عزلتها وفي الوقت نفسه تود أن تحافظ على هويتها فإنها تولِّد حركات إصلاح ديني، هي في جوهرها حركة لمواجهة تحديات العصر والبحث عن أسباب البقاء والاستمرار. ولانعرف بالضبط ما إذا شهدت الطائفة العلوية هذا النوع من الحركات من قبل، بل إن بعض الكتابات تشير إلى أن حركة الإصلاح الديني هذه جديدة كلياً في الطائفة[55] الغارقة في سبات منذ قرون طويلة جداً، وعموماً فإن حركات الإصلاح الديني تتجه غالباً لإخراج الجماعة من العقائد التي تتسبب بعزلها عن الجماعة الكبرى، وتدفعها ربما لتأويلها أو مدها بالتفسيرات العقلية، وإذا عجزت عن ذلك في بعض العقائد تبدأ بالتخلي عنها بطرق شتى تحت مسميات التقليد والخرافات والانحرافات عن العقائد الأصل. ومن المنطقي أن تكون أُولى سُبل التأويل إعادة الفرع العقدي إلى أصله، أو مقاربته بأصله، وفي حالة العلوية النصيرية يعني – بالطبع – إعادة الطائفة إلى أصلها الشيعي الجعفري الاثنى عشري، فمن الطبيعي إذاً أن يبدأ التفكير بالخروج من العزلة بأفكار تصب في النهاية في سلة الشيعة الجعفرية.

1. عودة الفرع إلى أصله

هذا ما حصل ربما في الطائفة العلوية مع بدء ظهور مصلحين دينيين في نهاية القرن التاسع عشر، وبافتتاح أول مسجد في جبل العلويين "في (بيت الشيخ يونس – صافيتا)؛ الذي شرع في ابتنائه كل من ... الشيخ **غانم ياسين** والشيخ **عبد الحميد أفندي** – الذي نُسب إليه آنئذ أعمال سياسية فنفي إلى طرابزون وتزوج منها وعاد مكرماً –، ثم أتم الجامع المذكور ... المرحوم الشيخ **ياسين يونس** والشيخ **سليم الغانم** سنة 1286هـ [1869م]. وقد قام المرحوم الشيخ ياسين – الآنف الذكر –

الشيخ **حسين المسقس**، **عمران حمدان** – الزاوي، الشيخ **حسين أحمد** – حمين، الشيخ **يونس ياسين** – بيت الشيخ يونس، الشيخ **صالح عمران** – الصومعة، الشيخ **سليمان عباس** – كاف الحبش، الشيخ **إبراهيم السعيد** – البهلولية".

أعد هذه الوثيقة ونشرها على الانترنت "سام محمد الحامد علي" نقلاً عن مخطوط كتاب للشيخ العلوي "**عبد الهادي حيدر**" بعنوان "**المراجعات**" (ج2، ص566) الذي يشير إلى أنه عثر على هذه الوثيقة في بيت الشيخ العلوي "**يونس ياسين**" (في بلدة صافيتا)، ولم يتسنَ لنا التأكد من صحة الوثيقة. انظر الوثيقة على الانترنت:

http://www.alaweenet/cms/modules/news/article.php?storyid=65

[54] حول الصراع والتنافس العشائري في القرن التاسع عشر انظر: بن عبد الجليل، **الفرقة الهامشية**، م.س، ص ص 113-114.

[55] يشير **عبد الرحمن الخيِّر** إلى أن "بدء الجمود [في الطائفة] كان في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة، حيث تكاد أعمال المؤلفين تقتصر في ذلك الحين وما يليه على إعادة وتكرير ما كتبه سابقوهم من العلماء دون أن يضيفوا شيئا يذكر". انظر: المصدر السابق.



بإمامة الجامع طيلة حياته وخلفه ولده الولي العلاّمة الشيخ **محمد ياسين**"[56]، وذلك في وقت كان العلويون يمتنعون عن إعمار المساجد في جبالهم[57].

أخذت يقظة العلويين بالنُّمو حتى قام الشيخ "**علي عباس**" و"افتتح في أواخر الحرب الكونية [الأولى] مدرسة في قرية العنازة بانياس جمعت أكثر من مائة وعشرين طالباً وستة معلمين كلهم علويون"[58] درس فيها أصول الدين واللغة. بدأت في هذه الفترة – على ما يبدو – تصعد أفكار الإصلاح الديني باتجاه الفكر الشيعي الإمامي، ففي فتوى لأحد زعماء الطائفة النصيرية الكبار (وهو من المنخرطين في الإصلاح الديني) "**الشيخ سليمان الأحمد**"[59] في مسألة جواز الجمع بين البنت وعمتها أو خالتها في ذمة رجل واحد[60]، ويلاحظ في الفتوى – التي صدرت في أوائل العشرينيات المنصرمة – ثلاثة أمور غاية في الأهمية: أولها التأكيد على أن المذهب الإمامي الجعفري "هو الأصل"، والطائفة العلوية النصيرية "فرع منه" وعليه فإن رجوع الطائفة إليه "في أصول الفقه وفروعه هو الواجب الحق الذي لا مندوحة عنه".

وثانيها أن هذا التأكيد على هذه العودة للأصل الشيعي يبدو بدعة جديدة ابتدعها الإصلاحيون الدينيون؛ فثمة تأكيد على ضرورة الصلة بين المذهب الشيعي والنصيرية؛ إذ كان سبب الانقطاع "بواسطة السياسة من مئات السنين حتى انتبه إليها في عصرنا هذا" أي أن فكرة العودة للأصل جديدة كلياً حتى ذلك الوقت.

---

(56) بُني بعده مسجدان في قضاء صافيتا: "**مسجد الخضر**" في قرية "تلة الطليعي" والآخر في قرية "**ضهر بشير**"، انظر: المصدر السابق.

(57) لم يكن لدى العلويين مساجد فصلاتهم السرِّية تقتضي الاختباء حتى من ذويهم وزوجاتهم وأولادهم، والجوامع باعتبارها إعلان للعبادة ونقض لسريتها، لم تكن جائزة في عقائد الطائفة، وهذا يعني أن بناء الجوامع جاء استناداً إلى تأثير خارجي، سيتبين فيما بعد أنه كان شيعياً جعفرياً.

ومن الطريف يعزو أحد شيوخ العلويين عدم بناء المساجد والجوامع عند العلويين (النصيريين) إلى "الفقر، والاهتمام بالعمل مما يمنع من التردد على المساجد"! انظر: سعود، عبد اللطيف (ت 1935)، **العلويون شيعيّون**، مجلة النهضة (عدد خاص عن العلويين) طرطوس، العدد 8، شهر تموز 1938. نقلاً عن: بن عبد الجليل، **الفرقة الهامشية**، م.س، ص182.

(58) الخيِّر، **يقظة المسلمين العلويين**، م.س. ويضيف **الخيِّر** إنه: "ولأسباب قاهرة لم تعمر – مع الأسف – تلك المدرسة إلا عامين فقط".

(59) الشيخ **سليمان الأحمد**، لغوي وعالم دين علوي، من كبار شيوخ الطائفة، درس الفقه علي يد الداعية الشيعي الكبير "**عبد الحسين شرف الدين الموسوي**" (صاحب الكتاب التبشيري "**المراجعات**")، كان عضواً في مجمَّع اللغة العربية في دمشق، وهو والد الشاعر السوري المعروف "**بدوي الجبل**".

(60) نص الوثيقة كاملاً ورد في بيان شيوخ العلويين الشهير: "**المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت** (ع)"، دار الصادق، طرابلس، ط1، 1392هـ (1973م)، ص12.



وثالثها أن مرجعية العلويين الفقهية – أو بتسمية الشيخ الأحمد "الإرث وآداب الشريعة" — حتى ذلك الوقت كانت "**أهل السنة**؛ بحكم الوقت والأحوال والرخصة المعطاة لهم من أئمتهم حسبما يسمح به التأويل" على حد تعبيره.

في هذا المناخ الذي هب عليه رياح الإصلاح الديني نشأ "**عبد الرحمن الخيِّر**"[61] الذي أسس (مع بعض أصدقائه) في عام (1925م) "**جمعية اللاطائفية**" كجمعية إصلاحية "لمكافحة التعصب العشائري والعزلة الاجتماعية، ومعالجة حالات الجهل والفقر والحرمان التي خلفتها العهود من ظلم المتسلطين وتجاوزهم بحق أبناء الطائفة"[62].

2. الديانة في دولة العلويين المستقلّة

كانت حركة الإصلاح العلوي الديني قد بدأت تستقطب عدداً من مثقفي وعلماء الدين من نخبة المجتمع العلوي، ففي عام 1936 وقع عدد من رجال الدين العلويين بياناً هو الأول من نوعه؛ إذ يوضح في بندين عقيدة العلويين بأنها عقيدة إسلامية: "البند الأول: كل علوي فهو مسلم يقول ويعتقد بالشهادتين، ويقيم أركان الإسلام الخمسة. البند الثاني: كل علوي لا يعترف بإسلاميته، أو ينكر أن القرآن كتابه وأن محمداً (ص) نبيه، لا يعد في نظر الشرع علوياً، ولا يصح انتسابه للمسلمين العلويين"[63]. وهذا البيان لم يصرح أبداً بشيعية العقيدة العلوية، وإنما كان حريصاً على إسلاميته، وفيه مغازلة واضحة للمسلمين السنة، بالتأكيد على "الشهادتين" و"أركان الإسلام الخمسة".

ويبدو أن هذا البيان جاء في سياق الخلاف داخل الطائفة حول فكرة "الدولة العلوية" التي أراد الفرنسيون إنشاءها، ففي مقابل إثبات إسلامية العلويين وفي إطار تصاعد التيار الديني المتنامي والمنجذب نحو الشيعة كان ثمة توجُّه لدى بعض الشيوخ والزعامات النصيرية القويَّة للنأي بالطائفة عن الإسلام ذاته كدين بالكامل، واعتبار النصيرية ملَّة وأقلية دينية مستقلة، رغبة في دعم الفرنسيين لهم في

---

[61] الشيخ **عبد الرحمن الخيِّر** (1903-1986)، والده الشيخ محمد ديب الدرويش الخيِّر كان من كبار شيوخ الطائفة في قرية **القرداحة**، وعمه "**أحمد ديب الخيِّر**"، قاضي قضاة الطائفة أواخر الدولة العثمانية، تتلمذ على يد الشيخ "**علي عباس**"، ودرَس في مدرسته، كما تأثر بشكل خاص بأستاذه الشيخ "**سليمان الأحمد**" (انظر هامش رقم 53). يعتبر أبرز الشيوخ العلويين الذين جهدوا لإعادة الفرع النصيري إلى أصله الشيعي الاثني عشري.

[62] انظر موقع "**المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب**"، صفحة "من رواد التقريب"، على الرابط:
www.taghrib.org/arabic/rowad/alkher.htm

[63] من نص بيان "**المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت** (ع)"، م.س، ص9.



إقامة دولة مستقلة، كان هذا واضحاً في العريضة التي قدمها قادة نصيريون إلى رئيس الحكومة الفرنسية "**ليون بلوم**" في 15 حزيران 1936، والتي يدعون فيها إلى استقلال العلويين بدولة خاصة بهم، وجاء فيها أن "**الشعب العلوي** ــ الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة؛ بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس ــ **هو شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم** [السني]" [(64)].

بعد ما يزيد عن شهر تقريباً من تاريخ توقيع هذه العريضة، وتحديداً في 27 تموز 1936: رفع رجال دين وزعماء عشائريون علويون عريضة إلى وزارة الخارجية الفرنسية يحتجون فيها على التبشير المسيحي الذي يقوم به الآباء اليسوعيون في أوساط العلويين بدءاً من عام 1930، باعتبار أن "هذه الحوادث التبشيرية ــ التي تكون معذورة لو أن الدافع لها اليقين والإيمان ــ إلا أن الشيء المشين في هذه الحوادث ــ وهنا موضع استيائنا وعليه احتجاجنا ــ هو استثمار واستغلال فاقة شعب فقير وشراء ضمائر ضعيفة كما تُشترى السلع لتمرُق من دين إلى دين آخر"[(65)]، ويطالبون بالوحدة السورية، ويؤكدون فيها بأن "العلويين شيعة مسلمون، وقد برهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهم عن قبول كل دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم، فهم يحتفظون بشدة بالعقيدة الشيعية الإسلامية". كان هذا

---

(64) وثيقة محفوظات الخارجية الفرنسية رقم 3547، تاريخ 15- 6- 1936. الموقعون: محمد سليمان الأحمد, محمود آغا حديد, عزي آغا غواش, سلمان المرشد, محمد بيك جنيد, سليمان الأسد.

(65) وقع الوثيقة أكثر من 50 شخص من وجهاء ورجال دين علويين، بالإضافة إلى 21 شخصاً من الوجهاء والسياسيين ورجال الدين المسيحيين، إضافة إلى بعض السياسيين السُنَّة، وهم: حليم بشور (من الأعيان المسيحيين)، أسعد هارون (عضو البلدية)، وزعيم الشباب الوطني)، الدكتور ميخائيل بشور (عضو سابق بالجمعية التأسيسية)، الدكتور اسكندر بشور، نقولا بشور، اسبر بشور، عزيز عرنوق، اسبر الطيار، رفيق البيطار، زاهي عرنوق، ابراهيم خوري، الأب يوسف بطرس، الأب اسطفان سابا، سليمان شدياق، عبد الله روفائيل، الأب موسى ديب، ياخوس عركوش، عبد الواحد هارون (زعيم سني نائب سابق في البرلمان العثماني)، محمود عبد الرزاق (نائب)، فايز الياس (نقيب المحامين)، عبد القادر شريتح (زعيم سني ونائب سابق).

محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية- سوريا/لبنان، مجلد 492-493 "**برقية المطالبين بالوحدة مع سورية في منطقة العلويين مرسلة من اللاذقية في 2 تموز 1936**"، انظر نص الوثيقة كاملاً على الإنترنت على الرابط:

http://www.alaweenonline.com/site/modules/news/article.php?storyid=15

وقد ذكر بيانُ "**المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت** (ع)" (ص ص10-11) مقاطع من هذه الوثيقة دون تاريخ ولا توضيح، وينسب للوثيقة مقطعين لم نجدهما في نسخة الوثيقة التي استطعنا الوصول إليها، وهو" إن العلويين ليسوا سوى أنصار الإمام علي – عليه السلام – وما الإمام علي سوى ابن عم الرسول (ص) وصهره ووصيه، وأول من آمن بالإسلام، ومن مكانه في الجهاد والفقه والدين الإسلامي مكانه، وإن القرآن الكريم هو كتاب العلويين" والمقطع: "وما العلويين سوى أحفاد القبائل العربية التي ناصرت الإمام علياً – عليه السلام – فوق صعيد الفرات".

كما أن هذا البيان ("**المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت** (ع)") (ص11) يذكر ــ قبل هذه الوثيقة ــ أن قضاة الطائفة العلوية سبق وأن ردوا على رغبة الفرنسيين في أن يكون للمحاكم المذهبية العلوية تشريع خاص مباين للتشريع الإسلامي، فرفض القضاة العلويون ذلك وأعلنوا أنهم مسلمون، وتشريعهم إسلامي جعفري. مما اضطر الفرنسيين للتراجع عن فكرتهم وجعل القضاء في الأحوال الشخصية للعلويين على الفقه الشيعي الجعفري.



التصريح الجماعي هو الأول من نوعه في تاريخ الطائفة النصيرية، وقد جاء هذا البيان وسابقه في سياق معترك سياسي وانشقاق بدأ يدب داخل الطائفة بسبب قضية استقلال العلويين في دولة وخيار الانضمام للدولة الوطنية على مشارف خروج الاحتلال الفرنسي[66].

وفي عام 1938 وقَّع أحد عشر من رجال الدين العلويين وشخصياهم البارزة جواباً على سؤال عن عقيدة العلويين، جاء فيه ـــ على لسانهم ـــ أن "مذهبنا في الإسلام هو مذهب الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام)"[67]، وهذه الوثيقة التاريخية تمثل ثاني بيان جماعي يُعلن فيه زعماء دينيون علويون انتساب الطائفة العلوية النصيرية إلى الشيعة الجعفرية[68]، وهو بمترلة إيذان بانتشار الدعوة الشيعية وتحولها إلى ظاهرة في الطائفة.

---

[66] في 22 تموز من عام 1922 أعلنت الدول العلوية ضمن اتحاد سورية الفيدرالي، وفي مطلع عام 1924 صدر قرار بإلغاء الاتحاد وإبقاء دولة العلويين مستقلة، وأصبحت تعرف بـــ "دولة العلويين المستقلة"، كانت إنشاء دولة علوية مستقلة مطلباً نصيرياً صريحاً، ففي نص القرار الذي أصدره **الجنرال غورو** (H. Gouraux) يذكر "لما كان النصيرية قد صرحوا جلياً ومراراً بآمالهم بأن يكون لهم إدارة قائمة بذاتها تحت رعاية فرنسية؛ لأجل ذلك يجب أن تنشأ مقاطعة تجمع أكثرية هؤلاء لتتيح لهم أن يواصلوا السعي في سبيل مصالحهم السياسية والاقتصادية تحقيقاً للأماني التي صرحوا بها".

انظر: الحكيم، حسن، **الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية**، بيروت، 1974، ص245، الوثيقة رقم 43. نقلاً عن: بن عبد الجليل، **الفرقة الهامشية**، م.س، ص119.

وعندما شعرت الطائفة النصيرية بأن سورية مقبلة على الاستقلال وأن الفرنسيين سيغادرون (وبدون الفرنسيين لن تستمر "دولة العلويين المستقلة" التي لا تمتلك مقومات الدولة أساساً) قرر العلويون الطلب من فرنسا إلحاق الدولة العلوية بلبنان لا بسورية! ففي عريضة رفعها "المجلس التمثيلي النصيري" إلى وزير خارجية فرنسا في 24 حزيران 1936: "نحن نرفض رفضاً قاطعاً أي اندماج بسورية، نحن نطالب باستقلالنا تحت وصاية فرنسا (...) إننا متمسكون بشدة بقرارنا بمقاومة الهيمنة السورية بكل السبل، وحتى بالقوة. وستكون فرنسا مسؤولة عن الدماء التي ستسيل. وإن كان استقلالنا مستحيلاً دولياً؛ فإننا نوافق على التباحث مع لبنان حول اتحاد يضمن استقلالنا الذاتي الكامل تحت حماية فرنسا". انظر:

Archive du Ministère des Affaires Etragères, Levant, Syria-Liban, 1930-1940, volume 493, p. 8.

نقلاً عن: بن عبد الجليل، **الفرقة الهامشية**، م.س، ص121.

وعندما ضُمَّت الدولة العلوية للأراضي السورية وأصبحت محافظة من محافظات الدولة السورية في10 كانون الثاني 1937 أصبح العلويون مضطرون للانضمام للأكثرية في وجه الاحتلال!

[67] نشرت الوثيقة في مجلة "**المرشد العربي**" التي كان يصدرها الشريف عبد الله آل علوي الحسني ابن الأمير الشريف حسن بن فضل باشا (أمير ظفار) من مطبعة الإرشاد في اللاذقية، عام 1357 هـــ/1938م.

انظر هذه الوثيقة أيضاً في: مقدمة محقق كتاب: الخصيبي، **الهداية الكبرى**، م.س، ص19 وقد ورد هذا النص بجملته في بيان "**المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت** (ع)"، م.س، ص10. ويشير البيان إلى أن ما كتب في هذه المناسبة جمع ونشر أكثره الشريف "**عبد الله آل الفضل**" في كتيب عنوانه: "**تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله**"، وطبع في مطبعة الإرشاد باللاذقية سنة 1357هـ، ولعله نشره في كتيب بعد أن نشره في المجلة في العام نفسه.

[68] في العام نفسه صدرت عدة وثائق جماعية بعد هذه الوثيقة، منها رد عدد من رجال الدين في الطائفة العلوية في بلدة "صافيتا" على مقال نشر في **صحيفة النهار** يتعرض لعقائد الطائفة نشر الرد في 3 آب 1938 في نفس الصحيفة، وأصدر زعماء علويون بياناً

3. الظاهرة

انتشار دعوة الأصل الشيعي والعودة للأصل في أوساط العلويين بلغت حداً دفع بالشيخ عبد الرحمن الخيِّر ــ الذي نشط في بناء المساجد والحسينيات ــ إلى تأسيس "**الجمعية الخيرية الإسلاميّة الجعفرية**" في اللاذقية سنة 1950، والتي ستكون قاعدة فيما بعد للنشاط الشيعي الجديد في الطائفة في عهد حافظ الأسد وما بعده.

وخلال عام 1952 وبعد مناقشات طويلة ومراجعات لشيوخ من الطائفة مع المفتي العام استمرت 20 يوماً في دمشق استصدر العلويون مرسوماً تشريعياً[69] رقم 3 في 15 حزيران/يونيو، ينص على تأليف "لجنة خاصة بالجعفريين من علمائهم في مركز محافظة اللاذقية قوامها ثلاثة أشخاص من العلماء الجعفريين ويضاف إليهم شخص واحد من كل قضاء عندما يتعلق البحث في قضائه" وقراراً من مفتي الجمهورية السورية (رقم 8) في 27 أيلول/سبتمبر 1952، وتألفت اللجنة بموجب هذا المرسوم من علماء الطائفة العلوية، وقامت بفحص من تقدم إليها من شيوخ جعفريين، وأجازت بعضهم وسمحت لهم بارتداء الكسوة الدينية المنصوص عليها في المرسوم التشريعي.

بدأ المصلحون الدينيون العلويون المنشدّون بقوة لفكرة الأصل الشيعي ينسجون علاقاتهم مع المراجع الدينية الشيعية، وقد جذبت هذه العلاقات المراجع الشيعية في العراق وإيران لاستكشاف الحركة الدينية الجديدة في جبل العلويين النصيريين، وقد يكون أوائل رجال الدين الذين زاروا الجبل واطلعوا على أحوال الطائفة الشيخ **محمد جواد مغنية** سنة 1961 (رجل الدين الشيعي اللبناني

تعقيباً على هذا الموضوع نفسه، استمدوا فيه تعبيرات الفتوى السالفة، نشرته جريدة النهار أيضاً في العدد 1454، آب، عام 1938.

انظر نص البيانين في **مقدمة** محقق كتاب: الخصيبي، **الهداية الكبرى**، م.س، ص ص20-23.

[69] نص المرسوم: "إن رئيس الدولة بناء على الأمر العسكري رقم 3 المؤرخ في 1951/03/03. وبناء على المرسوم التشريعي رقم 257 بتاريخ 8 حزيران عام 1952، وبناء على قرار مجلس الوزراء رقم 3 / تاريخ 1952/06/14. وبناء على المرسوم التشريعي رقم 23 / المؤرخ في 2 ربيع الثاني هجرية هـ/ 30 كانون الاول 1951 م. وعلى وجوب عدد كبير من أهالي محافظة اللاذقية على المذهب الجعفري. وعلى اقتراح المفتي العام رسم ما يلي: المادة الأولى: يضاف إلى المادة الثالثة من المرسوم التشريعي رقم 33 الفقرة التالية: تؤلف لجنة خاصة بالجعفريين من علمائهم في مركز محافظة اللاذقية قوامها ثلاثة أشخاص من العلماء الجعفريين ويضاف إليهم شخص واحد من كل قضاء عندما يتعلق البحث في قضائه. ويسمى أعضاء هذه اللجنة بقرار من المفتي العام من العلماء الأكفاء. مهمتها فحص حالة متدينين بالكسوة الدينية على المذهب الجعفري والذين يرغبون ارتداء هذه الكسوة وإقرار من يحق لهم الاحتفاظ بها ومن منح تتحقق اللجنة من أنه دخيل على سلك رجال الدين من ارتدائها. المادة الثانية: ينشر هذا المرسوم التشريعي ويبلغ من يلزم. دمشق في 15 حزيران عام 1952 - **الزعيم فوزي سلو**".



المعروف)، والذي تحدَّث لمرجعه "آية الله السيد **محسن الحكيم**" ـــ بعد زيارته ـــ عما شاهد ولمس من "**المصلحين**"، و"عن المصلّين والمؤمنين حقاً بكل ما في معنى الإيمان [الشيعي] الصحيح"[70].

في الفترة بين 3-7 شعبان 1392/نوفمبر 1972 زار رجل الدين الشيعي حسن الشيرازي ـــ المبشر الأصولي الذي سيكون له فيما بعد دور تاريخي في التشيُّع العلوي ـــ لأول مرة جبل العلويين، "على رأس وفد من العلماء بأمر من سماحة الإمام المجدد المرجع الديني ... السيد محمد الشيرازي (دام ظله)" [71]، وذلك لـــ"إجلاء الهوية الدينية للعلويين، مساهمة منه في إزاحة الضباب التاريخي الذي يلفُّهم"[72]، الذي كان "منذ توليه مقام المرجعية (...) يفكر في قضية العلويين، باعتبارهم جزءاً من العالم الشيعي الذي يشعر بمسؤولية عنه"[73].

التقى الشيرازي بعدد من شيوخهم[74]، وفي 24 شعبان 1392هـ اجتمع عدد كبير من شيوخ العلويين (74 سوريون، و6 لبنانيون) بتحريض من الشيرازي وقرروا إصدار بيان[75] ينسب العلويين للشيعة الجعفرية الاثني عشرية، ويؤكد على أن "التسمية: (الشيعي والعلوي) تشير إلى مدلول واحد، وإلى فئة واحدة هي الفئة الجعفرية الإمامية الاثنا عشرية". طبع البيان في طرابلس لبنان بعد ثلاثة أشهر من هذا الاجتماع، في (ذي القعدة 1392هـ/ الموافق لـــ كانون الثاني/ديسمبر من عام 1972م)، وقدم له الشيرازي بفتوى تتضمن أيضاً التصريح بأن العلويين شيعة[76].

---

(70) من نص رسالة مؤرخة في 1961/04/23 أرسلها لشيخ الطائفة "**سليمان الأحمد**"، تحدث فيها مغنية عن زيارته للجبل.
انظر الرسالة في: النيسابوري، محمد البادياني، **العلويون هم أتباع أهل البيت: فتاوى مراجعهم وشرح نص بيانهم**، دار الإرشاد، بيروت، ط1، د.ت، مج1، ص130. وقد نشر الكترونياً نص هذه الرسالة "سام محمد علي الحامد"، على موقع **العلويون أونلاين**، على الرابط: http://www.alaweenonline.com/site/modules/news/article.php?storyid=142

(71) انظر مقدمة الشيرازي لبيان "**المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت** (ع)"، م.س، ص3. ويضيف الشيرازي: "فالتقيت بجماعة من أفاضل علمائهم ومثقفيهم، وبجموع من أبناء المدن والقرى في جوامعهم ومجامعهم".

(72) مقابلة مع حسن الشيرازي، **صحيفة الحياة** (اللندنية)، 16 تموز 1973. والنص التالي هو الجزء الأهم من هذه المقابلة: "[الحياة]: لقد تبنّيتم قضية العلويين منذ سنوات، فهل يمكن أن نعرف الدافع إلى ذلك؟ [الشيرازي]: لا بد من الإجابة على هذا السؤال بشيء من التبسيط؛ فسماحة أخي المرجع السيد **محمد الشيرازي منذ توليه مقام المرجعية كان يفكر في قضية العلويين، باعتبارهم جزءاً من العالم الشيعي الذي يشعر بمسؤولية عنه، وقد كلَّفني منذ ثلاث سنوات [1970] إجلاء الهوية الدينية للعلويين**، مساهمة منه في إزاحة الضباب التاريخي الذي يلفُّهم (...) فالاضطهاد الذي عانوه ـــ كما عانته بقية الشيعة في العالم ـــ على مدى ثلاثة عشر قرناً لم يكن اضطهاداً سياسياً فحسب، وإنما كان اضطهاداً فكرياً أيضاً، وهذا ما جعلنا شركاء في المحنة، ومسؤولين جميعاً عن الاشتراك في إزالة أسباب المحنة سياسياً وفكرياً".

(73) المصدر نفسه.

(74) انظر مقدمة الشيرازي لبيان "**المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت** (ع)"، م.س، ص3.

(75) صدر البيان في يناير/كانون الثاني 1973 عن دار الصادق بطرابلس لبنان.

(76) انظر الهامش رقم (24).



بعد خمسة وثلاثين عاماً من آخر بيان أصدره زعماء دين علويون يوضحون انتمائهم فقهياً وعقدياً للشيعة الجعفرية، يأتي هذا البيان ــ شأن عريضة 27 آب 1936 للخارجية الفرنسية ــ في سياق معترك سياسي للطائفة، فقد كان الحديث عن الطائفية في أوجه مع بداية عهد حافظ الأسد الذي كان قد مارس علونة ممنهجة للسلطة والجيش والحزب، وقد بدأ الحديث يدور فيه عن استفتاء لدستور جديد للبلاد، وكان الدستور حتى ذلك الوقت (قبل طرح مسودة الدستور الجديدة) يشترط أن يكون رئيس الجمهورية مسلماً، وبما أن العلوية في الفقه الرسمي لكل من السنة والشيعة "كفاراً" وليسوا مسلمين، فقد أصدر هذا البيان في سياق الدفاع عن موقع الطائفة وامتيازاتها في الرئاسة (والسلطة تالياً) لمواجهة الحظر الدستوري.

وهذا بالضبط ما كان يقصده أرباب هذه "الوثيقة" حين قالوا في مقدمتها: "نحن اليوم حرصاً منا على تمتين الصلات بإخواننا في الدين والوطن، ووقاية لهم من الانخداع بما يدسه أعداء العروبة والإسلام، ويرجف به المفترون والحاقدون من شائعات تفرق وتهدم بما توقظ من فتن"[77].

وثمة ملاحظتان مهمتان في البيان، أولاهما أنه أسهب وبشكل ملفت للنظر ولأول مرة في شرح العقائد ــ التي أجملها من قبل ببضعة كلمات ــ كما لو أنه مختصر لكتاب تعليمي للعقائد الجعفرية الإمامية، إلى الحد الذي ضمن فيه ذكر أسماء الأئمة الاثني عشر جميعاً! بل حتى عدد ركعات الصلوات الواجبة والمستحبة!!

الملاحظة الثانية أن البيان ذكر توضيحاً لمصادر التشريع، فكانت مصادر التشريع أربعة: "القرآن، السنة، الإجماع، العقل"، وهذه المصادر ليست شيعية ولا سنية! بل هي تلفيق بين المصادر السنية والشيعية، فمن جهة تتجاهل هذه الوثيقة المصدر الشيعي الأبرز "قول المعصوم" (النبي (ص) ومن بعده من الأئمة الاثني عشر) وتكتفي بالسنة (ما ينسب للنبي وحده)، ومن جهة أخرى تذكر الإجماع كمصدر تشريعي، وهو مصدر سني وليس شيعياً! فالفقه الشيعي لا يعده مصدراً، والدلالة الوحيدة لهذه الملاحظة هي أن البيان لم يكتب لتوضيح العقائد وإنما لإرضاء الأكثرية السنية، ويبدو أن السيد حسن الشيرازي هو الذي أقنعهم بتضمينها في البيان؛ فالشيرازي يعرف جيداً أن "الإجماع" السني كان المستند السني الأبرز لإخراج الشيعة من دائرة "أهل السنة والجماعة" وأحياناً من الجماعة المسلمة برمتها.

---

[77] بيان "**المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت** (ع)"، م.س، ص8.



يضاف إلى ذلك ملاحظة ثالثة، وهي أن قائمة موقعي البيان ضمت اسم 74 زعيماً ورجل دين من العلويين السوريين وستة من اللبنانيين، وهي أول قائمة تتضمن هذا العدد الكبير. وإذا كان هناك عدم شك بالدافع السياسي للبيان، فإن دلالة كثرة الأسماء تعني ــ فيما تعنيه ــ اتساع تيار الإصلاح الديني المندفع إلى الأصل الشيعي العلوي في الجبل[78].

كما أنه ــ ومن جهة أخرى ــ تشير قائمة الموقعين إلى أن عدد المساجد والجوامع العلوية يزيد عن 13 عشر مسجداً وجامعاً كان خطباؤها وأئمتها من موقعي البيان.

4. التشيُّع العلوي النصيري: من الظاهرة إلى التيار

نشط حسن الشيرازي ــ منذ ذلك الحين وحتى تاريخ مقتله سنة 1981 ــ في الجبل العلوي بشكل لم يسبق له مثيل من نشاط الملالي الشيعة (الإيرانيين أو العراقيين) على الأراضي السورية، فإضافة إلى الدروس والمحاضرات التي كان يحرص على إلقائها ولا يدع مناسبة دينية واجتماعية للطائفة إلا ويشارك فيها فقد قام – وبمساعدة بعض شيوخ الطائفة المتحمسين لعودة الأصل النصيري إلى شيعيته (من أمثال الشيخ "**فضل غزال**") – ببناء بعض المساجد والحسينيات في اللاذقية ومنطقة الساحل السوري[79].

وبلغ احتفاء الشيرازي وتحمُّسه لتشييع الطائفة العلوية حداً جعله يؤسس حوزة علمية في مسجد "**الإمام جعفر الصادق**" الذي يقع في مقرّ "**الجمعية الجعفرية**" (التي كان قد أسسها الشيخ عبد الرحمن الخيِّر سنة 1950) في مدينة اللاذقية، باسم "**حوزة الإمام الصادق**"، وذلك بعد تأسيسه

---

[78] انظر أيضاً ملاحظات بعض العلويين على البيان، تحت عنوان "**مع بيان علماء العلويين**" على الرابط:
http://www.alaweenonline.com/site/modules/news/article.php?storyid=23

[79] كان أولها ربما "**مسجد الإمام الحسن العسكري**" (1978م) الذي اشترى عقاره (ورقمه 742) الشيرازي نفسه، ولايزال باسمه إلى اليوم في السجل العقاري في مدينة اللاذقية (حي الزقزقانية)، واختيار اسم المسجد له دلالته الرمزية الخاصة بالنسبة للطائفة النصيرية؛ فأبو شعيب محمد بن نصير (الذي تنسب إليه الطائفة) هو تلميذ "الإمام الحسن العسكري" وأحد أصحابه.

ومسجد "**الإمام الحسن المجتبى**" في قرية "البلاطة" (ناحية الصلنفة)، و"**المسجد الجامع**" (في قرية "حكر")، و"**مسجد الخضر**" (في قرية "أوبين") ومسجد "**فاطمة الزهراء**" (بحمص)، ومسجد "**الإمام الحسين**" (بصافيتا)، ومسجد "**الإمام الرضا**" (بجبلة). وأسس (الشيرازي) حسينيات عديدة في المدن والقرى منها الساحلية، ومنها حسينية في بانياس، وأخرى في حمص.

انظر: مقابلة مع الشيخ: **ذو الفقار فضل غزال**، موقع "**الشيرازي نت**"، بتاريخ 14 آب 2005، على الرابط:
http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/005.htm

وانظر أيضاً مقابلة مع الشيخ "**حسين الشريفي**"، موقع "**الشيرازي نت**"، بتاريخ 14 شباط/فبراير 2006، على الرابط:
http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/023.htm

للحوزة الزينبية، لتكون قاعدة تبشيرية في الساحل السوري، على أساس أن خريجي هذه الحوزة الجديدة ينتقلون إلى الحوزة الزينبية لإكمال دراستهم، استمرت هذه الحوزة بضعة سنوات، ودرس فيها مجموعة من خطباء المساجد، لكن الشيرازي عدل عن الفكرة ويبدو أنها لم تكن مجدية كما كان يأمل فالعلويون لم يهبوا أفواجاً إلى مذهب الإمام جعفر الصادق!

يحظى الشيرازي باحترام خاص لدى التيار الشيعي في الطائفة العلوية؛ فهم يرون أنه لعب دوراً مهماً في تبيض صورة العلويين لدى الشيعة وعموم المسلمين، وساعد الطائفة على إخراجها من عزلتها[80]، فقد عمل الشيخ ميدانياً مع أبناء الطائفة و لم يكتف بالتصريحات والبيانات.

يذكر بعض الباحثين أنه في لقاء لأعيان في الطائفة العلوية في القرداحة وتحديداً في صيف عام 1980 اُتخِذ قرارٌ بإرسال قرابة خمسمائة شاب من العلويين للدراسة في المعاهد الدينية في حوزات مدينة "قم" الإيرانية، ليتخصصوا في المذهب الجعفري[81]، وكان يخطط في تلك الفترة إلى تشكيل تحالف شيعي إقليمي إثر نجاح الثورة الشيعية في إيران، وسواء صحت هذه الرواية أم لا، فإنه من المؤكد أن عدداً غير قليل من شباب العلويين المتدينين ذهبوا للدراسة في قم والنجف، وتخرجوا هنالك، منذ السبعينيات، ومنهم اثنان من موقعي بيان "**المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت**(ع)"[82]، أي في مطلع سنة 1973. كما أن السيد الشيرازي كان قد بدأ منذ اتصاله بالعلويين بتشجيع وترغيب وإرسال الناهين العلويين للدراسة في قم[83].

---

[80] بتعبير الشيخ "**ذو الفقار فضل غزال**": "عندما كنا في هذه الجبال تعرّضنا للظلم وللاضطهاد وللقتل والذبح، وفتاوى التكفير التي تأتي يمنة ويسرة غيّبّتنا عن المسلمين، وغيّبت المسلمين عنا، فكان همّه قدس سره الأول أن يعيدنا إلى الخط الذي كنّا عليه، وكان لا يألو جهداً في إظهار هذه الصورة الحضارية عن إخوانه هنا، وعن إبراز الهوية الشخصية لنا التي تثبت إسلامنا وعقيدتنا كمسلمين في صميم الإسلام" (المصدر السابق نفسه).

[81] أبو رمان، محمد، **التشييع في الأردن: ظاهرة يغذيها حزب الله**، صحيفة الغد (الأردنية)، 4- 10- 2006. طبعاً لم يكن بإمكانهم الذهاب إلى النجف بعد قطع العلاقات مع العراق في بداية عهد صدّام حسين.

[82] هما: و"**الشيخ محمود مرهج**" من قرية "**بحنين**" طرطوس وهو أيضاً مجاز من النجف الأشرف، "**الشيخ فضل غزال**" من قرية "**تلا**" قضاء الحفة، وهو مجاز من كلية الفقه في النجف الأشرف، و الشيخ "**فضل غزال**" عُين إماماً لـــ "**مسجد ناعسة**"، وهو المسجد الكبير الذي بناه الأسد في مدينة القرداحة وسماه باسم والدته، وافتتحه في مطلع التسعينيات، وفيه صُلّي على نجله "باسل" إثر وفاته بحادث سير مروع عام 1994، وتعرف السوريون على الشيخ فضل غزال الذي ظهر في شاشة التلفزيون السوري لأول مرة في تلك الحادثة، على الرغم من أنه أقصي عن أداء الصلاة على نجل الأسد بأمر من الرئيس نفسه؛ فالأسد قرر ـــ ولتوازنات طائفية ـــ أن يؤمُّه شيخ سني، كان هذا الشيخ السني هو شيخ بلاط الأسد "**الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي**" المفكر الإسلامي السوري الكردي الدمشقي المعروف.

[83] **الشيخ ابراهيم حسن النجار** (أحد العلويين المؤسسين للجمعية الجعفرية في اللاذقية سنة 1950، وأحد موقعي بيان 1973)، مقابلة أجراها معه موقع "**الشيرازي نت**" بتاريخ 25 أيلول 2005، انظر المقابلة على الرابط:
http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat.htm

ومن الطبيعي أن الأفكار التي عاد بها هولاء كانت شيعية صرفة أو شيعية ملفقة بالنصيرية، وكان الشيخ فضل غزال كما الكثيرين من شيوخ تيار عودة الفرع إلى أصله ـــ وحسب أحد تلامذته[84] ـــ يلقن مريديه أو أتباعه "العقائد الشيعية ذاتها فيما يتعلق بالأئمة الاثني عشرية"، لكنه يحاول أحياناً الجمع بينها (باعتبارها أصل الفكر العلوي النصيري) وبين العقائد الشيعية الجعفرية. ومن هذا المنطلق فإنه يحافظ ـــ على ما يبدو ـــ على ما يمكن من شعائر الطائفة العلوية ومعتقداتها[85].

لقد انتقل التشيُّع العلوي في السبعينيات من مجرد ظاهرة ليتحول إلى "تيار" واضح، وسواء أكان ذلك ناجماً عن دعم الأسد ذاته في تلك الفترة، أي لأسباب سياسية داخلية تتعلق بدمج الطائفة وإخراجها من عقائدها السرية، (وتراجع الأسد عن ذلك بعد الثورة الإيرانية، كما سبق وأوضحنا)، أم كان بدعم الملالي والشيوخ الإيرانيين والعراقيين واللبنانيين[86] فإن النتيجة هي أنه تأسس تيارٌ شيعي واضح في أوساط الطائفة العلوية.

وما يزال إرسال العلويين إلى الحوزات الدينية في حواضر الشيعة التاريخية (إيران والعراق) دارجاً إلى اليوم؛ وإن كان افتتاح الحوزات العلمية في سورية قلل من ذلك، في المقابل فإن عشرات الطلبة العلويين تخرجوا في جامعة الأزهر[87] وفي كلية الشريعة بجامعة دمشق[88] بدءاً من الستينيات المنصرمة وما يزالون إلى الآن يتخرجون في كلية الشريعة بجامعة دمشق، معظمهم يؤمن بالعقائد الشيعية، أو على الأقل قريب من التيار الشيعي في الطائفة العلوية، وفي جو سني صارم مثل كلية الشريعة كان من الطبيعي أن يخفي هؤلاء عقائدهم. ولعل السبب في دخول كلية الشريعة لكثيرين منهم هو حظهم "العاثر" الذي لم يتح لهم دراسة جامعية، فدخلوا كلية الشريعة اعتماداً على قانون "الإيفاد الحزبي"

---

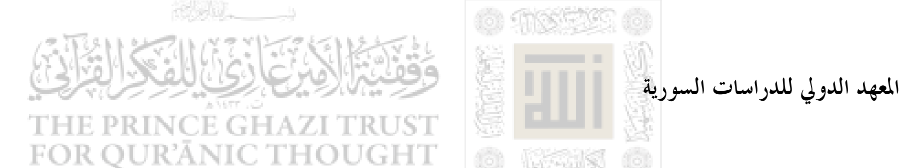
[84] مصدر طلب عدم ذكر اسمه.

[85] على سبيل المثال: كان الشيخ فضل غزال يظهرُ دوماً بلباس شيعي، ولكنه ظهر ـــ في التلفزيون السوري أثناء محاولته لإمامة صلاة الميت أثناء التحضير لمراسم دفن باسل حافظ الأسد عام 1994 ـــ حالقاً رأسه ومطلقاً لحيته الطويلة على طريقة شيوخ العلويين التقليديين، ولعله كان يريد بهذا المظهر تأدية رسالة للطائفتين العلوية والسنية على السواء.

[86] كان يأتي ـــ وأحياناً يُستدعى ـــ شيوخ من إيران ولبنان وبعض دول الخليج فضلاً العراق لألقاء الدروس والمحاضرات والمنتديات والاحتفالات الدينية، مثل الشيخ اللبناني الشيعي "**هاني فحص**"، وبعض الشيوخ العراقيين الفارِّين من النظام العراقي البعثي مثل الشيخ العراقي "**علي البدري**"، والمستشارين الثقافيين الإيرانيين، مثل "**محمد شريعتي**".

[87] من بين اللذين تخرجوا في الأزهر أحد موقعي بيان 1973، وهو **الشيخ مصطفى السيد** من قرية "**بعمرة**" صافيتا، كان مدرساً دينياً في قرية "**سمت قبلة**" قضاء جبلة.

[88] من بين اللذين تخرجوا اثنان من موقعي بيان 1973، هم: **الشيخ محمود مرهج** من قرية "بحنين" قضاء مدينة طرطوس، كان مدرساً في قرية "**دريكيش**" وهو مجاز من النجف الأشرف وكلية الشريعة بدمشق، و **الشيخ يوسف حلوم** من قرية "**شبطلية**" مجاز من كلية الشريعة بدمشق. ومن بين الدراسين في كلية الشريعة الشيخ "**ذو الفقار غزال**" نجل "**الشيخ فضل غزال**".



الخاص بكلية الشريعة ـــ والذي صدر عقب أحداث العنف مطلع الثمانينيات ـــ (خلافاً لكل كليات الجامعة الأخرى) من أجل إيجاد فرص للالتحاق بوظائف الدولة.

من جهة أخرى في فترة الثمانينيات (أي في الفترة التي أصبح الأسد يتوجس فيها من تصدير ملالي الثورة الإسلامية الإيرانية لثورتهم) عندما يذكر التشيُّع والتشييع في الطائفة العلوية فإن اسم طبيب الأسنان "**المهلب حسن**" ـــ الذي ينتمي إلى أسرة دينية علوية عريقة في ريف محافظة طرطوس ـــ يبرز إلى الواجهة، كان الرجل على صلة مع رجال الدين الشيعة، وكان يبذل جهده لإقناع رجال الدين العلويين بالتشيع باعتباره ضرورة لإعادة تنظيم الطائفة العلوية وتقوية وضعها وإعادة تنظيم مؤسستها الدينية وفق نسق هرمي يؤسس لمرجعية دينية قوية على غرار المرجعية الشيعية، وإنشاء **مجلس ملّي أعلى** للطائفة يمنحها القدرة على الاستقلال عن قرار السياسيين بل والتأثير فيهم ويحرمهم من استغلالها، ولم يمض وقت طويل على نشاطه التبشيري هذا حتى قامت المخابرات العسكرية باعتقاله ومصادرة ما بحوزته من المنشورات الشيعية التي جلبها من إيران، ثم تصفيه جسدياً في مكان اعتقاله في اللاذقية[89].

وإذا كان هذا شأن المتدينين في خيارهم الديني فإن الأفندية والمتعلمين كانوا يبحثون عن كسر للطوق الديني الطائفي الذي وجدوه في الفكر القومي اليساري (والذي كان منظِّره زكي الأرسوزي، وتأثر به حافظ الأسد)[90] أو حتى الماركسي. وبالنسبة للمجتمع العلوي الذي لم يعهد الكثير من التكاليف الدينية، والذي يتمتع بكثير من الحرية الاجتماعية لم تغرِه حركة الإصلاح الديني، فقد كانت تعني بالنسبة له مزيداً من الأحكام والقيود الدينية، وهو المجتمع الريفي القصي الذي بهرته أضواء المدن

---

[89] هذه على الأقل هي الرواية التي تتعلق باختفائه لدى فرع المخابرات العسكرية، والتي تنسب إلى أسرة المهلب حتى الآن، وإن كان "المهلب" يُعد من الناحية الحقوقية والقانونية "مفقوداً"، شأنه شأن ما يزيد عن سبعة عشر ألف معتقل سياسي من الإخوان المسلمين في السجون السورية في عهد حافظ الأسد.

[90] "لجأ الأسد إلى خصم عفلق القديم الفيلسوف زكي الأرسوزي، الذي ألهم الأسد خطاه السياسية الأولى عن طريق الدكتور [الطبيب] وهيب الغانم. وكان الأرسوزي حينذاك متقاعداً منذ فترة طويلة، إلا أن الأسد أخرجه من عزلته وراح يصحبه معه في جولاته على معسكرات الجيش، وجعله يحاضر في الجنود ويلتقي بالضباط. وقد ابتهج الأسوزي العجوز باهتمام الأسد، فراح يكتب مقالات افتتاحية في صحافة الحزب والجيش، كما أنه أعطى الأسد نفسه لمحات عقائدية كان لها أهميتها في تطوره في ذلك الوقت. وعمل الأسد فيما بعد على تأمين معاش تقاعدي للأرسوزي ظل يتقاضاه حتى وفاته بدمشق في 2 تموز/يوليو 1968". سيل، **الأسد**، م.س، ص ص 150-154.



وسحرته حياتها، فبقي التيار الديني الإصلاحي (الشيعي) والتيار التقليدي (النصيري) يتصارعان[91] في حدود القلة القليلة المتدينة في الطائفة.

ختم الشيخ عبد الرحمن الخيِّر مقالاته عن "يقظة المسلمين العلويين" سنة 1938 بالقول: "إن البصير المخلص يمكنه أن يتفاءل بأن المستقبل [مستقبل العلويين] يبشر بتحسن الأحوال المعاشية والاجتماعية والفكرية، وأن يتشاءم بتأخر الأحوال (العقائدية) بسبب عدم إعارتها الاهتمام اللازم لتحسُّنها" وبقي ما يقوله صحيحاً ربما إلى اليوم، فتيار عودة الفرع إلى أصله الشيعي في الطائفة العلوية النصيرية لم يستقطب إلا نوعية معينة من شباب العلويين المتدينين، وشريحة المتدينين في الطائفة ـــ كما أسلفنا ـــ محدودة جداً بالأساس. وبشكل عام لا تنجح حركات الإصلاح الديني في قلب المجتمع إذا لم تَقُدْهُم من انغلاق المجتمع وقيوده وأساطيره إلى رحابة العقل والحرية، لا يمكن أن تتحول إلى حركة شعبية ممتدة، وتبقى تياراً داخل الطائفة قد يتحول ـــ إذا لم يستطع جر الطائفة وراءه ـــ مع الأيام إلى انشقاق جديد وطائفة داخل طائفة في نوع من التشظي المستمر الذي اعتادت عليه الطوائف الدينية المنغلقة.

---

[91] يلخص الشيخ الخيِّر في كتابه "**يقظة المسلمين العلويين**" هذا الصراع، بالقول: "قامت شبه حركة عداء بين المتجددين (ونعني بهم الناهبين من طلاّب المدارس الثانوية والعالية ومن بعض المتعلمين على الشيوخ المسلمين العلويين) وبين المحافظين (ونعني بهم جمهور المشايخ من المتشبعين بالتقليد) وبعض من الشباب الدارسين على الأساتذة العلويين، رجال اليقظة الأولى؛ فقد أنكر المحافظون على المتجددين أموراً نرتبها بحسب أهميتها كما يلي:

1. تقديم دراسة العلوم العصرية على دراسة العلوم الدينية، واشتغال بعضهم من أبناء المشائخ بالأدب والسياسة بدلاً من التخصص للتعبد ودراسة الآداب الدينية.
2. انتقاد بعض رجال الدين ومحاولة هدم بعض العادات المألوفة.
3. خروج البعض على الأخلاق وارتكابهم بعض المكروهات العرفية.
4. نظم الشعر العاطفي بدلاً من الشعر الديني.
5. تقليد الأجانب بالأزياء والعادات.

وأنكر المجددون على المحافظين أموراً منها:

1. إغفالهم دراسة العلوم اكتفاءً بالفقه المذهبي، ورغبتهم عن كل الأعمال الاجتماعية والسياسية تواكلاً على القدر الإلهي.
2. عدم تنظيم الأعمال الدينية بالضرب على يد كل منتمٍ إلى المشيخة وهو لا يفهم منها شيئاً أو لا يتقن عمله فيها.
3. مبالغتهم في التقليد لكل مأثور سواء قلّ حسنه أو بان عدم ملائمته للزمان والمكان.
4. تسرعهم في الحكم على الظواهر والفلتات، وتعميم التهمة إذا عرض من البعض ما يدعو إليها.
5. تعمد العزلة والتقشف بشكل يجعل مظهرهم مستهجناً.

وتطرف بعض الشيوخ المحافظين في التحمس، فرمى كثيراً من المجددين بالمروق من الدين، وقابله بمثل تطرفه بعض المتجددين فأعلن عدم صلاح نفر عديد من المحافظين، ورمى هذا النفر بسوء النية والتآكل في الدين والانطواء على غير ما يتظاهر به من تدين وتقوى".

انظر: الخيِّر، **يقظة المسلمين العلويين**، م.س، ص. وغالب الظن أن ما يقوله الشيخ عن حالة المجددين في أكثره ينطبق على تيار عودة الفرع إلى أصله الشيعي اليوم، على أنه يأتي في صلب هذا الخلاف ـــ وهو الأمر الجديد والأهم ـــ قبول العقائد الشيعية وإحلالها محل العقائد النصيرية التقليدية.



الفصل الثالث

ظاهرة العمائم السود

البعث 1991 – 2000

"إن أحداً لم يكن يعرف بأن مقام السيدة زينب سيجذب هذه الأعداد الهائلة من السكان، و(...) إن الجولانيين عندما نزحوا الى هنا بعد حرب حزيران (يونيو) عام 1967 كانت المنطقة كلها مزارع وبساتين مزدهرة، وكانت الأرض رخيصة الثمن جداً والأمر بقي كذلك حتى منتصف الثمانينات؛ عندما التفت الإيرانيون إلى أهمية المنطقة الدينية وبدأوا زيارتها بأعداد كبيرة جداً".

(أحد النازحين من الجولان)

أدت الأحداث بين عامي 1989 و1991 إلى انعطاف مهم في علاقة الأسد بملالي إيران وتابعيهم الخمينيين في لبنان وسورية، وجعلته يسمح بمزيد من النشاط وحرية الحركة والتبشير في المدن السورية لدعاة التشيُّع، ولكن الأسد ــ الذي خذله الإيرانيون لتوه في محنته عام 1986-1987 (قضية طائرة إل العال)، إذ كان مهدداً بالعقوبات الاقتصادية الدولية[92] ــ أصبح على يقين أن

[92] "في أعقاب محاكمة الهنداوي [الشخص المتهم بالضلوع في تخطيط وتنفيذ عملية طائرة "**إل عال**" الإسرائيلية] مباشرة (في تشرين الأول/أكتوبر 1986) عندما كان الضغط على الأسد في أوج قوته، كان الأسد حريصاً على تأمين إطلاق رهينة واحدة على الأقل [من الرهائن الأمريكيين المحتجزين في لبنان على أيدي جماعات موالية لإيران]، وعلى أن يري العالم أنه أمّن ذلك، كي يبعد عنه التهديد بفرض عقوبات ضده، إن لم يكن شن هجوم مسلح على سورية بالفعل. ولذلك كانت صفعة أن يتم بعد يومين إطلاق سراح "**ديفيد جاكوبسين**" من قبل مختطفيه المؤيدين لإيران، مع عدم تركه في أيدي القوات السورية، بل أمام السفارة الأمريكية حيث نقل بسرعة إلى بيروت الشرقية المسيحية ومنها إلى لبنان.



علاقته بإيران علاقة تحدها المصالح السياسية المؤقتة وليست علاقة استراتيجية، وعليه أن يلعب اللعبة على هذا الأساس.

انتهت حرب الخليج الأولى (1980-1988)، وفي عام 1989 توفي الإمام الخميني، وكان هذا الحدث أكبر حدث في تاريخ "الجمهورية الإسلامية الإيرانية" بعد الحرب العراقية الإيرانية التي لم يمض على انتهائها عام واحد، وقد انتخب "مجلس الخبراء" الرئيس "**علي خامنئي**" مرشداً للثورة خلفاً للخميني، فيما انتخب رئيس مكتب حركات التحرر الإسلامية في الحرس الثوري "**هاشمي رفسنجاني**" رئيساً للبلاد، وكان الخميني قد قبل عام 1988 بمضض شديد اتفاق وقف إطلاق النار مع العراقيين ينهي الحرب العراقية الإيرانية ويوقف "تصدير الثورة"، وكان هذا من أكثر الأشياء إيلاماً له، فقد كان بالنسبة له بمنزلة "شرب كأس السم"![93]

وفي لبنان (الخاصرة السورية الرخوة)، حيث بدأت معالم اتفاق ينهي الحرب الأهلية بهيمنة سورية ومباركة أمريكية ــ سارع الإيرانيون في إبرام اتفاق شفهي مع الأسد يضع أتباعهم اللبنانيين (**حزب الله**) في إطار السياستين السورية والإيرانية معاً في لبنان، لينهي خلافاً حاداً وصامتاً لدمشق مع إيران وحزبها يعود لخمس سنوات خلون على الأقل من هذا التاريخ، ففي أواخر كانون الثاني من عام 1989 وبعد مفاوضات طويلة حضرها الطرفان اللبنانيان المتذابحان[94] على الهيمنة الشيعية "حركة أمل" و"حزب الله" و"ولياهما" (سورية وإيران)، وبموجبه حُصرت حركة أمل في العمل السياسي، واحتكرت "المقاومة" المسلحة لحزب الله في شريط البقاع اللبناني الجنوبي، حيث الاحتلال الإسرائيلي،

غضب الأسد، ولم يكن لديه شك في أن إطلاق سراح هذه الرهينة كان نتيجة صفقة مبادلة السلاح بالرهائن. وهكذا ففي 3 تشرين الثاني/نوفمبر (أي في اليوم التالي مباشرة) وفي زجرة تستهدف توبيخ أمريكا وإيران معاً، سربت سورية خبر زيارة ماكفرلين لطهران والاتصالات الأمريكية – الإيرانية السرية" إلى "**مجلة الشراع**" في بيروت، وأدى ذلك إلى ما عرف بفضيحة "إيران ــ كونترا". سيل، **الأسد**، م.س، ص ص 791-792. وانظر أيضاً الهامش رقم (43).

[93] نقل عن الخميني في وصف هذا الاتفاق: "**من جام زهر نوشيدم**" أي بالعربية: "أنا شربت كأس السُّم".

[94] دارت بين المنظمتين (أمل وحزب الله) معارك طاحنة بين عامي 1988-1990 أقرب ما تكون إلى "حروب تطهير" أوقعت هذه المعارك في شهر أيار من عام 1988 في الضاحية وحدها خمسمائة قتيل (حسب تقارير قوى الأمن الداخلي)! (انظر: شرارة، **دولة "حزب الله"**، م.س، ص366) وأصل التنافس بين المنظمتين الشيعيتين هو تنافس فكري ــ سياسي للسيطرة على الطائفة الشيعية في لبنان، وفيما يعتبر حزب الله نفسه (ويعتبره الإيرانيون الرسميون وملاليهم كذلك) امتداداً للثورة الإيرانية فإن أمل تعتبر نفسها خياراً محلياً وطنياً وتستند إلى دعم السوريين في مواجهة حزب الله.

والعمل مع السوريين على استقرار لبنان وفق الشروط أو "الرؤية" السياسية السورية (بالإضافة إلى الرؤية الإيرانية)، التي ترى في لبنان نقطة ضعف عسكرية وسياسية[95].

وعلى الرغم من أن الأسد تصادم مع حزب الله[96]، وكان حزب الله يتذمر من الهيمنة السورية في لبنان ويقاومها[97]، إلا أن الأسد كان مدركاً أن يده الطولى في لبنان ستمنحه فرصة لتحويل حزب الله إلى أداة سياسية سورية فعالة للمواجهة مع إسرائيل[98]، تؤمن الخاصرة السورية هنالك، وتعزز موقفه التفاوضي عبر سياسة "توحيد المسارين" السوري واللبناني في مفاوضات السلام مع الدولة العبرية.

جاء اتفاق الطائف بمباركة أمريكية عربية فرنسية لينهي الاقتتال الطائفي في لبنان والذي اندلع سنة 1976[99]، وقد أصبحت سورية فعلياً وقبل الاتفاق صاحبة اليد الطولى في لبنان، عزز هذا الاتفاق وضع سورية ومنحها الشرعية للتواجد بقواتها هناك، لا شك أن ذلك منح الأسد وقتاً لأخذ النفس، وقوّى وضعه إقليمياً في وقت كان يواجه فيه حصاراً اقتصادياً وعقوبات دولية، وجاءت حرب الخليج الثانية (عملية "عاصفة الصحراء" للتحالف الدولي لإخراج جيش صدّام من الكويت) لتمنح الأسد فرصة جديدة للانخراط في المجتمع الدولي، فقد كان وقوفه في صف التحالف الدولي واشتراك جيشه في العمليات العسكرية ضد الجيش العراقي الفرصة الوحيدة ربما للخروج بسرعة من أزمة الحصار الدولي الذي كان يعانيه منذ 1987، وبانتهاء حرب الخليج الثانية ازدادت قوة الأسد الإقليمية.

---

[95] حول هذا الاتفاق انظر: شرارة، **دولة "حزب الله"**، م.س، ص367. وأساس الاتفاق أو الدافع له هو تسوية انطلاقاً من أن إيران لها اليد العليا معنى ومورداً، وسورية لها اليد العليا سياسة ووجوداً مادياً على الأرض في لبنان، ولا يمكن لإيران أن تعمل على الأرض اللبنانية خارج الإرادة السورية (انظر: المصدر نفسه، ص362).

[96] في شباط من عام 1987 وفيما كان بعض الجنود السوريين يعضدون دورية "للقوة النظامية" من الجيش اللبناني وقوى الأمن الداخلي والمنظمات (الميليشيات) في بيروت، وقع اشتباك بين الدورية وحراس مكتب "حزب الله" بمنطقة البسطة، فقتل أحد حراس المكتب، واحتجز زملاؤه الدورية (21 جندي وشرطي ومقاتل، بينهم 11 سورياً) وأحرقت خمس آليات، ولم يمض أسبوعان على الحادثة (أي في 22 شباط) حتى توجهت القوات السورية ــ التي عادت لتوها إلى بيروت ــ إلى ثكنة عسكرية وأمنية وسياسية لحزب الله في المنطقة ذاتها، فدخلت مصلى الثكنة وقتلت بــ"السلاح الأبيض" اثنين وعشرين مقاتلاً من حزب الله.

انظر تفاصيل الحادثة في: شرارة، **دولة "حزب الله"**، م.س، ص ص 360-361.

[97] سيل، **الأسد**، م.س، ص 791.

[98] كان على حزب الله أن ينهض بدور استمرار الأعمال العسكرية المقاومة ضد إسرائيل والتي توقع خسائر يُتوقع ألا تدفع الدولة العبرية إلى عملية عسكرية كبيرة (كتلك التي حصلت فيما بعد في تموز 2006)، ولا تتركها في الوقت نفسه آمنة.

[99] أُقرَّ اتفاق الطائف، وانتخب الياس الهراوي رئيساً، وأخرج ميشال عون من مقري الرئاسة وقيادة الجيش، ووحّدت الأراضي اللبنانية على يد القوات السورية.

كان على إيران أن تدرك هذا الوضع الجديد الذي جعل سورية ممسكة بخيوط اللعبة في لبنان ومضعفاً حاجتها للدور الإيراني فيما يتعلق بالسياسة الإقليمية بعد حرب الخليج، وقد أدركت ذلك بالفعل، لقد أصبحت إيران بالنسبة للأسد مجرد طرف دولي فاعل في أحد طوائف لبنان، فاستثمر الأسد ذلك بدهاء، إذ حصر علاقته بها في هذا الدور ـــ وهو دور يرتبط بشكل أو بآخر بمواقفها "المناهضة" لإسرائيل والولايات المتحدة ـــ ودفع بفكرته للاستفادة من التشدد الديني الشيعي للملالي إلى الحدود القصوى عندما جعل حزب الله وحده يقاتل إسرائيل في "خدمة السيدين"[100] (سورية وإيران)، بدلاً من أن يتكبَّد الجيش السوري الخسائر المادية والمعنوية وينصرف عن ضبط اللعبة السياسية في لبنان وفق الإيقاع السوري.

أولاً: الملالي المستأنسون (1990–1993)

انعكست العلاقات مع حزب الله على حركة الشيعة والإيرانيين وملاليهم في سورية، وبمجرد حصول الاتفاق انعطف حزب الله إلى موجه الإرادة السورية، وسعى إلى تمتين العلاقة بالقيادة السورية وكسب ثقتها عبر الميل إلى دور سياسي وخطاب سياسي أقل تشدداً.

وخلال هذه الفترة كانت قيادات حزب الله تتردد إلى دمشق لتحديد مواقفها والتنسيق مع القيادة السورية، وما بلغوا عام 1992 حتى سافروا جميعهم للقاء وزير الخارجية السوري فاروق الشرع ونائب الرئيس (في ذلك الوقت) عبد الحليم خدام مرتين في غضون بضعة أسابيع!

وبجوار هذه الحركة السياسية بدأ يسمح لأنصار حزب الله بالحركة في سورية، وبدأت القيود على النشاط التبشيري بالانخفاض، فالأسد مازال يرى واجباً عليه إخراج الطائفة العلوية من عزلتها العقدية، التي كانت قد استجابت بشكل واضح لحركة التشييع بوصفها حركة دينية إصلاحية في الطائفة، وكان يجد في الفكر الشيعي حلاً للطائفة ولكنه كان يرى فيه أيضاً تهديداً له في الوقت نفسه! ولا يبدو الأسد محبذاً للفكر الديني أساساً.

وكانت علاقة الأسد بالزعامات الدينية الشيعية (العلوية الأصل مثل الشيخ عبد الرحمن الخيِّر، فضلاً عن الملالي الإيرانيين والعراقيين واللبنانيين) ممتازة للغاية، حتى كان للشيوخ العلويين الإصلاحيين

---

[100] انظر: شرارة، **دولة "حزب الله"**، م.س، الفصل الثالث "**وجها الخمينية اللبنانية أو: خدمة السيدين**" ص ص335-388، وبشكل خاص انظر: ص362.



(الشيعة) دالّة على الأسد، وكان بإمكانهم الوصول إليه بسهولة، وهو أمر كان يسهِّل وصول ملالي الشيعة إليه[101]. ولكن ما أن قامت الثورة الإيرانية حتى بدأت علاقاته تسوء شيئاً فشيئاً مع الملالي الشيعة، لم يعد الأسد يستقبلهم كما كان من قبل، و لم يبلغ عقد الثمانينات منتصفه حتى لم يعد الأسد يستقبل أحداً منهم، وبدلاً من ذلك كان نائبه "**خدام**" يتولى المهمة[102] عند الحاجة.

الاستئناف

بعد تحفظ شديد على حركتهم في الثمانينيات بدأ ملالي الشيعة يفدون إلى دمشق يلقون دروسهم ومحاضراتهم وينشطون في تبشيرهم، فاستتباعاً للعلاقة مع حزب الله أصبح بإمكان الشيخ "**محمد حسين فضل الله**" القدوم إلى ضاحية السيدة زينب وإلقاء دروس أسبوعية في حوزاتها، وفضل الله (المفكر الديني الحركي لحزب الله) كان ولا يزال طامحاً بحيازة مرجعية دينية شيعية. ومنذ ذلك التاريخ وبشكل منتظم[103] كان فضل الله يلقي دروسه العامة والخاصة في الحوزة الزينبية والحيدرية، وهي دروس كانت في معظمها تستهدف ترسيخ المرجعية الدينية لفضل الله خارج لبنان، وخصوصاً في شيعة دول الخليج، وما لبث أن أسس في ضاحية السيدة زينب مكتباً له مخصص للفتوى والخمس على عادة المراجع الشيعية التي لدى كل منها مكتبه الخاص. وكان فضل الله ــ شأن المرجعيات الشيعية في إيران والعراق التي لفت انتباهها تيار التشيع في الطائفة العلوية ــ مهتماً بتعميق صلته بالتيار

---

[101] كان لقاء الأسد بالشيخ حسن الشيرازي عن طريق أحد الشيوخ العلويين (انظر هامش رقم 31)، وتوثقت علاقة الأسد به حتى أصبح بإمكان الشيرازي أن يكون على اتصال مباشر مع الأسد كلما أراد، وهذه القصة التي يرويها أحد موظفيه المقربين في الحوزة الزينبية شهادة على عمق وخصوصية علاقة الأسد بالشيوخ العلويين المتشيعين والملالي:

"في إحدى الأعوام اقترح السيد [الشيرازي] علينا بأن نذهب إلى الحج، وكان برفقتنا المرحوم الشيخ أبو الفضل أحمد الخيِّر [علوي]، والمرحوم إسماعيل الأسد [علوي، شقيق حافظ الأسد (مواليد 1913)]، والسيد محسن الخاتمي [إيراني]، وبعد حصولنا على الفيزا رنّ جرس التلفون من القصر الجمهوري، وذلك من قبل السيد الرئيس الراحل حافظ الأسد، الذي يقول فيه: "قمنا بإرسال برقية إلى الملك السعودي لكي تكونوا في ضيافته، وسوف تسافرون عبر الطائرة". فاعتذر سماحة السيد وقال: "أنا لا أستطيع أن أتجوّل في السيارات الخاصة السعودية، وإنما أريد أن أتجول وأزور البعثات بنفسي، ولا أريد أن أتقيد بالبروتوكولات"، ولذلك قرّر السيد ــ وبرفقته إسماعيل الأسد والشيخ أحمد الخيِّر ــ أن يذهبوا جواً وعلى نفقتهم الخاصة، وأنا والسيد محسن الخاتمي نغادر براً". انظر مقابلة موقع "**الشيرازي نت**" مع تلميذه "**محمد شريف**" (هندي الجنسية)، على الرابط:

http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/027.htm

[102] انظر: حسن صبرا (برلين)، مقابلة مع "**عبد الحليم خدام**" (الجزء الثاني)، **مجلة الشراع** (أسبوعية سياسية عربية)، بيروت، العدد 1308، 1 تشرين الأول 2007.

[103] يوم في الأسبوع، هو يوم السبت.

الشيعي (العلوي)، فكتب في سنة 1992 مقدمة لكتاب "**العلويون والتشيع**"[104] يدافع فيها عن مظلومية الطائفة العلوية وضرورة تصحيح التصور "**المغلوط**" الشائع عنها والانتباه إلى أنها كانت ولازالت شيعية إمامية!

بعد "انتفاضة الجنوب" الشيعي في العراق عام 1991 قدم عدد كبير من المهاجرين العراقيين معظمهم من النشطاء الحركيين وقياداتهم، واستوطنوا "حي الأمين" و"السيدة زينب"، أسهم هذا في بث النشاط الشيعي على نحو غير مسبوق، فقد خصص التلفزيون السوري الرسمي في عام 1992 حلقة أسبوعية (يوم الجمعة) للواعظ الشيعي العراقي "**عبد الحميد المهاجر**"، الذي كان ناشطاً من قبل في العمل التبشيري بشكل شبه علني[105]، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يظهر في التلفزيون السوري، و لم يكن السوريون السُّنة يخفون حنقهم من هذا الدرس، فقد شعروا أن الفضاء الديني السني انتهك بقوة عندما سُمح لشيخ شيعي بوعظ جموع الأكثرية السنية![106]، وما أن أصبح المهاجر وجهاً معروفاً لدى السوريين حتى ذهب يطوف أرجاء سورية مبشراً بالتشييع.

في هذا الوقت أيضاً كان المبشر العراقي الشيعي "**علي البدري**"[107] (الذي توفي 1998) ناشطاً في المدن والقرى السورية (على وجه الخصوص: حلب، وحمص، والحسكة والقامشلي والرقة واللاذقية ودير الزور، وأريافها)، يفتتح العديد من الحسينيات والمكتبات الشيعية فيها (مثل: الحسينية التي أقيمت قرب جامع عمر الفاروق في دمشق).

---

[104] تأليف الشيخ "**علي عزيز الإبراهيم**" أحد النشطاء البارزين في تيارالتشيع العلوي في طرابلس لبنان، وأحد الموقعين على البيان الشهير "**المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت** (ع)" 1973، (الدار الإسلامية، بيروت، ط1، 1992).

[105] يذكر "**محمد يوسف قمجي**" ـــ مواليد الضمير (ريف دمشق) 1952، والذي اعتنق التشيع على يديه عام 1986 ـــ قصة تأثره بالشيخ "المهاجر" عندما كان (القمجي) مقيماً في قرية "**عدرا**" (شمال دمشق) التي دفن فيها الصحابي الجليل "**حجر بن عدي الكندي**" حيث استمع إلى درس ألقاه عند المقام عن مقتل "حجر بن عدي الكندي"، ويروي القمجي كيف أرسل عبد الحميد المهاجر (الحاج أبو ميثم صاحب مكتبة "**دار الحسنين**" **والشيخ عباس النوري** (من الحوزة الزينبية) والحاج "**حسين الركابي**" لتلبية حاجته للمعرفة الشيعية.

آل قطيط، هشام. **المتحولون: حقائق ووثائق**، (دار المحجة البيضاء، بالاشتراك مع دار الرسول الأكرم، بيروت، ط1، 2002) "السيد محمد يوسف قمجي"، انظر نص المقابلة في الكتاب على الرابط:

http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm

[106] أوقف بث الحلقة الأسبوعية بضغط الشيوخ عام 1993م، أي بعد قرابة عام من بدئها.

[107] الشيخ **علي البدري**: أحد كبار المبشرين الشيعة امتد تبشيره إلى العديد من الدول العربية والأوروبية والأفريقية مثل: اليمن والمغرب والجزائر ومصر والسودان وتنزانيا وغينيا وسيراليون وهولندا وألمانيا وبريطانيا والسويد والدانمارك وأسس فيها مكتبات ومراكز لتدريس الفكر الشيعي.

بدأت حركة تشييع واضحة تنمو وتتجه إلى القرى والأرياف، وإلى طلاب العلوم الدينية بشكل خاص، فالعروض بالدراسة في قم أصبحت تنهال على كل من يقترب من المؤسسات الشيعية، بدءاً من المستشارية الإيرانية[108]، وصولاً إلى أصحاب المكتبات الشيعية في السيدة زينب يشاركون في هذه العروض الدراسية لكل سوري يهتم بالفكر الشيعي، ولكن قليلون أؤلئك الذين استجابوا لإغراءات هذه العروض، فقد كانت شبه محصورة في الأوساط المثقفة ثقافة دينية وأوساط طلبة العلوم الدينية.

تشيُّع العمال

بعد اتفاق الطائف بدأت العمالة السورية بالتدفق إلى لبنان بشكل غير مسبوق، وجزء كبير من هذه العمالة ــ التي كانت تحمل الكفاءة المهنية بدرجات متدنية وتعاني من بطالة مزمنة في بلدها ــ عمل في الجنوب اللبناني، كان بين هؤلاء الآلاف من الأكراد، وبينهم مئات من الأكراد "البدون" الذين حرموا الجنسية السورية في إحصاء الحسكة الاستثنائي عام 1962، سمحت الإقامة الطويلة واللقاء اليومي بين العمالة السورية والمجتمع الشيعي اللبناني باحتكاك غير مسبوق مع السوريين، ربما لم يكن يحلم به مبشرو الشيعة من قبل.

أدى هذا الاحتكاك إلى تشيُّع عدد كبير من العمال السوريين[109]، خصوصاً من الأكراد "**البدون**" الذين كانوا يأملون ربما بالجنسية اللبنانية عبر اعتناق التشيُّع ودعم حزب الله لهم، لكن

---

[108] كان **محمد شريعتي** هو المستشار الثقافي لإيران في ذلك الوقت، وشريعتي رجل دين إيراني انضم إلى الحركة السياسية الإصلاحية في إيران منتصف التسعينات، وأصبح مستشاراً للرئيس خاتمي، وقد أرسل عدداً من الشباب السوريين للدراسة الدينية في إيران بغرض التشييع، وهناك عدد من طلبة العلوم الدينية أكدوا لنا أنهم تلقوا هذا العرض من المستشار شريعتي، وشريعتي أسهم أيضاً في حملة التبشير هذه ــ بحكم منصبه على الأقل ــ في عدد من المدن والقرى السورية، وخصوصاً في الشمال السوري ومنطقة الجزيرة.

[109] من بين العمال المتشيعين "**هشام آل قطيط**" (قضاء "**منبج**" في ريف مدينة حلب، يقطن مدينة "**رميلان**" في محافظة الحسكة) مؤلف كتاب "**المتحولون: حقائق ووثائق**" (م.س)، وهو كتاب غاية بالأهمية صدر منه ستة أجزاء حتى الآن، وهو يشبه المعجم لمتشيعي السنة، ويتضمن مقابلات تقدم معلومات غاية في الأهمية حول موضوع المتشيعين في سورية ودوافعهم للتشيع. ومثله الشيخ "**أبو النور موقّع**" (أحد النشطاء البارزين في التبشير الشيعي في مدينة حلب)، والوجود الشيعي في كثير من المناطق يرجع إلى العمالة السورية وحدها، كما في قرية "**التل**" (قرب دمشق). ويعد الشاعر "**سمعو عبد الكريم درويش**" (مواليد 1922، من قضاء "**الباب**"، قرية "**بزاعة**") من أقدم من تشيعوا بسبب العمالة في لبنان، منتصف الستينات، وأعلن تشيعه في 1968، وكان ممن التقوا الزعيم الشيعي "**موسى الصدر**".

حول سبب تشيع "سمعوا درويش" انظر: آل قطيط، **المتحولون**، م.س،و يمكن قراءته على الرابط:
http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm



أحلامهم ـــ التي لم تتحقق على الغالب ـــ هذه كانت إحدى الشباك التي صيدوا بها من أجل التحول الشيعي. وعلى الرغم من أن التراث الشيعي يتضمن عداءً فقهياً وعقدياً خاصاً للأكراد[110]، إلا ان ذلك لم يحل دون اجتذاب العمال البسطاء وذوي الثقافة المحدودة لعقائد الشيعة، من خلال حوارات سجالية تبشيرية تستفيد من المعرفة الساذجة للعمال بالتاريخ الإسلامي والفكر السني وتراثه العقدي والفقهي.

تشيع مئات العمال السوريين، وتأثر بالتشيع ربما أضعافهم، ونتيجة لهذه الحركة التبشيرية التي بدأت تدب في أرجاء سورية بدأ الشيعة السوريون (الأصليون) يقومون بنشاطات شيعية علنية ربما للمرة الأولى، في المدرسة المحسنية (في حي الأمين بدمشق)، مع حرص شديد لدعوة الشخصيات والرموز الدينية السنية من أهالي البلد لحضورها[111]، ونشطت جمعياتهم بالحركة، فبدأت جمعية "**النجمة المحمدية**" بعقد "**مجلس السيدة زينب**" في الخامس عشر من رجب عام 1993، وأصبح ينعقد بشكل سنوي منذ ذلك التاريخ.

احتلال المقامات

باستثناء ضريح "**السيدة زينب**" وبعض مقامات آل البيت و"**شهداء كربلاء**" في باب الصغير و"**مشهد النقطة**"[112] في حلب، لم يكن للشيعة أي مقام آخر يتبع لوصايتهم، فجميع المقامات تابعة

---

[110] ثمة نصوص دينية في التراث الشيعي (على سبيل المثال لدى: **الطوسي** (شيخ الطائفة) **والحلي** (يحيى بن سعيد) **والكليني**، **والجوهري** ، **والحلي** (ابن إدريس)، **والطباطبائي** (علي)، وغيرهم) تفيد بأن الأكراد هم "**حبس من الجن كشف عنهم الغطاء**"، وهناك فتاوى فقهية أيضاً تقضي بعدم جواز مخالطتهم والزواج منهم. ولعل أصل هذه العقائد والأحكام يعود في معظمه إلى انعكاسات الحقبة التي قضى فيها "**صلاح الدين الأيوبي**" (الكردي) على الدولة الفاطمية ووحد مصر والشام.

[111] على سبيل المثال، كثيراً ما دُعي لهذه النشاطات الدكتور وهبة الزحيلي، والدكتور مصطفى البغا من كلية الشريعة، والدكتور محمود عكام (أحد شيوخ مدينة حلب).

[112] يروي المؤرخ **ياقوت الحموي** في معجم البلدان أنه كان عند سفح جبل الجوشن المطل على حلب دير يسكنه النساك والناسكات ويوقِّر النصارى أطلاله؛ حتى أقام المسلمون في نفس مكانه مزارًا إسلاميًا زعموا أن الحسين بن علي رؤي وهو يصلي عنده!

و"**مشهد النقطة**" هو مقام أنشئ في عهد الدولة الحمدانية الشيعية الباطنية في القرن الرابع الهجري على أنقاض دير نصراني كما هو مثبت في لوحة التعريف على جداره باللغتين العربية والفارسية: "هذا المشهد كان في الأصل ديرًا نصرانيًا يدعى "دير مارت مروثا" ولّما مر حمَلُة رأسِ الحسين في طريقهم إلى دمشق من هذا الدير عام ٦١ هـــ أخذ راهب الدير الرأس؛ فقطرت من دم الحسين قطرات؛ فصار الراهب يتبر ك بأثرها. وفي سنة ٣٣٣هـــ أشاد سيف الدولة عليه بناءً ضخمًا وأصبح مزارًا منذ القرن الرابع معروفًا بـــ "مشهد النقطة" أو "مشهد الإمام الحسين". نقلاً عن: آل حسين، **تحذير البرية**، م.س، ص21-22.



لوزارة الأوقاف، حتى المقامات التي كانت تحت رعاية استثنائية من قبل مواطنين شيعة، إلا أنها كانت تابعة رسمياً لوزارة الأوقاف ومديرياتها.

بدأ الشيعة ينقبون عن مقامات مندثرة لآل البيت لإحيائها، وكان الملالي الإيرانيون قد اكتشفوا نهاية السبعينات وعلى نحو مفاجئ عدداً من المقامات "المهمة" والمهملة، مثل "**مقام السيدة زينب**"، و"**مقام السيدة رقية**" في حي العمارة الجوانية حارة الأشراف، ومقام الصحابي "**حجر بن عدي الكندي**" في قرية عدرا في ريف دمشق، التي تتبع للإشراف السني، فقرر ملاليهم احتلالها![113]، وظاهرة المقامات لدى الشيعة ليست ظاهرة عادية، فالفكر الشيعي يعبد التاريخ وأحزانه ونظرته السوداوية المستمرة للعالم تجعله مهتماً بالمآسي والأموات أكثر من اهتمامه بالأحياء. وعلى أية حال ما إن انتهى عقد الثمانينات حتى سطا الشيعة على الأوقاف السنية التي تضمنت "مقاماتهم" المكتشفة. وفي هذه المدة بنيت الأضرحة وتم اقتلاع ما يجاورها من أبنية، ففي حي العمارة الجوانية ـــ مثلاً ـــ كانت البيوتات الدمشقية العريقة في حارة الأشراف (سادة آل البيت السنة) والمجاورة لمقام "السيدة رقية" تتعرض للخراب من أجل إقامة مبنى ضخم لـــ "مقام السيدة رقية"، يتضمن مدرسة ومسجداً كبيراً، وما انتهى إعماره حتى نهاية عام 1990.

كان حافظ الأسد يراقب عبر أجهزته الأمنية هذه النشاطات عن قرب، وإذا كان الأسد لم يجد في هذه النشاطات ما يؤذي سلطته، فإنه وجد في الوقت نفسه أنه يمكنه الاستفادة منها لدعم سلطته، فالأسد بعد حرب الخليج الأولى أصبح "متفرغاً" لتهيئة خلافته والعمل لها بشكل جدِّي، وإذا

استعمل مشهد النقطة أواخر الدولة العثمانية كمستودع للأسلحة عام 1323هـــ، وقد انفجر المستودع في الحرب العالمية الأولى، ثم أعيد بناء هذا المقام ثانية عام 1337هـــ من قبل الجمعية الخيرية الجعفرية بحلب، وجرى التوسع فيه بدعم من الجمهورية الإسلامية في إيران.

انظر: الشمري، أبو حيدر، **مهرجان خطابي في الرقة** إحياءً لذكرى استشهاد الصحابي عمار بن ياسر، **الوكالة الشيعية للأنباء**، سورية، 4-6-2001، على الرابط: http://www.ebaa.net/khaber/archev/khaber022/khaber22.htm

[113] يروي تلميذ الشيرازي الشيخ الأفغاني "**محمد بخش الحليمي**" جزءاً من قصة الاحتلال هذه، والتي كان قد ابتدأها حسن الشيرازي ولعب فيها دوراً حاسماً، إذ يقول: "في حرم السيدة رقية (...) كانت تقام صلاة الجماعة من قبل أهل السنة، والسيد [حسن الشيرازي] استطاع أن يقيم صلاة الجماعة فيها، وترك أهل السنة إقامة صلاة الجماعة في حرم السيدة رقية"!

كما يذكر الحليمي أن من أهم إنجازات حسن الشيرازي "إقامة صلاة الجماعة في صحن مقام السيدة زينب عليها السلام، ووضع التربة الحسينية أثناء الصلاة، حيث لم يكن يشاهد تربة في المقام قبل ذلك. وفي الليلة الأولى التي قمنا فيها بزيارة السيدة زينب عليها السلام كان صندوق التربة موجوداً أمام باب المقام، فجاء عدة نساء وقامت إحداهن بشمّ التربة، وتذوقت الأخرى التربة، والسيد كان جالساً فوق سجادته ونحن خلفه، وكان بيننا شخص من باكستان متعصب جداً، أراد أن يقوم ليمنع النسوة، ولكن السيد حسن منعه من التعرض لهن، وقال: "فليفعلوا ما يريدون، حتى يتيقنوا بأنه تراب، ويتعرفوا على التربة الحسينية"، علماً أنّ بعض النسوة أخذن التربة خفية، وقمن بكسرها لكي تشاهد ما في داخلها". انظر: نص مقابلة "**الشيرازي نت**" معه، م.س، على الرابط: http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/022.htm

أصبحت حركة التشيع مستأنسة، لا تقوم على فكرة تصدير الثورة تلك التي انطلقت بقيام الجمهورية الإسلامية، فإن هذا لا يعني أن أهدافاً سياسية لم تكن في خلد كل من الأسد والملالي الإيرانيين؛ فالأسد يريد استثمار هذه الحالة لتأمين الدعم الشيعي في الطائفة العلوية من جهة، وإيران من جهة أخرى، وفي الوقت الذي كان فيه ملالي إيران يفكرون بزيادة الوجود الشيعي في سورية لتقوية شيعة لبنان وتأمين علاقات اجتماعية تتيح نفوذاً مستقبلياً لهم في البلاد فضلاً عن الدواعي العقدية والتاريخية، كان الأسد ــ في المقابل ــ يفكر بتأمين انتقال سلس لخلافة ابنه "**باسل**" له، عبر دعم حكومة الملالي في إيران له ودعم "تيار عودة الفرع إلى أصله" الشيعي القوي في الطائفة العلوية.

انطلاقاً من ذلك أمر الأسد ببناء مسجد كبير في قريته في محافظة اللاذقية "القرداحة"، الذي اطلق عليه اسم والدته "ناعسة عبود" (**مسجد ناعسة**)، وحينما أراد افتتاحه (1991) عيّن الشيخ العلوي "**فضل غزال**" (أحد أبرز شيوخ تيار التشيع العلوي) إماماً له.

ثانياً: الملالي المبشِّرون (1994–2000)

لا شك أن تأثير الثورة الإيرانية في المتدينين المسلمين كان كاسحاً في العالم العربي، فقد كان الإسلاميون "يجاهدون" في مصر وسورية والسودان وغيرها لإقامة "**دولة إسلامية**" طالما دغدغت أحلامهم، وكان القوميون واليساريون العرب قد أرهقوا أنفسهم بلفظ "الثورة" دون أن يستطيعوا إنجاز شيء مما أملوه، فوجدوا جميعهم انعكاس أحلامهم في الثورة الإيرانية، وبحسابات ساذجة ــ ربما كانت مواتية لتلك الظروف التي كان يغرق فيها الفكر العربي والإسلامي بالأيديولوجيا الثورجية ــ وجد بعضهم في قيام الثورة وإنجازها معادلاً لصحة الأفكار والعقائد، فانتقل إلى التشيع تحت هذا التأثير، وهو أمر يصدق على معظم المتشيعين في حقبة الثمانينيات[114].

---

[114] على سبيل المثال: والد "**ياسر الحساني**" (متشيع تأثراً بأبيه) (منبج ــ ريف حلب)، والشاعر المنبجي "**محمد منلا غزيل**". وقد كان تأثر الشيخ الصوفي "**حسين الرجا**" في قرية "**زغير**" (ريف دير الزور) بالثورة الإيرانية سبباً في تحوله للتشيع، وتأثيره على أبناء القرية، فحسب رواية "**حمد الوكاع**" (ابن القرية الذي تشيع عام 1996) فإنه في: "بداية الثورة الإسلامية في إيران، تأثر الأخوة في المنطقة وبالخصوص أسرتي، ومنهم "العم السيد محمود الوكاع"، ويومذا كان تلميذاً في المدارس الصوفية التي كان يرأسها "السيد حسين الرجا"، وذهب إلى زيارة الإمام الكاظم (عليه السلام) في عام 79 إلى العراق، والحضرة القادرية في بغداد، ورجع إلينا العلامة "السيد حسين الرجا" من العراق وهو يحمل فكر أهل البيت (عليه السلام)، فتأثر به العم "محمود الوكاع"، وبتأثيره أثر على الأسرة كاملة". **وكان تشيع الشيخ حسين الرجا عام 1986 أول حالة تشيُّع في محافظة دير الزور** حسب الوكاع.

انظر: آل قطيط، **المتحولون**، م.س، مقابلة مع "**السيد حمد الوكاع**"، على الرابط:
http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm



وسرعان ما تشكلت من هؤلاء شبكة للتبشير الشيعي تم تحفيزها (فيما يتعلق بسورية) بالنشاط التبشري للملالي الإيرانيين والعمال المتشيعين في لبنان، غير أن عماد هذه الشبكة الفعلي كان العمال السوريون المتشيعون، الذين قام ملالي إيران بمساعدتهم وتمويلهم عبر جولات لآيات الله والمستشارين الثقافيين الإيرانيين تصل إلى أعماق صحراء الجزيرة والبادية وقراها الصغيرة النائية شمال شرق سورية. ضمت هذه الشبكة ــ بالإضافة إلى العمالة المتشيعة في لبنان ــ المتشيعين القدامى والجدد الذين تشيعوا لقناعات عقدية بحتة[115]، وأبناء الأقلية الشيعية السورية (بقايا العهد الفاطمي)، ولم ينته عقد التسعينات حتى أصبحت الشبكة فاعلة وناشطة للغاية.

"قُم" الصغرى في سورية!

حتى عام 1995 لم يكن في سورية سوى حوزتين، الأولى "**الحوزة الزينبية**" أنشئت سنة 1976، والثانية: "**حوزة الإمام الخميني**" انشئت عام 1981، وحتى عام 1991 لم تكن أي من الحوزتين تابعة للوزارة، ووفقاً لنص الخطاب الذي أرسله نائب رئيس الجمهورية لشؤون التربية والتعليم "**الدكتور زهير مشارقة**" في 2 حزيران/يونيو 1988 إلى وزير الأوقاف "**عبد المجيد الطرابلسي**" فإن الحوزتين لا تتبعان لوزارة الأوقاف[116]، وإنما ألحقتا بالأوقاف ــ وسائر المؤسسات الشيعية التعليمية والدينية ــ في كانون الثاني/يناير 1991 وفق ما يثبته خطاب آخر من نائب الرئيس "مشارقة" إلى الوزير نفسه، ينص على "أن الحسينيات والحوزات تتبع وزارة الأوقاف إشرافاً عليها، شأنها شأن الهيئات الإسلامية الأخرى، وتمارس وزارة الأوقاف صلاحيتها كاملة على الحسينيات

كما أن "الميول" الشيعية للدكتور "**محمود عكام**" هي نتاج هذا التاثر بالثورة الإيرانية، الذي صلى عام 1989 صلاة الغائب على "الإمام الخميني" في جامع التوحيد الكبير بحلب، وظن الناس أنه تشيَّع، واستطراداً فإنه كثيراً ما يُستدل بهذه الحادثة على تشيع العكام، والأمر على ما يبدو لا يتجاوز الميول والمصالح، ولا يصل إلى حد التشيُّع.

انظر مثلاً: آل حسين، **تحذير البرية**، م.س، ص26.

[115] مثل الشيخ **ناجي الغفري** (اعتنق التشيع 1945) والشيخ **ناصر ديلو** (اعتنق التشيع سنة 1986) في قرية زرزور (محافظة إدلب)، والسيدة لمياء حمادة (دمشقية) التي اعتنقت التشيع عام 1985. انظر عن "الغفري" الهامش رقم 17، وحول "ديلو" و"لمياء". انظر: آل قطيط، **المتحولون**، م.س، على الرابط:

http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm

[116] الخطاب جاء في وثيقة صادرة عن مكتب نائب الرئيس تحت رقم 14، بتاريخ 17 شوال 1408هـ،1988/06/02م، وموقع من قبل نائب رئيس الجمهورية الدكتور زهير مشارقة.



والحوزات"[117]. ويعكس هذان الخطابان التحول الذي طرأ على سياسة الأسد فيما يتعلق بالشيعة بعد 1989 كما تم توضيحه في الفصول السابقة ومطلع الفصل الحالي.

وبدءاً من عام 1995 شهدت "السيدة زينب" تشييد وتأسيس عدد من الحوزات لتبدو كما لو أنها تسير لتصبح مدينة "قم"[118] سورية! ففي الفترة ما بين 1995-2000 تأسس ما يزيد عن خمس حوزات علمية[119]، ولا يبدو واضحاً لم تأسست هذه الحوزات بين عامي 1995-1996 بل ورُخص في العام نفسه لجمعيات ثقافية شيعية[120]، وجُمِّدَ تأسيس الحوزات بعد ذلك و لم يستأنف حتى عام 2001! قد يكون السر في قرار اتخذ بمنع الترخيص الأمني (وليس القانوني)[121] للحوزات بعد ذلك؟ ولكن إذا كان ذلك صحيحاً؛ فما الذي يجعل الأسد يتخذ قراراً بذلك؟

---

[117] الخطاب جاء في وثيقة صادرة عن مكتب نائب الرئيس تحت رقم 1 بتاريخ 1991/01/12، من قبل نائب رئيس الجمهورية الدكتور زهير مشارقة.

[118] تعتبر مدينة "**قم**" المقدسة مدينة التعليم الديني في إيران، وهي مدينة الوحيدة للعلوم الدينية الشيعية التي تشبه بلدة "السيدة زينب بنت علي" قرب دمشق، فقد شيدت حوزتها ومدارسها بجوار مقام سيدة من آل البيت هي "**السيدة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر**" أحد الأئمة الاثني عشر كما شيدت الحوزات هنا.

[119] أهمها: "**حوزة المرتضى**" أسسها "**السيد محمد حسين فضل الله**" (لبناني) عام 1995، و"**حوزة المصطفى للعلوم القرآنية**" أسسها "**الشيخ جمال الوكيل**" (عراقي)، الأمين العام لـــ"**حركة الوفاق الإسلامي**" عام 1995، و"**حوزة الإمام القائم**" أسسها المرجع الديني "**محمد تقي المدرسي**" (عراقي) عام 1996، و"**حوزة أهل البيت**" التي أسسها "**السيد محمد الموسوي**" (إيراني) عام 1996، و"**حوزة الإمام السيستاني**" أسسها بالنيابة عن السيستاني "**الشيخ حليم البهبهاني**" (وكلاهما إيرانيان) عام 1996، وقد يكون هناك حوزات أخرى لم يكن بالاستطاعة التوصل إلى تاريخ تأسيسها، وغالب الظن أن بعضها أسس في الحقبة نفسها (أي في الفترة الممتدة بين 1994-2000 محل الدراسة الآن) وعلى أية حال فإن هذه الحوزات جميعها غير مسجلة في وزارة الأوقاف طبقاً للأمر الصادر عن "مكتب نائب الرئيس" تحت رقم 1 بتاريخ 1991/01/12 (انظر الهامش 122)، من قبل "نائب رئيس الجمهورية" الدكتور زهير مشارقة.

[120] وقد تم تدشين جمعية "**بيت النجمة المحمدية**" يوم الثلاثاء 1995/04/11 الموافق لـــ 11 ذي القعدة 1415 هـــ (يوم ولادة الإمام علي بن موسى الرضا) أحد الأئمة المعصومين (مدفون في مدينة مشهد في إيران)، وأقيمت نشاطات "النجمة المحمدية" خلال الأعوام الماضية مثل "ندوة الإمام الحسن العسكري" السنوية التي تنعقد منذ عام 1996 (في العاشر من ربيع الثاني من كل عام) ونشاطات ثقافية واجتماعية متعددة وكان التدشين قد حضره عدد من رجال الدين الأفاضل ووجهاء من المجتمع السوري والعراقي. انظر موقع "**النجمة المحمدية**" على الإنترنت على الرابط: www.al-najma.org

[121] لم تمنح أي من الحوزات ترخيصاً قانونياً، واكتفت بالترخيص الأمني وغض النظر عن نشاطها، والفرق بين الترخيص الأمني والترخيص القانوني هو أن الترخيص الأمني يعني عدم وجود مانع من قبل الأجهزة الأمنية بقيام هذه الحوزات، أما الترخيص القانوني فيعني انطباق قوانين وزارتي التربية والتعليم ووزارة الأوقاف، أو وزارة التعليم العالي عليها، وتبعيتها لها، وهو أمر لم يحدث لأسباب عديدة، منها رغبة الأسد ببقائها في وضع مؤقت وتحت عصا القانون، ومنها أيضاً عدم وجود قانون سوري يسمح بإنشاء المعاهد الدينية الأهلية أو مؤسسات التعليم العالي (الديني وغير الديني) الخاصة، هذا فضلاً عن أن رغبة الملالي ذاتها وطبيعة التعليم الحوزوي لا تقبل الانصياع لمثل هذه القوانين.



بعد توقيع منظمة التحرير الفلسطينية "اتفاق أوسلو" (1993) بأشهر، أي في كانون الثاني عام 1994 توفي نجل الرئيس حافظ الأسد الأعز "باسل" (مواليد 1962) الذي كان يعده لخلافته[122] بحادث أليم، كان هذا يعني بالنسبة للأسد الأب ما يشبه انهيار مشروع الاحتفاظ المؤبد بالسلطة عبر التوريث، أصبح الأسد بحاجة إلى دعم من الطائفة السنية يهدئ "الشماتة" المضمرة التي يعرفها جيداً في عيون ضحاياه السوريين، وكان أول ما فعله هو جعل "الشيخ البوطي" (السني الكردي) إماماً في صلاة الجنازة، كانت إمامته دالة إلى حاجة الأسد الماسة للدعم السني، وذلك على الرغم من أن هذه الإمامة شهدت تدافعاً واعتراضاً من قبل إمام مسجد ناعسة "الشيخ فضل غزال" أمام مرأى السوريين الذين تابعوا باهتمام استثنائي هذا الحدث عبر البث المباشر على شاشة القناة الأولى للتلفزيون السوري الرسمي. حاجته للدعم السني كانت تعني ــ في المقابل ــ رغبته في عدم استغلال الفرصة لتأجيج طائفي يستهدف العلويين، الذين انتشرت بينهم إشاعات تتهم السنة بالحادثة!

في هذا الظرف بدأ الأسد يفكر جدياً في دفع المفاوضات مع الإسرائيليين، لأسباب عديدة، أهمها أنه ليس بإمكانه توريث ابنه الطبيب "**بشار**" (مواليد 11 أيلول/سبتمبر 1965) ــ الذي أقل ما يتصف به قلة الحنكة والدهاء وضعف الخبرة ــ وتركه عرضة لهزات سياسية محتملة في المستقبل بسبب هذا الملف، قرر الأسد المضي قدماً لحل هذا "الملف" إذا كان ممكناً، فهو الملف الأكثر تأثيراً في الحياة السياسية السورية منذ الاستقلال، جرت ثلاث جولات من المفاوضات المكثفة والمباشرة مع الإسرائيليين في مركز المؤتمرات في "معهد إسبن" في "**واي ريفر**" تحت رعاية أمريكية (في عام 1994، و1995، وفي أواخر 1995 وأوائل 1996)، كان الأسد جاداً إلى الحد الذي أبدى رغبته للمفاوضين السوريين بالتعامل مع قضايا الأمن والتطبيع مع الإسرائيليين "بشكل بنَّاء"[123].

---

[122] في طريق مطار دمشق الدولي مسرعاً، ويقال بأن باسل كان في طريقه لزيارة أخيه "مجد" المختل عقلياً في مصحة نفسية في ألمانيا. انظر: ليفريت، **وراثة سورية**، م.س، ص141، ص188، هامش رقم 12.

[123] وكان الأسد قد انطلق في مفاوضاته اعتماداً على ما صرح به رئيس الوزراء الإسرائيلي "**إسحاق رابين**" أنه يوافق على مفاوضات تؤدي للإنسحاب من مرتفعات الجولان إذا تم تحقيق المطالب الإسرائيلية في الأمن والتطبيع. ورابين كان يعتقد أنّ إنجاز "اتفاقيّة السلام مع سورية هي وسيلة الوقاية الفضلى من التهديدات التي تأتي من إيران والعراق؛ فتنحية إسرائيل عن هذين البلدين وبناء ائتلاف إقليميّ مشترك ضدّهما، وعزلهما في المنطقة، يتوقّف كله على إيجاد قضيّة مشتركة مع سورية". ولعل رابين طرح عرضه مستغلاً الاحباط الذي أصاب الأسد نتيجة اتفاق أوسلو، انظر:

روس، دينيس. **السلام المفقود: خفايا الصراع حول سلام الشرق الأوسط**، (**THE MISSING PEACE**: ***The Inside Story of the Fight for Middle East Peace***) دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2004. انظر الرابط:
http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=28&issue=9444&article=258881

وانظر أيضاً: ليفرت، **اختبار بشار**، م.س، ص98.

كان الترتيب للملفات الداخلية والخارجية الخطِرة في هذه الأجواء على قدم وساق، فالأسد كان معنياً بتهيئة كل الظروف من أجل توريث "الجمهورية" لنجله! وبدا أن الأسد يميل إلى دعم إيراني في هذه الظروف، لكن الإيرانيين امتعضوا من الأسد؛ فقد كانت فكرة سلام سوري إسرائيلي تصيبهم في مقتل وتطيح بنفوذهم في الشرق الأوسط ولبنان على وجه الخصوص، فالاتفاق المعروض على الأسد سيحتوي بالضرورة ضمان أمن شمال إسرائيل على الحدود السورية واللبنانية[124].

كان الأسد في الوقت نفسه يفاوض الإخوان المسلمين، فهم المعارضة التي يخشاها الأسد إلى حد كبير، فالإرث الدموي الذي خلفته أحداث الثمانينات والمجازر التي أسال بها الأسد دماء آلاف الأبرياء جديرة أن تثير مخاوفه دوماً وتقلقه على استقرار العهد لوريثه، لكن الأسد أوقف مفاوضاته فجأة بعد أن وصلت إلى صيغة اتفاق واضحة مقبولة من الطرفين المفاوضين![125] لسنا بصدد تفسير هذا التوقف، الذي مازال محط تكهنات الإخوان أنفسهم إلى اليوم، إنما ما يعنينا هو أن الملف كان مرتبطاً بجملة ملفات أخرى كانت بالنسبة للأسد تؤدي إلى المشروع المصيري (توريث الجمهورية). ويبدو أن تراجع الأسد عن المضي قدماً في حل الملفين الداخلي (الإخواني)، والخارجي (السلام الإسرائيلي) يرجع إلى شعوره بعدم حاجته للسرعة بهذين الملفين، وربما بإمكانية استغنائه عنهما، فتكلفتهما قد تطيح بالتوريث برمته، وربما أكثر من ذلك وأبعد.

لا بل إن الأسد ذهب أكثر من ذلك لامتصاص النقمة السنية وإضعاف الإخوان المسلمين للتفكير بإيجاد حزب سني منافس ليس له تاريخ مأساوي مماثل للإخوان، وذلك عندما استهوته فكرة

---

[124] وقد أكد "**دينيس روس**" المبعوث الأمريكي للسلام في الشرق الأوسط ذلك حين ذكر في كتابه أن الأسد كان قد اتفق مع باراك بشكل غير مباشر وأولي (عن طريق رجل الأعمال الأمريكي "**رونالد لاودر**" القناة السرية لـــ"**بنيامين ناتنياهو**" من خلال "**وليد المعلم**") على عشر نقاط لتوقيع اتفاق السلام، كانت النقطة الرابعة حسب "لاودر" تنص على أن "يبذل السوريّون أقصى الجهود لضمان عدم القيام بمزيد من الأنشطة شبه العسكريّة أو العدائيّة ضدّ إسرائيل انطلاقاً من لبنان"، انظر:

روس، **السلام المفقود**، م.س، على الرابط:

http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=28&issue=9447&article=259355

وبالفعل فإن الأسد عمل على كبح حزب الله والضغط عليه أثناء مفاوضاته مع الإسرائيليين كبادرة حسن نية لتشجع الإسرائيليين للمضي قدماً فيها في حين كان الإيرانيون يضغطون على حزب الله باتجاه معاكس. انظر:

J. Agha, & S. Khalidi, Ibid, ***Syria and Iran,*** pp.77-82.

[125] توقفت المفاوضات مع الإخوان عام 1996، والبدء بالمفاوضات مع الإخوان كان في منتصف الثمانينيات تمهيداً لتوريث الابن "باسل"، كانت تدور بشكل متقطع، لكنها استؤنفت بشكل واضح وقوي بعد وفاة باسل عام 1994.

انظر: كليب، سامي. **علي البيانوني: مفاوضات الإخوان والسلطة/2**، موقع "الجزيرة.نت"، برنامج "**زيارة خاصة**" (القناة الفضائية) 3-12-2005، على الرابط:

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/5E34C6DF-C34E-4E6A-B01E-6725A02774A0.htm?wbc_purpose=basic_current_current_current_Current_Current_Current



إنشاء "حزب إسلامي معتدل"[126] بعد اتفاق مدريد، والسير نحو أوسلو الذي كان يخيف الأسد ويضيق عليه الخناق في "لعبة" السلام مع الإسرائيليين، لكنه سرعان ما تخلى عنها عندما لم يجد لها صدى؛ إذ بدت فكرة المفاوضات مع الإخوان أكثر جدوى وضرورة لا بد منها[127].

ويبدو أن السماح بحرية نسبية للشيعة في هذه الفترة والترخيص الأمني لمكاتب المراجع والحوزات العلمية الذي جرى بين عامي 1994-1996 كان ــ في جزء منها على الأقل ــ بمنزلة رشوة لم يجد الأسد لها صدى لدى الملالي في إيران، الذين يملكون مفاتيح حزب الله ومصادر قوته، وعلى العكس كان الموقف الإيراني المتشدد تجاه السلام السوري مع إسرائيل يعني ضرورة الحد من نشاطهم وأتباعهم على الأراضي السورية قدر الإمكان، وفي الوقت نفسه الاستفادة من حزب الله كأداة ضاغطة على الإسرائيليين، وقع الأسد ــ في الحقيقة ــ في معادلة صعبة، جعلته يخفف من مؤسسات الملالي ونشاطها في سورية، وفي الوقت نفسه يدعم حزب الله ويمرر السلاح له لاستثماره في المفاوضات التي لم تنته بمقتل رابين، واستمرت إلى عهد باراك، الذي ــ بدوره ــ لم يكن أقل حماساً من رابين لإنجاح مفاوضات سلام مع سورية وفق الشروط الرابينية. وبقي الأمر كذلك حتى مفاوضات جنيف عام 2000، أي قبيل وفاة حافظ الأسد بأشهر قليلة في 10 حزيران/يونيو 2000.

---

[126] ذكر الدكتور **محمد سعيد رمضان البوطي** (الشيخ السني المقرب من الأسد الأب والمعروف بعدائه للإخوان) أنه عُرض عليه إقامة حزب إسلامي؛ فرفض لقناعته أنه سيكون حزباً يحتكر الإسلام لوحده، وينفيه عن الآخرين، وهو أمر لا يتفق معه. انظر:

البوطي، محمد سعيد رمضان. **الجهاد كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟**، دار الفكر، دمشق، ط2، 1999 (الطبعة الأولى كانت عام 1993)، ص ص 65-66:

"قيل لي ذات يوم: ألا ترى أن من الخير إضافة كرسي آخر إلى كراسي الجبهة الوطنية التقدمية في سورية اليوم؟ وكانت الإشارة إلى كرسي يمثلهم أن أكون أنا الممثل لهذه القوى الإسلامية".

[127] يفسر الباحث الأمريكي "**فلاينت ليفرت**" عدول الأسد عن فكرة حزب إسلامي معتدل، بخشيته من "أن ينتحل [هذا الحزب فيما بعد] شعار الإسلام المُقنع الفعَّال ويجعل حزب البعث يبدو لا إسلامياً، ويصبح بالتالي قناة لمعارضة حقيقية"! ومع تقديرنا لهذا التفسير فإنه يفتقر لمعرفة عميقة بتفكير الأسد، والحالة السياسية التي كانت قد انتهت إليها البلاد في مطلع التسعينيات، في ظل المفاعيل التأديبية لأهوال وفظائع النظام في معتقلي أحداث الثمانينات، في ذلك الوقت يصعب تصديق أن الأسد كان يشعر بالخوف من تحول الحزب إلى قوة منافسة تنازع حزب البعث أو تضعفه، فالحزب كان سيبقى تحت السيطرة بسهولة، والرقابة الأمنية الاستثنائية، وبإمكان الأسد أن يحله في أي لحظة عندما يشعر بخطره، ويجر أعضاءه بسهولة إلى السجون المعتمة، خصوصاً وأن أيا من بقايا المعتقلين بأحداث الثمانينيات لم يكن قادراً على التفكير (مجرد التفكير) بأي عمل سياسي إسلامي. انظر:

ليفريت. **وراثة سورية**، م.س، ص120. ويعزو "**ليفريت**" أيضاً إلى: هينبوش، ريمون، **سورية: سياسة السلام وبقاء النظام**، سياسة الشرق الأوسط، 3، رقم 4، 1995، 83.



طلائع الغزو الشيعي

مدَّت الحوزاتُ الشبكةَ التبشيريةَ النشطة ــ التي تشكلت لتوها بأموال المرجعيات و"المحسنين" الخليجيين (الكويتيين بشكل خاص) ودعمهم المعنوي ــ بالسند الفكري والكادر التبشيري المؤسسي؛ فوجود الحوزات على الأراض السورية يتطلب أساتذة ومدرسين منتدبين من قبل المرجعيات، وإنه لأمر ذو دلالة أن تكون جميع إدارات الحوزات وكوادرها التدريسية والتعليمية ــ التي أسست في ذلك التاريخ (وحتى اليوم) ــ من جنسيات غير سورية (معظمها عراقية وإيرانية وبعضها لبناني)، وإن كان هذا يدل على شيء؛ فإنما يدل على هيمنة المرجعية الدينية الإيرانية والعراقية على الفكر الشيعي، وأن الأقلية الشيعية السورية الصغيرة جداً ليس لديها مرجعيات دينية ولا مدرسين أكفياء، لهذا السبب كانوا دائماً منفعلين بالخارج.

وشهد عام 1995 ــ بموازاة المد الحوزوي ــ زيارات متكررة من قبل المرجعيات الدينية (الإيرانية والعراقية) والمستشارين الثقافيين الإيرانيين والوعاظ الشيعة "الأجانب" إلى أماكن التواجد الشيعي الضعيف بغرض دعمه وتوسيعه في أنحاء مختلفة في سورية، خصوصاً في مناطق الجزيرة وحمص ودرعا، وفي كل هذه الجولات حظي مقاما "عدي بن حجر الكندي" (عدرا) و"عمار بن ياسر" (الرقة) باهتمام استثنائي، فعيون الشيعة مشدودة لاحتلالها على غرار مافعلوا بمقام السيدة زينب والسيدة رقية من قبل.

وعلى سبيل المثال، في نهاية 1995 كان الواعظ الشيعي العراقي "**عبد الحميد المهاجر**" يجوب المحافظات ويهتم بشكل خاص بالمقامين المذكورين[128]، وفي زيارته هذه إلى مقام "عمار بين ياسر" أمرت السلطات آنذاك أئمة المساجد والخطباء والطلاب بحضور حفل خطابي يلقي فيه المهاجر كلمة عن الصحابي الجليل "عمار"، ولأن مقتل عمار يمثل علامة على الانحياز "للحق" مع علي بن أبي طالب، فإن الحديث عنه يعني بالضرورة حديثاً ناقداً وطائفياً عن الصحابة الآخرين الذي وقفوا بالمقابل لعمار وعلي، استفز حديثه هذا الشيوخ، ودار لغط كثير في الأوساط الدينية ربما وصل صداه إلى المدن المجاورة، وكان تصاعد الحديث ينذر بتشيكل احتجاج ديني لا يخدم الأسد، الأمر الذي ألجأه إلى منع "المهاجر" من زياراته للمقامات وضبط حركته التبشيرية؛ فالأسد ليس مستعداً الآن لأي تأجيج للمشاعر الدينية، وهو بطبيعة الحال كان حذر جداً من استفزاز الطائفة السنية ــ تلك التي كان قد عانى منها وأذاقها الأمرين ــ في الوقت الذي يمهد فيه لتوريث الجمهورية.

---

[128] حول اهتمام المهاجر بمقام "**حجر بن عدي**" خصوصاً، انظر الهامش رقم (109).

وافق حافظ الأسد عام 1988 على طلب الحكومة الإيرانية بالسماح لها بالاعتناء بمقام الصحابي "عمار بن ياسر"[129]، والذي يضم فضلاً عن ضريح "عمار بن ياسر" ضريح كل من الصحابي "أبي بن قيس النخعي" والتابعي "أويس القرني"[130] في الرقة، و"الإشراف" على ترميمه وتوسعته وبناء جامع كبير عليه كأحد المقامات المقدسة للشيعة، وذلك "بالتعاون بين الجمهورية العربية السورية ووزارة الإسكان في الجمهورية الإسلامية الإيرانية" حيث ينجز الجانب الإيراني لوحات الفسيفساء والقيشاني وينفذ السوريون الحجر المفرز والبلاط [131].

ولكن الأضرحة كانت في مقبرة سنية ومدينة سنية لم يسبق أن عرف أهلها التشيُّع، ولما كان من مقتضيات التوسعة[132] تجريف القبور ــ كما جرى من قبل في مقبرة آل البيت في باب الصغير[133] في دمشق ــ فقد رفض الأهالي نقل موتاهم، و"عندما رفض الناس رفع جثث موتاهم؛ أصدر المحافظ أمراً تنفيذياً بإلزام المواطنين بنقل الجثث وإخلاء المقبرة تحت طائلة دثرها، وقد بني على أطلال المقبرة مركز شيعي وجامع كبير"[134]. وبدأ العمل في المقام بشكل بطيء خلال الفترة (1988-2000) وكانت حركة الإعمار ووتيرتها الباردة خلال هذه الفترة تعكس في الواقع السياسة التي انتهجها حافظ الأسد تجاه الإيرانيين.

والطريف أن للصحابي "**عمار بن ياسر**" مقاماً آخر في سورية في قرية "**عريقة**" (محافظة السويداء)، على تل مسمى باسمه شمالي القرية![135] وربما فكَّر الإيرانيون لاحقاً في احتلاله ليصبح له مقامان، فقد اعتاد الملالي على احتلال المقامات وتعددها[136].

---

[129] انظر: الحجي، اسماعيل، **مقام عمار بن ياسر**: **معلم هام من معالم السياحة الدينية في الرقة**، موقع "**الرَّقة**" الرسمي، انظر الرابط:
http://www.eraqqa.sy/__print.php?filename=200705151651031O

[130] وعلى الرغم من وجود قبر الصحابي الجليل "**وابصة بن معبد الأسدي**" ــ الذي روى عن النبي (ص) 11 حديثاً ــ في المقبرة ذاتها، إلا أنه "ما زال قبره مهملاً في الجامع القديم" ولم يدخل في مشروع التجديد وإعادة الإعمار إياه!

[131] الحجي، **مقام عمار بن ياسر**، م.س، على الرابط:

http://www.eraqqa.sy/__print.php?filename=200705151651031O.

[132] كان المطلوب مساحة 50 ألف متر مربع للضريح والأبنية الملحقة له، والصحن، يشكل البناء وحده (عدا الصحن) مساحة 17 ألف متر مربع. انظر: المصدر السابق نفسه.

[133] والثابت تاريخياً أن ما تبقى من أسرة الحسين رضي الله عنه وبعد القدوم إلى دمشق بعد حادثة كربلاء لم تستقر في دمشق بل رجعت إلى المدينة المنورة.

[134] المحامي "**عبد الله الخليل**" (ناشط حقوقي من أهالي مدينة الرقة)، انظر: صحيفة "الوطن العربي"، **استراتيجية إيران لنشر التشيع في سورية**، 12 حزيران/يونيو، 2006.

[135] **وعريقة** هي قرية صغيرة تقع في جنوب سورية وتتبع لريف محافظة السويداء، سُكانها قرابة 7 آلاف نسمة وتقع في منطقة اللجاة المنخفضة عن سفح الجبل. تبعد عن مركز مدينة السويداء حوالي 30 كيلو متراً.

وانظر: عريقة (قرية)، **ويكيبيديا** (الموسوعة الحرة)، على الرابط:

ويبدو احتلال المقامات السنية المتعلقة بالصحابة والتابعين وآل البيت أمراً مستفزاً طائفياً، فالموجة الكبيرة من الاحتقان ضد الشيعة في سورية والتي أثارها تدشين مقام "عمار بن ياسر" (عام 2004) لم تهدأ حتى اليوم، ومع ذلك يبدو احتلال مقامات موجودة والاستيلاء عليها أمراً مفهوماً في بنية الوعي الشيعي الغارق في التاريخ المأساوي لموتاه المظلومين، واحتكار "أهل البيت" له، و"نفي" أي شرعية لعلاقة الآخرين (لاسيما السنّة) بهم! كل ذلك ـــ رغم عدم أخلاقيته ـــ يبدو مفهوماً إلى حد ما، إلا أنَّه من غير المفهوم اختلاق مقامات لا أساس تاريخي لها، كما في مقام "**السيدة سكينة بنت علي بن أبي طالب**" في مدينة داريا، ومقام "**محسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب**"[137] قرب "مشهد النقطة" في حلب.

ففي إحدى أيام عام 1999 استيقظ أهالي "**مدينة داريا**" ـــ المدينة السنية المعروفة بتمسكها بسنيتها، والواقعة في الغوطة الغربية لمدينة دمشق ـــ على لافتات (عند تحويلة أوتوستراد المزة لمدخل المدينة، وفي مركز المدينة عند الجامعة "المقبرة") تشير إلى مقام صغير شُيِّدَ حديثاً في منطقة قريبة من مبنى البلدية باسم "**مقام السيدة سكينة بنت علي** (ع)"، بني على عقار يتبع للملكية العامة، والأهالي على يقين إلى اليوم بأن مقاماً كهذا لم يكن موجوداً في داريا من قبل، وحتى كتب التاريخ الكثيرة التي

---

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%82%D8%A9_%28%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%A9%29

[136] على سبيل المثال: للحسين مقام في دمشق (حيث دفن رأسه)، وآخر كربلاء (حيث قتل)، وثالث في القاهرة! وللسيدة زينب مقام في ريف دمشق، وآخر في القاهرة! والسيدة سكينة بنت الحسين، لها مقام في دمشق (مقبرة باب الصغير) وآخر في القاهرة!

[137] ومقام "**مُحسِن بن الحسين**" اللذي بدأ يتردد على ألسنة الشيعة مؤخراً في الحقيقة هو ما يعرف لدى أهالي حلب بـــ "**مقام الشيخ مُحَسِّن**"، ويعتقد أهل حلب أن "**الشيخ مُحَسِّن**" هذا أحد الأولياء الصالحين.

يقع المقام داخل مسجد سني تاريخي عريق مسمى باسمه (مسجد الشيخ محسن)، يبعد بضعة مئات من الأمتار عن "مشهد النقطة" الشيعي، ولم يُذكر هذا المقام حتى في دولة الحمدانيين، ولا توجد فيه أية إشارة تدل على علاقته بأهل البيت، لكن الملالي حاولوا ربطه بمشهد النقطة ـــ الذي يقال إن السبايا مررن به مع رأس الحسين ـــ تمهيداً لاحتلاله والاستيلاء عليه.

وبما أنه لم يرد في أي من كتب التاريخ (بما فيها كتب الشيعية) اسم "محسن بن الحسين"؛ فقد ابتكروا نظرية مفادها أن "الشيخ محسن" ما هو إلا سقط لأحد نساء الحسين اللائي أخذن كسبايا إلى يزيد بن معاوية عام 61هـ! وبالتأكيد استعاروا هذه الافتراض من اعتقاد سائد لدى الشيعة بوجود سقط باسم "**محسن بن علي**" شقيق للحسين الذي يعتقدون بأنه كان جنينا حين أراد أهل السقيفة الدخول عنوة إلى بيت علي وفاطمة لأخذ البيعة منهم رغماً، فقاسوا عليه وابتكروا نظريتهم. وثمة مساعٍ متزايدة للاستيلاء عليه واحتلاله وهي مساعٍ تثير قلق أهالي مدينة حلب وتبعث على التوتر الطائفي، خصوصاً وقد أصبح مزاراً يتكاثر زواره يوماً بعد يوم، مع تزايد انتشار نظرية "السقط" وشيوعها لدى الشيعة ومروجي السياحة الدينية في إيران والعراق ولبنان.

حول هذا التفسير انظر ما ورد في تقرير: الشمري، **مهرجان خطابي في الرقة**، م.س، **الوكالة الشيعية للأنباء**، على الرابط:
http://www.ebaa.net/khaber/archev/khaber022/khaber22.htm

وحول اعتقاد الشيعة بالسقط "محسن بن علي" انظر: مجلة المنبر، الكويت، العدد الرابع عشر، ربيع الآخر 1422هـ، تقرير بعنوان: "**السلطات الإيرانية تعتقل منظمي مجلس عزاء للمحسن السقط! (عليه الصلاة والسلام)**". يمكن قراءته على الرابط:
http://www.14masom.com/menbar/16/2.htm



اعتنت بتاريخ هذه المدينة[138] لا تذكره، على الرغم من اشتهار وجود عدد من الأضرحة فيها، كضريح التابعي الجليل "**أبو مسلم الخولاني**" (51 هـ)[139]. وفي حين ينفي الأهالي بشكل قاطع وجود أصل لهذا المقام يزعم الملالي أن هذا المقام وجد "ضمن عقار مستقل مسجل في السجلات العقارية منذ أيام الاحتلال الفرنسي والعثماني قديماً، وقد سُجِّل بفتحة سماوية تحوي بئر ماء وشجرة كينا وشجرة رمان ومقام يدعى "سكينة بنت الإمام علي" كرم الله وجهه، وكان لغرفة المقام زقاق ضيق بجانبها، ولها نافذة حجرية يضع الناس عليها بعض الشموع أو أشياء أخرى"[140].

شُيد المقام المختلق ـــ والذي لا تعترف به أي من كتب التاريخ ووقائعه ـــ وأصبح الآن واقعاً شاء من شاء وأبى من أبى! وبذلك أوجد الملالي بؤرة تشيُّع جديدة تسمح لهم بالتمدد مادياً ومعنوياً، وليس لاختراع المقام ـــ وهي عادة متأصلة للملالي أيضاً[141]ـــ واحتلال المركز السني (داريا) سوى

---

[138] مثل كتاب "**تاريخ داريا**" لـــ"عبد الجبار بن محمد بن مهنا الخولاني" وهو أشهر وأهم الكتب التاريخية وأوثقها عند المؤرخين عن مدينة داريا، ولم يذكر أي من كتب التاريخ الأخرى وجود مقام في بلاد الشام لـــ "سكينة بنت علي بن أبي طالب".

إنما ذكر بعض المؤرخين احتمال وجود مقام لسكينة بنت الحسين (وليس بنت علي) في ظاهر دمشق، ولكن رجح ابن عساكر ما ذهب إليه سائر المؤرخين أن سكينة بنت الحسين دُفنت في المدينة المنورة، وعلى هذا الأساس يقول المؤرخ ابن عساكر: "**والصحيح أنها ماتت بالمدينة وأمرهم الوالي ألا يدفنوها حتى يحضرها، وركب إلى بعض أحواله بنواحي المدينة وكان اليوم حاراً، فتغيرت رائحتها، واشتري لها طيب كثير ليغلب الرائحة فلم يغلب، ثم بعث إليهم أن ادفنوها فإني مشغول، فدفنت ولم يحضر**". انظر: ابن منظور الإفريقي، **مختصر تاريخ ابن عساكر**، ج1، ص ص111-112 "**موقع الوراق**": http://www.alwarraq.com والكتاب مرقّم الكترونياً، وغير موافق للنسخ المطبوعة.

ولابد من الإشارة إلى أن **للسيدة سكينة مقام في "مقبرة باب الصغير" ذكره ابن جبير في رحلته، وهو قائم إلى اليوم**، وبالتأكيد هو الذي ذكره ابن الأكفاني، وقد شاهدناه أثناء زيارتنا للمقبرة في أوكتوبر 2006 (انظر الهامش رقم 137)، وهو مقام يعرفه الشيعة جيداً، وخصوصاً شيعة دمشق؛ لأن مسؤولية العناية به رسمياً في عهدتهم، والمقام مجدد وعليه لوحة تذكر تاريخ التجديد، واسم الذي تكفل بتمويل تجديده.

[139] يعقوب بن عوف أو: ابن عبد الله، أدرك الجاهلية، وأسلم في حياة النبي (ص)، وقيل في عهد الخليفة الراشد "**أبو بكر**"، وقيل في عهد الخليفة "**عمر بن الخطاب**"، أصله من اليمن، قدم المدينة المنورة في عهد أبو بكر، وسكن الشام في عهد معاوية؛ فنزل بداريا، وهو قارئ أهل الشام.

[140] من كلام المهندس المشرف على إعمار المقام، انظر: عرابي، أحمد. **إعادة بناء مقام السيدة سكينة: إحياء جديد لرمز ديني وتاريخي عريق**. تقرير في موقع "**عكس السير**"، بتاريخ الثلاثاء 7 آب 2007. انظر الرابط:
www.aksalser.com/?page=view_articles&id=09d0ce08fe485cbce6c1ce2974dc6dac&ar=296247042

[141] يمثل اختلاق "مشهد النقطة" بحلب مثالاً نموذجياً لذلك، فهو بحد ذاته مبني على فكرة أسطورية (نقطة دم سقطت من رأس الحسين!)، وقصة بنائه أيام الحمدانيين تدل بوضوح على ذلك كما تثبت الروايات التاريخية. انظر هامش رقم (117).

وأيضاً مثله ما ذكره ابن جبير في رحلته، من "مسجد للشيعة قرب دمشق، ينسب لعلي بن أبي طاللب، فيه "حجر عظيم، قد شُقَّ بنصفين والتحم بينهما، ولم يبن النصف عن النصف بالكلية، يزعم الشيعة أنه انشق لعلي رضي الله عنه اما بضربه بسيفه أو بأمر من الأمور الإلهية على يديه. ولم يذكر عن علي، رضي الله عنه، أنه دخل قط هذا البلد، اللهم إلا إن زعموا أنه كان في النوم، فلعل جهة الرؤيا تصح لهم إذ لاتصح لهم جهة اليقظة. وهذا الحجر أوجب بنيان هذا المشهد!". ويضيف ابن جبير: "وهذا من



هذا المغزى، ومن غير المستبعد إطلاقاً أن تكون ثمة فكرة تداعب خيالهم في تحويلها إلى "قم" ثالثة على غرار "السيدة زينب".

الاستيطان

تنشأ المقامات، ويتم بعثها أو اختلاقها، الأمر سيان، فهي تحتفظ بنفس التأثير وتلعب الدور نفسه، ويبدأ الزوار يتقاطرون من إيران والعراق ولبنان والخليج، وتروِّج المرجعيات والمبشرين ومكاتب السياحة الدينية لزيارتها، وتصبح الصور والمقتنيات التذكارية حاجة للزوَّار المتكاثرين سرعان ما يكتشفها الأهالي، فينشأ مع الأيام ــ وبسرعة كبيرة تواكب تزايد التدفق ــ سوق في المباني والمحال المجاورة، وشيئاً فشيئاً يصبح بقاء المقام جزءاً من معاش الأهالي!

يعاد بناء المقام على هيئة مكان مهيب أو يتم توسعته، ليزيد ذلك من اجتذاب الزوار المتبركين ومن كادره الخدمي، ويبدأ بالتحول إلى مركز تبشري، ويبدأ سعي المتدينين والمرجعيات الدينية للإقامة بجوار المقام، ويتحول الأمر إلى وجود شيعي اجتماعي واقعي مع مرور الأيام. ومن الطبيعي أن تنتشر الفارسية (لغة الحجاج والزوار) على الألسنة وواجهات المحال التجارية المجاورة للمقام، وسرعان ما تبدأ فكرة "الحسينيات" و"الحوزات" بجوار المقام "المقدس" تستحوذ على تفكير المراجع الدينية، الذين سيتنافسون على وجود مؤسساتهم بجواره تنافساً أساسه التنافس على الأتباع.

عقد من الزمن كفيل بأن يجعل أي مكان من الأماكن التي يشيدون فيها مقاماً كي يتحول إلى مركز تبشيري واجتماعي شيعي، لتبدو منطقة المقام كما لو أنها قطعة أرض هاربة من بلاد فارس! أو أبنية من أجواء قصص ألف ليلة وليلة! فشكل الأبنية والقباب على الأضرحة وملحقاتها يُبنى دوماً وفق النمط الفارسي حصراً، وبالتاكيد فإن هذا الأمر له دلالته الرمزية والنفسية للشيعة العرب وعلاقتهم الاعتقادية بإيران الجمهورية الإسلامية الممهدة لظهور "الإمام المهدي".

هذا التسلسل لقصة الاستيطان يصدق على كل المقامات المقامة حتى الآن، بدءاً من مقام "السيدة زينب"[142] الذي بدأ احتلاله في السبعينيات، وصولاً إلى مقام "السيدة رقية" الذي احتُل في

أغرب مختلقاتهم". انظر: ابن جبير، محمد بن أحمد الكتاني، **رحلة ابن جبير**، بيروت، دار التراث، 1968، د.ت، ص240، وص252.

[142] "إن أحداً لم يكن يعرف بأن مقام السيدة زينب سيجذب هذه الأعداد الهائلة من السكان، و(...) إن الجولانيين عندما نزحوا الى هنا بعد حرب حزيران (يونيو) عام 1967 كانت المنطقة كلها مزارع وبساتين مزدهرة، وكانت الأرض رخيصة الثمن جداً والأمر بقي كذلك حتى منتصف الثمانينات؛ عندما التفت الإيرانيون الى أهمية المنطقة الدينية وبدأوا زيارتها بأعداد كبيرة جداً".
من كلام لأحد النازحين من الجولان، انظر حول السيدة زينب وتحولها مدينة للسياحة الدينية تقرير من دمشق:



تلك الفترة أيضاً، مروراً بمقام عمار بن ياسر الآن، والقصة نفسها أيضاً تجري الآن في مدينة درايا حيث "مقام السيدة سكينة" الجديد وفي عدرا حيث ضريح الصحابي "حجر بن عدي".

شهدت الفترة هذه (1990-2000) وفود أعداد كبيرة من المهاجرين العراقيين الشيعية كانعكاس لظروف الحصار الدولي المفروض على العراق، وانعكاس لبطش النظام العراقي اثر "انتفاضة الجنوب الشيعي (1991)، لكن أعدادهم حتى نهاية التسعينيات لم تكن من الكثرة بحيث تضاهي الزوار الإيرانيين، لكن العراقيين كانوا مقيمين، في حين كان الإيرانيون زواراً لا يلبثوا أن يرحلوا بعد وصولهم بأيام.

انخرط طلاب العلوم الدينية من العراقيين الشيعة وملاليهم في الحوزات العلمية[143] القائمة في "السيدة زينب" وساهموا في تأسيس حوزات وحسينيات جديدة، وأموا وأداروا حسينياتها، ووفقاً لشهادة "**مختار البغدادي**" مدير "**حوزة المصطفى**" فإنه "بعد استقرار جمع كبير من الأخوة العراقيين في بلاد الشام، وبالذات في منطقة السيدة زينب (عليها السلام) ومن مختلف الكفاءات والمحافظات العراقية تبلورت جملة من التصورات في أذهان العلماء والمتصدين للقضية الدينية في ضرورة بناء المؤسسات الدينية التي تتبنى مسؤولية بناء شخصية الإنسان المؤمن بناءً تخصُّصِيّاً"[144].

وبدأت معالم السوق والمحال التجارية تتلون بالصبغة العراقية منذ نهاية التسعينيات[145]، أي بعد الحظر الذي فرض على العراق إثر عملية ثعلب الصحراء في عهد الرئيس كلينتون، والذي يقوم على مبدأ "النفط مقابل الغذاء" والدواء طبعاً، وبكل مقتضيات البيئة الاجتماعية والاقتصادية الشيعية العراقية صبغت الأزقة الرئيسية للسيدة زينب، وذلك بجوار الحضور الإيراني المحصور في إطار انتشار اللغة وتجارة السياحة الدينية، ولتلبية الاحتياجات المتزايدة لمركز ديني تعليمي بدأ عدد كبير من المكتبات تنشأ لتسويق الكتب الدينية التبشرية والحوزوية التعليمية في الشارع الرئيسي للسيدة زينب،

خضر، محمد. **السيدة زينب... شو صاير؟**: بلدة السيدة زينب التي يؤمها حوالى مليون زائر سنوياً.. ضاحية دمشق المزدهرة رغم فقرها وعتبة الزوار العراقيين والإيرانيين. صحيفة **الحياة**، لندن، 2006/10/16.

[143] معظم مدراء الحوزات هم من الشيعة العراقين المهاجرين، مثل: "**جلال معاش**" (مدير الحوزة الزينبية)، و"**مختار البغدادي**" (مدير حوزة المصطفى)، وقد سبقه في إدارتها بين 1995 (تاريخ الإنشاء) و2000 كل من: "الشيخ **جعفر الحائري**" و"الشيخ **صفاء الخطيب**" و"السيد **مصطفى السادة**".

[144] انظر: السلامي، حيدر. **حوزة المصطفى للعلوم القرآنية في دمشق... صرح علمي شامخ**، حوار مع مدير حوزة المصطفى "**مختار البغدادي**"، نُشر في 18 تموز/يونيو 2007. موقع "الوكالة الشيعية للأنباء" (إباء)، على الرابط:
http://www.ebaa.net/hewarat/013/013.htm

[145] خضر، **السيدة زينب**، صحيفة **الحياة**، ، م.س.



وسرعان ما ظهرت ــ بطبيعة الحال ــ بعض دور النشر الشيعية في سورية (مثل: **مكتبة دار الحسنين**)[146].

---

[146] المكتبات تقوم بطبيعة الحال بدور تبشيري، وصاحب "**دار الحسنين**" "أبو ميثم" (محمد علي اليوسفي/إيراني الجنسية) مبشر نشيط، لعب دوراً في تشييع "**محمد يوسف قمجي**" (أول من تشيع من أهالي الضمير في ريف دمشق). وحسب شهادة عدد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم فإن "أبو ميثم" (مدير "دار الحسنين") كان ممن يعرض على طلبة العلوم الدينية السنة والمثقفين المتدينين الذي يأتون إلى مكتبته الكبيرة في السيدة زينب الدراسة الحوزوية في قم.

واليوسفي ولد في عام 1955 في مدينة كربلاء العراقية، وغادر العراق عام 1967م متوجّها إلى طهران، حيث عمل كمحاسب في أحد البنوك الإسلامية، إضافةً إلى عمله في مجال الطّباعة والنّشر. وانتقل في عام 1981 إلى سورية، حيث عمل في الكادر الإداري للحوزة العلميّة الزّينبيّة. وأثناء إقامته في سورية قام في الثمانينيات بتأسيس "**مؤسّسة البلاغ**" في بيروت التي تعنى بطباعة ونشر الكتب الشيعية، حيث طبع مئات الكتب من أمّهات الشيعة.

حول دوره في تشييع "القمجي" الذي أدخل التشيع إلى بلدة "**الضمير**" في ريف دمشق، انظر: آل قطيط. **المتحولون**، م.س، مقابلة مع "السيد محمد يوسف قمجي". نص المقابلة في الكتاب على الرابط:

http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm

وحول السيرة الذاتية لمحمد علي اليوسفي، انظر مقابلة معه في موقع "**الشيرازي.نت**"، بتاريخ: 18-9-2005م الموافق لــ13 شعبان 1426 هـ، على الرابط: http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/010.htm





الفصل الرابع

احتلال المركز

الزحف 2000–2007

"هذه الحوادث التبشيرية التي تكون معذورة لو أن الدافع لها اليقين والإيمان، إلا أن الشيء المشين في هذه الحوادث ـــ وهنا موضع استيائنا وعليه احتجاجنا ـــ هو استثمار واستغلال فاقة شعب فقير وشراء ضمائر ضعيفة كما تُشترى السلع لتمرق من دين إلى دين آخر... ويا للأسف حالتنا أن يصادف المرء بين قومه أناساً يتخذون أقدس العقائد بضاعة للاتجار بها في سوق التجارة السياسية"

(من عريضة لبعض شيوخ وزعماء الطائفة العلوية إلى الخارجية الفرنسية، بتاريخ 27 تموز 1936)

لا شيء يفلت من قبضة التاريخ، ولا شيء من التاريخ يبقى على حاله، وثمة منعطفات في التاريخ ليست أكثر من نتائج تراكم تاريخ سبقه، على هذه القاعدة تسير قصة التشييع في سورية، فحركة التشييع التي مارسها ملالي إيران لاسترداد علويي الجبل النصيريين إلى أصلهم، مروراً بالتبعيث الشيعي الذي مارسته جمعية الإمام المرتضى لأغراض سياسية محلية، وصولاً إلى التمدد الشيعي وزراعة المقامات و"المراكز الدينية" في أواخر التسعينيات أمر كان له أن يسمح بانعطافة نوعية لهذه القضية في عهد الوريث غير الشرعي للجمهورية بلغت حداً جذبت فيه اهتمام المجتمع الدولي والقوى الفاعلة في الشرق الأوسط.




أولاً: وراثة الحلفاء (2000–2003)

توريث العلاقات السياسية جزء من توريث "المُلك"، على هذا الأساس بدأ نجل الأسد (بشار) بمقابلة القادة الأجانب الذين يزورون دمشق منذ 1999، ووجد الأب ضرورة بناء صلة لنجله مع جاره الملك الجديد عبد الله الثاني بعد وفاة والده العاهل الأردني الملك حسين بن طلال في كانون الثاني 1999، فأُوفِدَ بشار في شهر شباط (الشهر التالي) معزياً الملك عبد الله، وكانت هذه الزيارة هي الزيارة الخارجية الأولى للقادة والسياسيين. تتالت بعدها الزيارات إلى الكويت، والسعودية، وقطر، وإيران، وعدد من الأقطار والبلدان الأخرى، على رأس وفد من كبار الصناعيين ورجال الأعمال وبعض من المسؤولين من الصفوف الثانية في وزارات الدولة[147]، وكان الأمر واضحاً ومعلوماً لكل الذين زارهم أن زيارته ليست إلا تسويقاً للرئيس المقبل.

قوبل الرجل على هذا الأساس باحترام واضح (مستمد بالأساس من احترام والده)، وحظي بحفاوة خاصة لدى الإيرانيين، الذين قدم إليهم وقد أصبح ممسكاً بالملف اللبناني وحزب الله على وجه الخصوص[148]؛ إذ كان القادة الإيرانيون مهتمين بمعرفة الرجل عن قرب، وببناء علاقة جيدة معه، فلديهم مصالحهم في لبنان وهو منذ الآن بات يملك مفاتيحها.

لكن هذا التسويق الخارجي جاء بعد تسويق داخلي وتوريث للعلاقات مع أطراف المجتمع المحلي واللبناني (الذي كان يعامل كما لو أنه جزء من المجتمع المحلي)، وفي هذا السياق حاول الأسد كسب شعبية لابنه، عبر كسر الصورة النمطية (تلك التي أسسها بنفسه) للرئيس القابع في قصره على مسافة من "شعبه" ومواطنيه، بزيارات متكررة للمدن السورية الرئيسية، وحضور بعض المحاضرات العامة[149]، لكن الأهم في ذلك كله ــ بالنسبة لهذه الدراسة ــ كانت علاقة الأسد الابن مع ملالي الشيعة، تلك العلاقة التي سعى لتوطيدها كل منهما للأسباب نفسها التي دعت حافظ الأسد ليمنحهم قدراً من الحرية لم يعهدوها من قبل.

---

(147) حظيت هذه الزيارات جميعها بتغطية غير مسبوقة من قبل الإعلام المحلي المرئي والمسموع والمكتوب، وبما أن بشار الأسد لا يحمل أي صفة رسمية في هذه الزيارات، فقد كان الإعلام ينعته بلقب "الدكتور" وحسب.

(148) تسلم بشار الأسد الملف اللبناني من عبد الحليم خدام نهاية عام 1998، وكان خدام مسؤولاً عن الملف البنباني خلال ما يزيد عن عشرين عاماً.

انظر: ليفريت، **وراثة سورية**، م.س، ص204.

(149) مثل المحاضرات الأسبوعية لــ "**منتدى الثلاثاء الاقتصادي**" في "**المركز الثقافي**" في منطقة المزة في دمشق، خصوصاً بين عامي 1998-1999.



يمثل التيار الشيعي (تيار عودة الفرع إلى أصله) القوي في الطائفة العلوية سنداً قوياً وداعماً للأسد، فلطالما كان الأسد الأب مؤيداً لهذا التيار لإخراج الطائفة من عزلتها الفكرية والاجتماعية، وكان زعامات التيار تبادله التأييد والمؤازرة، وعلى الرغم من صغر حجم الأقلية الشيعية الأصلية في سورية وكونها ليست مغنماً بالنسبة لبشار الأسد، إلا أن قوة التيار الشيعي في الطائفة العلوية يجعل التودد وإنشاء العلاقة الإيجابية معها ذا معنى بالنسبة لمستقبله السياسي في طائفته (العلوية) التي تملك نفوذاً استثنائياً في تركيبة السلطة والجيش والحزب وقوى الأمن[150]، فضلاً عن علاقة ذلك بملالي إيران ولبنان، وكلهم يمتلكون أهمية غير عادية، فالملف الشيعي ملف يتعلق بالداخل والخارج على السواء، وعليه (الرئيس المقبل) أن يحسن معرفته ومودادته.

من المؤكد أن باسل الأسد كان يلتقي شيخ بلاط والده ورجل الدين السُنّي الدكتور "محمد سعيد رمضان البوطي"[151]، بالإضافة إلى الشيخ "مروان شيخو"، ومفتي الجمهورية الشيخ "أحمد كفتاور"، ويتودد لهم بأسئلة واستفتاءات دينية فقهية! كان الأسد في ذلك الوقت مازال قريباً من أزمة الثمانينات وتداعياتها، ويريد لجم الأحقاد السنية، فالطريق إلى توريث آمن هو ضمان تسكين عواطف الأكثرية السنية وتأمين عدم ثورتها الانتقامية عبر شيوخ يكتسبون قدراً وافراً من الثقة الشعبية، وإن كان هذا لا ينفي أن الأسد كان مهتماً بالتيار الشيعي العلوي وإن بقدر أقل، فقد كان يعتمد على توريث نجله القوي (باسل) على مفاصل الجيش ويمهد له الأمن. لكن الوريث "الضعيف" بشار جاء في غير ميعاد، إثر حادث مفاجئ أودى بحياة شقيقه باسل نهاية عام 1994، الأمر الذي اضطر الأسد الأب لتغيير استراتيجيته للتوريث.

كان على الأسد أن يتبع استرتيجية تمكنه من إحراق المراحل لتحقيق هذا الغرض، فالمطلوب حل سريع للملفات المزمنة والخطرة أو سيطرة سريعة وقوية عليها، وبالتالي بدلاً من العلاقة مع الشيوخ لتسكين الجمهور السُّني، عليه التفاوض مباشرة مع الإخوان، وبدلاً من الاعتماد على السيطرة الأمنية والعسكرية في لبنان للتحكم بملف حزب الله لا بد من علاقة مباشرة وشخصية مع زعامات حزب الله (وزعيمه حسن نصر الله على وجه التحديد)، وبالملالي والزعامات السياسية الإيرانية، وبدلاً من إهمال الطائفة العلوية، يجب أن يحظى بدعمها ودعم التيار القوي فيها في مواجهة مطامع

---

[150] بدءاً بعهد الرئيس "**أمين الحافظ**" (1963-1966) مروراً بعهد "**نور الدين الأتاسي**" (1966-1970)، كان هناك عمل مستمر لتطييف الجيش وحزب البعث وعلونته، وفي عهد "**حافظ الأسد**" (1970-2000) استمرت هذه العملية ولكن أضيف إليها علونة السلطة والأجهزة الأمنية. حول عملية التطييف العلوي هذه، ونتائجها في تركيبة القوى السياسية والاجتماعية وأجهزة الأمن والجيش والحزب وعلاقتها بأحداث الثمانينيات وما بعدها انظر: Van Dam, ***the Struggle for Power***, Ibid.

[151] انظر: البوطي، محمد سعيد رمضان. **هذا ما قلته أمام بعض الرؤوساء والملوك** ، دمشق، دار اقرأ، ط1، 2001، ص101.



شقيقه "رفعت الأسد" الرجل القوي الذي يحظى بشعبية كبيرة في الطائفة العلوية، وفي الوقت نفسه فإن هذه العلاقة مع التيار الديني الشيعي القوي في الطائفة ستدعم علاقته مع حزب الله والإيرانيين. تلك باختصار متطلبات اللعبة الدينية في معركة التوريث واستراتيجيتها الجديدة.

الملالي أولاً

بدأ بشار بعلاقة واهية مع شيوخ السُّنة، ويبدو أنه كان لا يبدي الحماس الديني الذي كان يبديه شقيقه باسل، فقد كان يتجنب اللقاء بالبوطي ـــ مثلاً ـــ ما أمكن، الشيخ الذي كان الأب يحتفظ بعلاقة خاصة معه، وبدا واضحاً أن البوطي هُمِّش بشكل نهائي وأبعد عن بشار في نهاية التسعينيات، وبقيت علاقته محصورة بالأسد الأب، الذي كان يوحي له بأنه أمانته أمام الله، وخلال فترة ولايته الأولى (2000-2007) طلب الشيخ البوطي لقاء الرئيس الشاب أكثر من عشر مرات، وقوبل طلبه بالرفض المؤدب تارة، أو بالتأجيل غير المحدد الوقت، وهو أيضاً في معنى الرفض! وذلك على الرغم من أن البوطي حاول منحه الشرعية المفقودة في توريثه السلطة، عبر تأييده بوضع ثقله الرمزي الديني في سبيل ذلك، لكنه ما وجد آنذاك سبيلاً لهذا التأييد من عالم الدين السني الذائع الصيت سوى الشهادة لوالده بـــ "الإيمان" العميق، والتنويه بالتفاف الجماهير "بالحب العفوي" حول القائد الشاب وارث الجمهورية (وارث الرجل الصالح)! التي منحته "بيعة لا تستطيع الديمقراطيات المطبوخة المصطنعة أن تتسامى إليها، ولا تستطيع المزايدات المتكلفة أن تُغشِي على شيء منها"! بعد أن "آل هذا الأمر إليه بمشيئة من الله عز وجل أولاً، وببيعة صادقة صافية من هذا الشعب عن الشوائب ثانياً"[152].

بهذه المهمة التي أعدها له الأسد الأب انتهت "صلاحية" البوطي كشيخ للبلاط، ولسوء حظ البوطي ربما؛ فإنه لم "يتشرَّف" بمقابلة الرئيس منفرداً خلال سبع سنوات (فترة ولايته الأولى)[153]، وإن كان التقاه أكثر من مرة في مناسبات عامة وبشكل جماعي، وكان آخرها لقاؤه مع جمع من شيوخ الشام في أزمة التعليم الشرعي المعروفة عام 2006، إثر البيان الذي أصدره علماء سورية والموجه للرئيس بخصوص قانون التعليم الشرعي الجديد، وكان للقاء الشيوخ هذا أثره في تجميد القانون.

---

[152] انظر: المصدر نفسه، ص ص127-133.

[153] حسب أكثر من مصدر مقرب جداً من الشيخ محمد سعيد البوطي.

ما ينطبق على البوطي ينطبق على كفتارو وغيره من شيوخ أهل الشام، وكان الأسد الابن يفكر باستبدال مهمة الشيوخ، من مهمة رعائية واستمداد الشرعية المفتقدة، إلى مهمة إدارة الحالة الدينية وضبطها عى إيقاع السياسة السورية بأي وسيلة، في الواقع ما كان يريده بشار الأسد هو مزيد من إخضاع المؤسسة الدينية لمصالحه السياسية، أي علاقة هيمنة واستتباع وليس تبادل مصالح كما كان الأمر في عهد الأب، فهو يشعر أن أجهزته الأمنية وسطوتها الهائلة في المجتمع كفيلة بحمايته ومده بشرعية القوة على الأرض، وهي شرعية كارثية بقدر ما تبدو واقعية.

وعلى الرغم من أننا لا ندري ما الذي لقّنه الأب لابنه خلال ست سنوات ونصف (1994-2000) فإنه من المؤكد بأنه ورثه نظرته الإيجابية للتيار الشيعي العلوي، بوصفه تياراً إصلاحياً، وسعى لتأسيس علاقة متينة به تقوي العلاقة مع خمينيي إيران ولبنان (حزب الله)، فحزب الله ــ من وجهة نظر الأب ــ يمثل أداة مزدوجة بالنسبة لسورية، فهو من جهة يلعب الدور العسكري في السياسة الدولية المتعلقة بأزمة الشرق الأوسط، والسلام مع إسرائيل، ومن جهة أخرى يلعب دور أداة الهيمنة على لبنان، بجعل الحاجة مستمرة للحزب في الاعتماد على سورية التي تشكل له الممر الوحيد للسلاح والعتاد الإيراني والروسي.

منذ بداية تجهيزه لوراثة الجمهورية بدأ الأسد الابن يلتقي قيادات حزب الله، وزعيمه "حسن نصر الله"[154]، كما لا يستبعد أن يكون قد التقى الشخصيات الشيعية التي تمثل المرجعية الدينية والفكرية للشيعة وحزب الله؛ مثل الشيخ "حسين فضل الله" ورئيس المجلس الشيعي الأعلى (في ذلك الوقت) الشيخ "مهدي شمس الدين" على اعتبار أن فضل الله له دور أساسي في حزب الله، والمجلس الشيعي الأعلى[155] له أهمية خاصة بالنسبة لشيعة لبنان. وبالتأكيد فإن هذه اللقاءات جعلت الأسد الابن مسحوراً بشخصية "السيد حسن نصر الله" المتكلم الفذ[156]، الأمر الذي شكل علاقة خاصة حميمة وشخصية بين نصر الله والأسد السياسي الغر.

---

[154] انظر: أورباخ، بنيامين، وشنكر، دافيد. **صعود بشار السياسي**، بوليسي ووتش، 371، واشنطن، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 5 آذار 1999. نقلاً عن: ليفريت، **وراثة سورية**، م.س، ص204.

[155] تأسس عام 1969 ليكون مسؤولاً عن القضاء الجعفري والتعليم الديني الشيعي في لبنان، أسسه الزعيم "موسى الصدر"، وبطبيعة الحال كان أول رئيس له، وبُعيد اختفائه عام 1987 خلفه الشيخ "مهدي شمس الدين" الذي كان يشغل منصب نائب رئيس المجلس.

[156] ربما لعب تقارب السن دوراً مهماً، فنصر الله يكبر بشار الأسد قرابة عشر سنوات فقط. ولا ندري ماكان يجري من الأحاديث بينهما، لكن من الطبيعي أن نتوقع تعرض كل منهما إلى شيعية الطائفة العلوية النصيرية؛ فهذا الحديث يمثل أحد المداخل الطبيعية لعلاقة وثيقة بين طرفين تدخل الجانب العقدي والاجتماعي مؤازراً العمل السياسي، وبإمكاننا أن نتوقع أيضاً أن من بين موضوعات الحديث العامة التي دارت بينهما ووثقت العلاقة بشكل غير عادي بينهما الحديث عن دور الأسد في لبنان ومساندة الحكومة

وفي حزيران عام 2000 استقبل الرئيس الجديد (بشار) ضيفه اللبناني السيد حسن نصر الله القادم لتعزيته بوفاة والده، لكن لم يكن هذا الاستقبال تقليدياً، فقد رأى المواطنون السوريون مشهداً رمزياً يستدعي التأمل، فالسيد المذكور هو الأمين العام لحزب الله الذي خرج لتوه من "انتصار" تاريخي؛ حيث انسحبت اسرائيل من جنوب لبنان تحت ضربات المقاومة اللبنانية. وهذا ما منح شخصيته زخماً استثنائياً؛ فقد أصبح في العواطف أقرب إلى شخصية البطل، في إطار هذا المعنى الذي يلف شخصية نصر الله، وقف نصر الله (المولع بالرمزية السياسية الفجّة)[157] معانقاً الرئيس الغر، ثم تنحى مستعرضاً أمامه رتلاً من خاصة مقاتلي حزب الله بلباسهم الأسود الرسمي، كان معنى هذه الرسالة الرمزية لنصر الله أن مقاتلي حزب الله هم جند الأسد!

تشير هذه الحادثة ــــ في الواقع ــــ إلى مدى العلاقة السياسية االتي تربط حزب الله بالنظام السوري من جهة أولى، وإلى مدى العلاقة الشخصية التي أصبحت تربط نصر الله بالرئيس الجديد من جهة ثانية.

واستطراداً فخلال السنوات الست التي أمضاها بشار الإسد في الاستعداد للتوريث كانت علاقة حزب الله تقوى بشكل عام مع النظام السوري، ففي السنة الأخيرة كان حزب الله يقيم المعارض في "مكتبة الأسد الوطنية" في دمشق، وفي عدد من المدن السورية لتوضيح وشرح عملياته البطولية ضد الإسرائيليين، بالفيديو والمجسَّمات.

في الداخل كانت علاقة بشار تتزايد بالشيعة في سورية، وتحديداً بالتيار العلوي الشيعي، ومنه بالشيعة السوريين والعراقيين والإيرانيين (الذين يعملون على الأراضي السورية بالتعليم الديني والتبشير)، وقد زاره هؤلاء زيارات خاصة في القصر الرئاسي وفي القرداحة مرات عديدة، بل إن هذه الزيارات كانت تتكرر في المناسبات الدينية والاجتماعية والسياسية، وكانت تعني في عموها تأييداً ودعماً للرئيس المقبل[158]، وبالتأكيد فإن الأسد الابن كان يستمع إلى شكاياهم ويقدم لهم العون في

الإسلامية الإيرانية، وعن شخصية الأسد الأب السياسية الفريدة، وعن دور حزب الله في المقاومة للاحتلال الإسرائيلي وإنجازاته في ذلك ودور الأسد الأب في ذلك، ولربما أدت هذه العلاقة الخاصة مع حزب الله، ومواليي سورية من سياسيي لبنان إلى التبكير بتسليم الملف اللبناني له من عهدة عبد الحليم خدام (1988)، بالرغم من أنه لا يمتلك أي منصب رسمي في ذلك الوقت.

[157] عشية انسحاب الجيش السوري من لبنان عام 2005 عاد نصر الله ليستخدم هذه الرمزية مع أحد أسوأ رجال المخابرات السوريين الذين عرفهم لبنان، فقدم إلى "**رستم عزالي**" في حفل صغير ــــ تقصد أن تنقله وسائل الإعلام ــــ بندقية لأحد الجنود الإسرائيليين التي غنمها مقاتلو حزب الله، كهدية تعبر عن شكره للجيش السوري، وكانت هذه صدمة للبنانيين بشكل خاص نظراً للسمعة السيئة التي يتمتع بها غزالي فضلاً عما أشيع عن دوره في اغتيال الحريري (14 آذار 2005)، الدور الذي أكده عدد من تقاير المحققين الدوليين في قضية الاغتيال.

[158] حسب مصادر قريبة من الشيخ الشيعي الدمشقي "**عبد الله نظام**" وهو أبرز شخصية دينية للشيعة السوريين الأصليين.

مطالبهم التي غالباً ما تتعلق بالشعائر الدينية، وإقامة الحوزات، وتشييد المقامات، وما شابه، وبالتأكيد لم يكن قادراً على تلبية كل رغباتهم، فهو من جهة لا يستطيع تجاوز سياسة والده الذي ما يزال على رأس السلطة، وهو من جهة ثانية لا يملك رسمياً أي سلطة للأمر والنهي، إنما كان يستعمل نفوذه السياسي الذي منحه إياه الأسد الأب للتدخل في شؤون الدولة، ومن هذا الباب فحسب كان يلبي كثيراً من طلباتهم باستثناء بناء الحوزات والحسينيات التزاماً بقرارات والده التي لا يملك تجاوزها.

الامتيازات الاستثنائية للملالي

ما إن توفي الأسد الأب حتى بدأ الملالي باستثمار العلاقة القوية التي تربطهم بنجله الرئيس الجديد، فتحصلوا على موافقات وتراخيص أمنية بتسهيلات غير اعتيادية[159] لإقامة الحوزات العلمية والحسينيات، إلى الحد الذي أصبحوا ينشؤونها دون أي موافقة من أي جهة كانت، ودون رقيب! وعندما يتعرضون للمساءلة (إذا تعرضوا أساساً لها) فإنهم يبادرون للحصول على موافقة أمنية من شعبة الأمن السياسي وحدها[160]، في وقت يحظر فيه كلياً الموافقة من أي نوع على إنشاء معهد أو

---

[159] على سبيل المثال تقدم الهندي "**علي باقر تصور**" بمعروض (مجرد طلب من ورقة واحدة بدون وثائق أخرى) إلى شعبة الأمن السياسي بدمشق لإقامة حوزة علمية في منطقة السيدة زينب، باسم "**حوزة المهدي العلمية للدراسات الإسلامية**"، وذلك بتاريخ 2002/07/27، وفي العادة فإن الموافقة على معاهد تدريس اللغة الإنكليزية أو معاهد دورات تقوية للمناهج المدرسية تستغرق ستة أشهر إلى سنة ونصف، لكن الموافقة جاءت خلال أسبوع واحد في تاريخ 2002/08/06! تحت الرقم (97490/س.ح/112672/س) موقعة من اللواء عدنان سليمان الحسن، رئيس شعبة الأمن السياسي.

والشيء المثير للاستغراب حقاً أن تحظى هذه الحوزة على موافقة لـــ"تصنيع ختم دائري" خاص بمديرها "علي باقر تصور" قبل أن تتقدم بموافقة أمنية على إنشاء الحوزة فضلاً عن الموافقة الأمنية عليها! فقد حصل المدير الهندي للحوزة على موافقة الأمن السياسي في ريف دمشق بتاريخ 2002/07/04 رقم (787/ص)، أي قبل أكثر من ثلاثة أسابيع من تاريخ تقديم طلب الموافقة على تأسيس الحوزة من أساسها! وقبل أكثر من شهر من تاريخ الموافقة على طلب التأسيس ذاته! وبالتأكيد فإن هذا لا يمكن أن يحصل مع أي معهد شرعي أو مدرسة دينية خاصة تخص رجال الدين السنة من أبناء الوطن وليس الهنود أو الإيرانيين أو الأفغان أصحاب الحوزات.

واستطراداً فإن الشخص الهندي "**مدير ومشرف حوزة الإمام المهدي العلمية للدراسات الإسلامية**" (كما يصفه كتاب شعبة الأمن السياسي فرع ريف دمشق) تقدم للحصول على موافقة بإضافة كلمة "الإمام" إلى اسم حوزته، وتمت الموافقة طبعاً دون تردد في 2004/08/17 تحت الرقم (2218/س ص)، ووفقا للقانون السوري والمراسيم التشريعية فإنه لا يمكن أن يكون مدير أي مؤسسة غير سوري.

[160] وفقاً للتعليمات الرسمية فإن الموافقة على إنشاء معهد ديني (سني) غير واردة على الإطلاق ومنذ مطلع السبعينات لم يتأسس معهد شرعي تقريباً، وما أسس فإنه لأسباب سياسية وأمنية خاصة، ولا يتجاوز أصابع اليد الواحدة. بالإضافة إلى ذلك، فإن المعاهد وتبرعاتها تخضع لمراقبة أمنية متشددة جداً، ومن المحظور الموافقة على مدارس نظامية للتعليم الشرعي.



مدرسة للتعليم الديني الشرعي منذ أكثر من ثلاثين عاماً إلا باستثناءات خاصة ولأسباب سياسية وأمنية بأمر مباشر من الرئيس، وهي لم تتجاوز ــ بطبيعة الحال ــ خلال ثلاثة عقود ونصف أصابع اليد الواحدة.

ومنذ استؤنف إنشاء الحوزات الدينية عام 2001 لم يتوقف إنشائها[161]، ولا شك أن تغاضياً أمنياً وإدارياً غير طبيعي عن التعليمات والقوانين كان يجري مع إنشاء وتأسيس هذه الحوزات.

وإذا كانت الحوزات تدل على تمركز مرجعيات دينية في الأراضي السورية، فإن إنشاء الحسينيات تدل على انتشار المرجعيات وتمدد تبشيرها، وقد توقف بناء الحسينيات في عهد الأسد الأب بعد حل جمعية المرتضى، ولكن منذ نهاية عام 2000 سُمح للمبشّرين الشيعة بالانطلاق في بناء حسينياتهم، فبدأت حركة جديدة وغير مسبوقة لبناء الحسينيات[162]، فبموازاة التمركز والتأسيس المتواصل للحوزات الدينية للتعاليم الشيعية تم تأسيس عشرات الحسينيات في المدن والقرى السورية، من أقصى قرية جنوباً في درعا إلى أقصى قرية شمالاً في القامشلي، لتكون مكاناً لإحياء الشعائر الدينية الشيعية، وبتساهل يفوق التصور تبنى الحسينيات حتى أحياناً بدون موافقة الأمن السياسي، وبما أن الحسينيات هي دور عامة للشعائر الدينية فالمفترض أنها تتبع وزارة الأوقاف، غير أن الحسينيات لا

أما المعاهد التي والمدارس الخاصة الأخرى فحتى يحق لها المباشرة بوضع حجر الأساس لمشروعها على الواقع فإن عليها أن تنتظر الحصول على موافقة الأجهزة الأمنية (السياسي، العسكري، أمن الدولة) فضلاً عن موافقة القيادة القُطرية والجهاز الأمني التابع لها! وبمجرد أن لا تمنح أي من هذه الجهات موافقتها؛ فإنه من المستحيل الموافقة على طلب إنشاء المعهد أو أي مؤسسة تعليمية.

[161] كانت "**حوزة الإمام علي**" (بإشراف الشيخ عبد المنعم الحكيم/عراقي) أول حوزة تشيد في عهد الرئيس بشار، وآخر حوزة تم إنشاؤها ــ حتى أيلول/سبتمبر 2006 ــ هي "**حوزة فقه الأئمة الأطهار**" (المرجع الديني آية الله محمد الفاضل اللنكراني) عام 2006، وهي حوزة تضم مركزاً تبشيرياً فريداً باسم "**مركز فقه الأئمة الأطهار**"، وحسب ما يذكره القائمون على المركز في موقعهم على الإنترنت فقد "أخذ المركز الفقهي – فرع سورية – على عاتقه في بداية تأسيسه **تحريك الفعاليات الدينية، حوزوية كانت أو ثقافية، في منطقة السيدة زينب (عليها سلام) على وجه الخصوص، و في سورية علي وجه العموم**، و من أهم ما توجه إليه ملء الفراغ في مختلف المجالات التي لم يُتوجه إليها مسبقاً، و بعد دراسة متواصلة توجَّه إلي إنجاز المشاريع التالية:

المشروع الأول: إيجاد حركة علمية متميزة لطلاب الحوزة (...)، **المشروع الثاني: إشاعة الدروس المنسيّة** (...)، **المشروع الثالث: الندوات العلمية** (...)، **المشروع الرابع: إنشاء مكتبة تخصصية** (...)، **المشروع الخامس: المكتبة الصوتية** (...)، **المشروع السادس: النشاط التبليغي** [حيث] لم يهمل حوزة فقه الأئمة الاطهار الحركة التبليغية في المنطقة، فقد تحرك لأجل إيصال المعرفة إلى أكبر عدد ممكن".

حول اللنكراني ومشاريعه ومركزه وحوزته في سورية بالتفصيل انظر موقع مركز فقه الأئمة الأطهار على الرابط:
http://www.markazfiqhi.com/ara/tre/report1.php

[162] على سبيل المثال يذكر **حسين الرجا** ــ أحد أبرز شيوخ المتشيعين في قرية حطلة ــ بأنه بدأ بناء الحسينيات والمساجد في القرية منذ ستة سنوات، وأن هذه المؤسسات الشيعية كان لها الدور الأبرز في انتشار التشيع في دير الزور.

انظر: أجرى الحوار: الحبشي، عادل، والموسوي، عصام، **الشيخ الصوفي سابقاً يشرح لــ (المنبر) كيف أتُهم بالماسونية!**، حوار مع الشيخ حسين الرجا، مع **مجلة المنبر**، الكويت، العدد التجريبي، 1420هــ (2000م).

تُسجل لدى وزارة الوقاف ولا تتبع لها، إنما تتبع المرجعيات الدينية، الأمر الذي يمنحها حرية مطلقة في نشاطاتها بعيداً عن التعليمات المشددة التي تُخضِع لها وزارة الأوقاف كل ما يتبع لها من دور العبادة والشعائر دينية، وحتى الآن لا تملك وزارة الأوقاف السورية أية معلومات عن الحسينيات وملاليها بالمطلق. وبما أن التبشير الشيعي ــ كما هو معتاد ــ يأتي على رأس أولويات الحسينيات، فإنها بعدم تبعيتها للأوقاف تتمتع بالحرية الكاملة في الممارسة ونخر الجسم السني بلا حسيب ولا رقيب.

من جهة أخرى فإن هذه الحسينيات تبنى عادة بأموال المرجعيات(163) أو بأموال الحكومة الإيرانية(164)، أو بأموال المحسنين الخليجيين(165)، وعدم خضوعها للقانون والأوقاف يجعل هذه التبرعات للبناء لا تقتصر على البناء، بل تستمر لتكون رافداً للحسينية ونشاطها التبشيري؛ فرواتب إدارتها ومصاريف خدماتها ورواتب دعم "المؤمنين الجدد" يتطلب مالاً تبشيرياً بعيداً عن رقابة الدولة ووزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ووزارة الأوقاف معاً وبتساهل استثنائي في رقابة الأجهزة الأمنية.

أنشأت في هذا العام (2001) أيضاً أول مؤسسة تبشيرية نشطة بإشراف الشيخ "عبد الحميد المهاجر" (الذي سبق وقام بنشاطات تبشيرية كثيرة على الأراضي السورية بدعم من المراجع الشيرازية) عام 2001 باسم "**هيئة خدمة أهل البيت**"(166) ومؤسسيها والناشطين فيها هم مجموعة من الشباب العراقيين الحركيين من أهالي مدينة كربلاء، وهذه المؤسسة ــ في الواقع ــ تلعب دوراً

---

(163) على سبيل المثال فإن **حسينية زين العابدين** في قرية "حطلة" (قرب مدينة دير الزور) ممولة من مؤسسات المرجع الشيعي الخوئي.

(164) على سبيل المثال فإن **حسينية الرسول الأعظم** في قرية "الصعوة" (قرب مدينة دير الزور) ممولة من مكتب السيد علي خامنئي (مرشد الثورة الإسلامية في إيران).

(165) على سبيل المثال فإن **حسينية سيد الشهداء** في قرية "نُبُّل" (شمال مدينة حلب) تم تشييدها بــ"تمويل لجنة سيد الشهداء (عليه السلام) الخيرية/الكويت"، وكان من المزمع افتتاحها في الخامس عشر من شهر رمضان المبارك 1424 الموافق لــ9 تشرين الثاني/نوفمبر 2003، "تيمناً بميلاد الإمام أبو محمد الحسن المجتبى بن أمير المؤمنين علي المرتضى" وبمساعي كل من الشيخ العراقي "كمال معاش" (تابع للمراجع الشيرازية) والسوري "حمد الوكاع" (اعتنق التشيع عام 1996). انظر خبر إنشاء الحسينية في "**الوكالة الشيعية للأنباء**" (إباء)، تقرير بسام حسين، "**لجنة سيد الشهداء تشيد حسينية في محافظة حلب / قضاء نبل**" على الرابط: http://www.ebaa.net/khaber/2003/10/6/khaber007.htm

(166) هذه الهيئة هي فرع عن "**هيئة خدمة أهل البيت**" التي أسسها المرجع الديني "**محمد الشيرازي**" في كربلاء العراق سنة 1371هـ/1952م، وحسب ما جاء في موقعها على الإنترنت، فقد "تأسست هيئة خدمة أهل البيت (عليهم السلام) في دمشق في حي السيدة زينب (عليها السلام) بتشجيع من سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (رضوان الله عليه) وذلك **من قبل شباب هدفهم نشر فكر وثقافة أهل البيت (عليهم السلام) إلى جميع أنحاء العالم** هذا بالإضافة إلى أنها تقوم بإحياء جميع المناسبات الإسلامية. انظر صفحة "**مشاريع الخدمة**" في موقع "**هيئة خدمة أهل البيت**" على الرابط:
http://khadama.net/indexold.htm



تكميلياً في التبشير للحوزة الزينبية التابعة للمراجع الشيرازية، ويبدو أن الرابطة الخاصة بين الشيرازية والعلويين والنظام السوري منحت هذه الهيئة نشاطات شعائرية وتبشيرية علنية غير مسبوقة في سورية.

جملة الوقائع هذه تشير إلى أن موسم الحصاد للعلاقة الخاصة ببشار الأسد قد بدأ، حصد ملالي الشيعة (العراقيين والإيرايين واللبنانيين) "الانتظار" لوفاة الأسد الأب، عوضاً عن السوريين، الذين فقدوا أملهم ببشائر التغيير، ودخل الملالي سباقهم مع الزمن قبل أن تتغير الأحوال والظروف، فهم الآن في لحظة تاريخية غير مسببوقة من الدعم والحرية والنشاط التبشيري.

الصَّدع بالطقوس الشيعية

وقّع أهالي القرية السنية الصغيرة "السيدة زينب" في عام 1976 معروضاً لرئيس الجمهورية يشتكون فيه من "البطالة التي تسبب بها قدوم الشيرازي وعشرات من تلامذته الأفغان والإيرانيين والهنود، الذين "سيطروا على الأعمال"، مما جعلهم "عاطلين عن العمل"، وفي قرية صغيرة لا تعرف الحرف ولا التجارة أو الصناعة، فإن عدداً لا يتجاوز كثيراً أصابع اليدين من الأيدي العاملة الجديدة يمكن أن يخلق مشكلة عمل لسكانها، الذين تضيق عليهم أراضيهم الزراعية يوماً بعد يوم مع تكاثر الأجيال والولادات.

صدر أمر للسلطات المختصة بـــ "إبعاد هؤلاء [أي الأجانب] عن سورية"، فـــ "اعتقل أربعة عشر طالباً من طلاب الحوزة العلمية الزينبية"[167]، كان حافظ الأسد وقتها ما يزال حديث عهد بشعارات "الحركة التصحيحية"، ولا مصلحة تدعوه لقبول تقديم مصالح الأجانب على حساب مصالح السوريين خصوصاً وأنه لا يريد أن يستفز أحداً ضد مشروعه في علونة السلطة والأجهزة الأمنية ليتسنى له الاحتفاظ بالرئاسة للأبد! فالشعب يحتقن طائفياً يوماً بعد يوم بعد أزمة الدستور الدائم عام 1973.

كان الأمر كارثة للشيخ حسن الشيرازي (الأصولي العراقي من أصل إيراني) القادم إلى دمشق للتبشير وتأسيس مركز شيعي نشط يهدف لنشر الدعوة الشيعية الاثنى عشرية في الشام، فلم يلبث أن توسّط رئيس المجلس النيابي اللبناني "كامل الأسعد" للإفراج عنهم، وهو ما جعل الأسد "يأمر بإصدار الإقامة للطلاب" ثانيةً.

---

(167) من جملتهم: عزيز الله المحقق، والشيخ التوسلي، وناظر الشريفي، والشيخ الفصيحي، ومحمدي صهر الشيخ الفرقاني، والسيد محسن الحسيني، وبخش الحليمي وآخرون، وجميعهم من الجنسيات الأجنبية: الإيرانية والأفغانية والباكستانية والهندية!

كانت عينا الملا حسن الشيرازي ترنو ــ بعد تأسيس الحوزة ــ نحو صحن السيدة زينب؛ إذ المقام مشيد داخل مسجد سني عريق أموي الطراز، فبدأ مع طلبته بإقامة الصلاة على المذهب الشيعي عند المقام، "ووضع التربة الحسينية أثناء الصلاة، حيث لم يكن يُشاهد تربة في المقام قبل ذلك" حتى "يتعرفوا على التربة الحسينية"!

لكن قصة احتلال المقام لم تكن بالأمر السهل، فأهالي القرية لم يتقبلوا هذا الوجود الشيعي المزروع حديثاً عند المقام، وصل الأمر بهم إلى حد شتم الملا الشيرازي وجماعتة المصرة على احتلال الصحن وأئمتهم الاثنى عشر على مكبرات الصوت، واستنكروا وجود الحوزة ذاتها بجوار السيدة زينب، وقالوا "إن أيّ مرجع لم يأذن للملا ولهؤلاء بتأسيس حوزة هنا".

تصاعد الأمر، واشتد احتقان الأهالي حتى حاول بعض الشيوخ منعه وتلامذته من "إقامة صلاة الجماعة في حرم السيدة زينب" بالقوة، بل لقد وصل الأمر إلى حد الهجوم على بيت الشيرازي ذاته في شارع الأمين وتهديده!

كان لهذا الرفض والمقاومة العنيفة للأهالي أن يؤثر في تلامذته، الذين أشاروا عليه بالمغادرة ما دام عاجزاً عن رد ضغط الأهالي[168]، لكن الأصولي عنيد ومتحدٍ بطبعه، الأمر الذي مدّ الشيرازي بالصبر والتحمل لإنجاح الاحتلال، وكان له ما أراد.

نسوق هذه الرواية ــ وهي بمنظور أحد تلامذة الملا الشيرازي الأفغان ــ للدلالة أولاً على مدى فظاظة المبشر الشيعي العراقي (من أصول إيرانية) مقارنة مع الشيخ الشيعي اللبناني "الشيخ محسن الأمين" محيي الطائفة[169]؛ وثانياً لكشف استمرار هذا النمط السلوكي الفظ للشيرازية الأجانب الذين مارسوه عبر أتباعهم (الأجانب أيضاً) في دمشق، ودوره في تأليب السوريين واحتقانهم المتصاعد ضد التبشير والوجود الشيعي في سورية.

وللتذكير فإن الشيخ العراقي "عبد الحميد المهاجر" الذي قدم سورية مطلع التسعينات هو أحد تلامذة المرجع الديني محمد الشيرازي، وكان ظهوره على شاشة التلفزيون[170] نوعاً من الجرأة في تحدي مشاعر السنة، فالشيخ المهاجر عراقي، والشيعة السوريون أقلية لا تتجاوز 0.4 % وفقاً

---

[168] قصة احتلال "مقام السيدة زينب" من رواية الشيخ محمد بخش الحليمي، وما بين قوسين مأخوذ حرفياً من كلامه، وبالإمكان الاطلاع على جزء من الرواية المتعلقة باحتلال الملا وتلامذته لمقام السيدة رقية في المقابلة ذاتها. انظر المقابلة في "**موقع الشيرازي نت**"، م.س، على الرابط: http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/022.htm

[169] انظر: ص 16.

[170] انظر: ص 53.

للإحصاءات الرسمية، ويريد هو أن يفرض نفسه على المواطنين السوريين دون أن يبالي بهذه الحقائق التي كانت توغر صدر السوريين على النظام؛ إذ لم يكن معنى ظهوره ـــ من موقع المواطنين السوريين في ذلك الوقت ـــ على شاشة التلفزيون بشكل أسبوعي إلا "مؤامرة" على سنية الشعب السوري من قِبل النظام الطائفي! لقد كانت تعليقات الناس الممتعضة حول هذا الموضوع أصدق تعبير.

مهما يكن من دواعي النظام بالسماح له بالدورس الأسبوعية، فمن المؤكد أن الغاية الرئيسية للمهاجر كانت التبشير، وكانت زلات لسانه (المقصودة) في المعتقدات الشيعية التي يريد بثها للجمهور السني هي المقصودة من الحديث، لقد قرر ـــ وهو يدرك مدى فظاظة ما يقوم به ـــ أن يستمر ويتحدى على عادة أساتذته.

واستطراداً فإن عبد الحميد المهاجر ـــ المبلغ عن آل الشيرازي في بلاد الشام ـــ لعب دوراً مهماً في احتلال مقام "حجر بن عدي الكندي" في عدرا، كما سبقت الإشارة، وبطريقة لا تختلف في فظاظتها عن طريقة حسن الشيرازي في احتلال مقامي السيدة زينب والسيدة رقية.

بعد الاحتجاجات الكثيرة عن دروسه وممارساته في المقامات، (مقامي الحجر بن عدي، وعمار بن ياسر) انتهى ذكر المهاجر نهاية التسعينات في الفضاء الديني للمجتمع السوري السني، غير أنه ما بدأ عام 2001 حتى أشرف على تأسيس "**هيئة خدمة أهل البيت**" المتفرعة عن مؤسسة تحمل هذا الأسم ذاته في كربلاء العراق تابعة للمرجع محمد الشيرازي من أجل "نشر فكر وثقافة أهل البيت (عليهم السلام) إلى جميع أنحاء العالم (...) بإحياء جميع المناسبات الإسلامية"[171] الشيعية، ولأن الفظاظة وتحدي مشاعر الأكثرية السنية تجري بدماء المبشرين الشيرازية ومن أهم خصائص "تبيلغهم" لعقائد الشيعة الاثني عشرية في الشام، فقد قامت هذه الهيئة بعدة مهرجانات ومسيرات اللطم والتطبير[172] الكبيرة صدمت التي بها المخيال الجماعي السني الشامي لأول مرة في الدولة السورية الحديثة.

يحتاج المرء للتأمل طويلاً في النفسية غير السوية للأشخاص الغرباء الذين يميلون للعيش في أكناف من لا يرغبون بودهم، وفي الوقت نفسه يتحدون مشاعرهم متوسلين بعلاقتهم بالسلطة والأجهزة الأمنية، فقد بات من المعروف أن الشيرازية يحظون باحتفاء خاص من التيار العلوي المتشيع، وعن طريقه يحظون بدعم أمني وسياسي كبير.

---

[171] من تعريف الهيئة لنفسها وبيان أهدافها ومشاريعها في موقعها على الإنترنت، على الرابط:
http://khadama.net/indexold.htm

[172] **اللطم**: شعيرة دينية شيعية، و**التطبير**: شج الرؤوس بالسيوف حتى إسالة الدماء

ففي فجر يوم السبت 14 جمادى الأولى 1422هـ الموافق لـ 4 آب/أغسطس 2001م، وبمناسبة ذكرى "الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء"، سيّرت هيئة خدمة أهل البيت أول موكب عزاء شيعي "انطلق من أمام بناية الحوزة العلمية الزينبية، وانتهى عند مقبرة باب الصغير بدمشق، حيث مقبرة الفواطم عند جادة أهل البيت (...) وقطع موكب المعزّين ــ الذي ضم ما يقرب ألفي شخص من الرجال والنساء ــ مسافة حوالي 10 كيلومترات سيراً على الأقدام، وهم يرددون الشعارت الجهادية وقصائد الرثاء والولاء والنصرة لآل بيت النبي محمد (صلّى الله عليه وآله)"[173]. مرت المسيرة من شارع "مدحت باشا" داخلة إلى سوق الحميدية، وشاقة طريقها إلى حي العمارة حيث مقام السيدة رقية، لتعود إلى مقبرة باب الصغير.

شاهد الأهالي بأعينهم ولأول مرة صباح ذلك اليوم مئات العراقيين وبعض اللبنانيين والمعتنقين الجدد للعقائد الشيعية من طلبة الحوزات السوريين يمشون بموكب لطم، تصحبه سيارات إسعاف، وتنتشر حوله عناصر الأجهزة الأمنية، وسمع الأمويون (الشوام) بآذانهم الشعارات المنددة بظلم أهل البيت (الأمويين)! صارت الحادثة حديث الهمس بين الناس، لم يجرؤ أحد على الجهر بانتقاد علني لها.

تناقل الناس الحادثة التي أثارت حفيظتهم، فانتقلت عدواها إلى رجال الدين، الذين كانوا يبدون سخطهم أمام أتباعهم دون أن يجرؤوا على الكلام، ولكنهم أثاروا القضية مع المسؤولين في وزارة الأوقاف، إلا أن أحداً لا يملك القرار.

أصبحت المسيرة عادة موسمية[174]، فمن وجهة نظر تبشيرية "يعد تنظيم هذه المواكب والمسيرات الولائية أحد أبرز وسائل الدعاية والترويج للمذهب الحق، فضلا عن كونها شعيرة من الشعائر المراد منها تبيان مظلومية أهل البيت"[175]، ومع الأيام تزداد حساسية الأهالي الذي يئسوا من

---

[173] انظر: **الوكالة الشيعية للأنباء** (إباء)، أخبار 1422هـ على الرابط.

[174] في 24 تموز/يوليو عام 2002 الموافق لـ 14 جمادى الأولى 1423هـ، وحسب الرواية الشيعية، فقد "سيَّرت جماهير المؤمنين موكباً عزائياً طاف في حيِّ السيدة زينب سلام الله عليها إحياءً لذكرى استشهاد الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها. وانطلق الموكب الذي تعدّى المشاركون فيه الألفين من مبنى الحوزة العلمية الزينبية فجر يوم الرابع عشر من شهر جمادى الأولى الجاري، وسار المشاركون قرابة عشرة كيلومترات **مرددين شعارات وهتافات الثأر للزهراء وجنينها المحسن [السقط]** (صلوات الله وسلامه عليهما)، فيما رفعت مجموعة في الصف الأول أعلاماً وألوية تضمنت عبارات الولاء لأهل بيت النبوة عليهم الصلاة والسلام، **وأنشدت قصائد ومراثٍ حول هذه الذكرى الأليمة**. وأشرفت على تسيير الموكب الهيئة الزينبية [هيئة خدمة أهل البيت]، حيث اختتم مسيرته في مقبرة الفواطم عند جادة أهل البيت عليهم السلام".

انظر: مجلة **المنبر**، الكويت، العدد السابع عشر، جمادى الآخر، 1423هـ.

[175] المصدر نفسه.

تدخل الجهات المسؤولة لإيقاف هذا الاستفزار الشيعي من قبل الغرباء في العاصمة السنية الأموية العريقة.

وفي يوم الجمعة 8 نيسان/ أبريل 2005 انطلقت "مسيرة كربلائية (بمناسبة أربعينية الحسين بن علي رضي الله عنهما) في شارع مدحت باشا بدمشق، وسارت في شوارع دمشق القديمة، جلد فيها شبان إيرانيون ظهورهم بالجنازير الحديدية وأنشدوا حسينيات وقصائد تهجو الأمويين (...) فقد طافوا في الشوارع التي يُفترض أنها شهدت تعذيب بنات الحسين وقتلهن، وتوجهوا إلى ضريح السيدة رقية حيث كانت هناك نهاية مسيرتهم **التي صبوا فيها اللعنات على "النواصب" الأمويين قتلة آل بيت النبي** صلى الله عليه وسلم"[176].

"اعتبر أهالي دمشق هذه المظاهرة الحسينية استفزازاً لهم؛ لأنهم أرادوا أن يصوروا أهل دمشق وكأنهم قتلة الحسين رضي الله عنه"[177]، فقد ساءهم من "الضيوف" العراقيين "أن يُشتم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في مدينته، وأن يُهان الأمويون في عاصمتهم بهذا الشكل البعيد عن الدين والأخلاق ولياقة الضيف"[178]، فقرروا تنظيم "عريضة يعتزمون رفعها إلى رئاسة الجمهورية تتعلق بتزايد النشاط الشيعي "المستفز" في دمشق القديمة، وتنظيم أنشطة شيعية إيرانية تستفز السنة في شوارع المناطق ذات الأغلبية السنية"[179].

نجاح هيئة خدمة أهل البيت في استعراضاتها الطقوسية المُهَوَّلَة في دمشق مستقوية بالأجهزة الأمنية دون أن يجرؤ أحد على التصدي لها مباشرة[180] شجعت المراجع الشيرازية على تأسِيس هيئة

---

[176] من نص شهادة أحد الأهالي الذين حضروا المسيرة، انظر: أخبار الشرق، **مواطنون سوريون ينظمون عريضة إلى رئاسة الجمهورية احتجاجاً على نشاط شيعي مستفز في دمشق القديمة**، دمشق، 27 نيسان/أبريل 2005، على الرابط:
http://www.thisissyria.net/2005/04/27/levant1.html

[177] المصدر نفسه.

[178] المصدر نفسه.

[179] المصدر نفسه.

[180] قامت الهيئة بعشرات الاستعراضات، وهي على سبيل المثال كما تذكر بالتفاصيل على موقعها على الإنترنت، وتقول الهيئة فيه إن برامجها على مدار العام تتضمن بشكل رئيسي إحياء جميع المناسبات الإسلامية من استشهاد الأئمة (ع) إلى المواليد والأعياد لإعلاء كلمة أهل البيت (وليس لمجرد ممارسة حق التعبد)، وهذا يقتضي "تكثيف برامجها الثقافية والإعلامية التي تهدف إلى إعلاء كلمة الحق؛ ألا وهي كلمة أهل البيت (عليهم السلام)، وذلك عن طريق: 1. طبع عدة كتب وتوزيعها مجاناً منها (الشعائر الحسينية، البقيع الغرقد، كتيب يحوي برنامج أعمال شهر رمضان المبارك، طبع عدة بوسترات وفي مختلف المناسبات وتوزيعها: (على سبيل المثال) طبع في هذا العام بوستر لعيد الغدير الأغر. 2. إنتاج برامج كمبيوتر في المناسبات وتوزيعها مجاناً، فعلى سبيل المثال تم إنتاج البرامج : عشاق الزهراء (عليها السلام)، فاطميات، في أيام الفاطمية، مراثي علوية، الرثاء الحسيني. 3. طبع وتوزيع لواصق تحوي أحاديث الأئمة (عليهم السلام)، قامت الهيئة بطبع آية الكرسي ومقامات الأئمة (ع) ولصقها على لوحات بلاستيكية تعلق في المحلات والسيارات".

أخرى تمارس النشاطات التبشيرية والطقوسية ذاتها، باسم "**هيئة علي الأصغر لشباب كربلاء**" 2004. كما شجعت نشاطاتها الاستعراضية العديد من المؤسسات العراقية التبشيرية والطقوسية على الظهور مع تزايد التدفق للاجئين العراقيين بعد الغزو الأمريكي للعراق، والصدع بممارسة الطقوس الشيعية بالشكل الاستعراضي نفسه، مثل: "**هيئة المختار الثقفي**"[181]، و"**هيئة شباب الإمام الصادق**"، و"**هيئة شباب البتول الطاهرة**"، و"**هيئة شباب جعفر الطيار**"، و"**هيئة خيام الإمام الحسين**"، و"**هيئة شباب أهل البيت**"! وشأن التنافس على الحوزات تتنافس المرجعيات الآن على إنشاء مزيد من المؤسسات الشعائرية الطقوسية لتثبيت موطئ قدم في "التبليغ" الشيعي والتبشير بالعقائد الإمامية في بلاد الشام.

وفي الوقت الذي تُمنح فيه التراخيص الأمنية (إذا كان هناك تراخيص أساسًا) للجمعيات الشيعية الغريبة بدون حساب ولا تدقيق في أموال التبرعات التي تأتيها، مازال الترخيص للجمعيات الدينية الإحيائية السنية أمراً مستحيلاً حتى اليوم، ومن يعرف سورية جيداً يدرك حجم المخاطر الأمنية التي يمكن أن تلحق بأعضائها لو أنشؤوا أي جمعية دون ترخيص؛ إذ لن يتوقف الأمر عند حدود منع الجمعية من العمل بالتأكيد، بل إن أعضاءها سيتهمون بالانتماء إلى تنظيم سري هدفه قلب النظام وتغيير الأوضاع في البلاد.

ولسوء الحظ فإن مجموعة شبان في اللاذقية (بعضهم في سن الأحداث) شكلوا في مطلع عام 2005 ما يشبه الجمعية إلا أنها بدون ترخيص ولا مقر، وأطلقوا عليها عفوياً اسم "**صناع الحياة**" تأثراً بالداعية المعروف "عمرو خالد" ومشروعه الاجتماعي التنموي "صناع الحياة" الذي حظي بدعم منظمة الأمم المتحدة، فسارعت الأجهزة الأمنية إلى اعتقالهم بحجة تأسيسهم لـــ "تنظيم سري إسلامي" يهدف إلى تغيير أوضاع البلاد!**[182]**، وهي الحجة ذاتها التي كانت قد ساقتها ضد معارضيها

---

[181] مثل "**هيئة المختار الثقفي**" التي قامت ـــ ضمن برنامج سنوي ـــ بأول احتفال لها (ربما) بمناسبة "بمناسبة مولد أمير المؤمنين الإمام علي" يوم الجمعة 12/ رجب/1423هـ، الموافق لـــ 20 أيلول/سبتمبر 2002م في مقام الصحابي الجليل الحجر بن عدي الكندي (رض) الواقع في إحدى ضواحي العاصمة السورية دمشق.

انظر تقرير: حسن، أحمد، **المهرجان السنوي لهيئة المختار الثقفي بمناسبة مولد أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)**، الوكالة الشيعية للأنباء (إباء)، أيلول 2002 على الرابط: http://www.ebaa.net/takreer-khberi/index.htm

[182] انظر: هيئة الإذاعة البريطانية (BBC)، تقرير: "**قلق في سوريا بعد اختفاء ناشط في مجال حقوق الإنسان**"، الاثنين 2 أيار/مايو 2005. تحت عنوان: "**اعتقال 30 طالب في اللاذقية**" أن "السلطات السورية اعتقلت ثلاثين طالباً من كليتي الطب والحقوق في اللاذقية، شمال غرب سورية، منذ فبراير/شباط الماضي (...) السلطات تتهم هؤلاء الشباب بتشكيل مجموعة "**صناع الحياة**" وهي منظمة ذات خلفية إسلامية". وكانت المنظمة العربية لحقوق الإنسان في سورية قد أفادت في بيان أصدرته السبت الماضي أن "أجهزة الأمن في اللاذقية اعتقلت ستة طلاب خلال الشهر المنصرم، وهم معروفون بالانتماء إلى "**صناع الحياة**"". انظر التقرير على موقع الـــ BBC على الإنترنت على الرابط:



في الفترة 2001-2005 نشطاء "لجان إحياء المجتمع المدني"؛ إذ زعمت بأن "المجتمع المدني" هو "تنظيم سري" لتغيير الأوضاع! وشرعت في محاكمة بعضهم على هذا الأساس أمام المحكمة العسكرية(183).

ما الذي يمكن أن يؤدي إليه شعور الأكثرية السنية بالتمييز الطائفي العلني الذي يمارسه النظام ضدهم بهذه الطريقة الفجة في بلد عانى الأمرين من الصراع بسبب الطائفية؟ ما الذي يمكن أن يشعر به المواطنون السوريون الذين لم يعودوا يشعرون بالتمييز بينهم وبين طائفة معينة في حقوق المواطنة فحسب، بل أصبح الأمر يتعداه إلى التمييز الحاد والجارح بينهم وبين الأجنبي القادم من وراء الحدود؛ من العراق وأفغانستان وإيران والهند؟!

ملخص ما حصل أن هيئة خدمة أهل البيت دشَّنت الإعلان الفظ للطقوس الشيعية في الفضاء السني وتحدي مشاعر الأكثرية السنية بالهتافات التي تهز مشاعرها الدينية، وعلى الرغم من أن التواجد الشيعي في سورية يعود لمئات السنين على شكل أقلية ميكروية شديدة الصِّغَر، إلا أنه لم يفكر أهلها ولا حتى الوافدون الإيرانيون ولا اللبنانيون الشيعة المستوطنون بهذا النمط من الصدع بالشعائر والطقوس الاستفزازية، لكن النمط العراقي الشيعي المشبع بالصراع والتوتر الطائفي كان بطبيعته يميل إلى التحدي والاستفزاز، ومع تزايد أعداد العراقيين بعد الغزو الأمريكي للعراق تحولت منطقة السيدة زينب إلى مستعمرة شيعية عراقية، الأمر الذي ساعد على تصاعد هذا النمط من الممارسات.

لقد كان لهذه الممارسات من قبل الجالية الشيعية العراقية ومؤسساتها بشكل خاص والممارسات الأمنية التمييزية الطائفية الموازية على الأكثرية السنية أن تفجر مشاعر الحنق والنقمة على الطائفة الشيعة، وتخلق جواً من الاحتقان المتزايد تجاه عمليات التبشير الشيعي التي باتت تتم بلا رقيب ولا حسيب في مجمل الأراضي السورية.

ثانياً: السباق مع الزمن (2003-2007)

في الحين الذي أبرمت فيه طهران صفقتها السرية وغير المباشرة مع واشنطن ــــ عبر "رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية" آية الله محمد باقر الحكيم ــــ للتخلص من "عدوها" النظام العراقي كانت دمشق تحاول بقوة منع حدوث احتلال سهل للعراق، تحمَّس البعثيون الأشقاء في دمشق، وكاد

---

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_4506000/4506897.stm

(183) مَثُل الدكتور عبد الرزاق عيد أمام المحكمة العسكرية في حلب بعدة اتهامات، كانت تهمة "تنظيم المجتمع المدني" إحداها.



التناقض في قضية احتلال العراق بين طهران ودمشق[184] يودي بتراث من المصالح والعلاقات السياسية المتبادلة منذ ثورة الخميني عام 1979، فدمشق باتت تخشى على نفسها من التغيرات في المعادلات السياسية الإقليمية في مرحلة ما بعد الاحتلال، كما أنها لم تستبعد كثيراً أن لا يتوقف الاحتلال بعد إزالة نظام "دولة مارقة" بالقوة عند الحدود العراقية، فما الذي يمنع الأمريكيين من فعل ذلك مع النظام في سورية إذا تهيَّأ لهم الظرف المناسب واستقروا في العراق، وشرعيته وممارساته لا تختلف كثيراً عن شرعية وممارسات النظام العراقي!

وقع الاحتلال، وبدأت تسوء علاقة إيران مع الولايات المتحدة والمجتمع الدولي بسبب مفاعلاتها النووية ومساعيها لامتلاك السلاح النووي؛ إذ سرعان ما اتجه الأمريكيون إلى استثمار قضية المفاعلات النووية، وتتالت تصريحات المسؤولين الأمريكيين المتشددة إزاء إيران، ومعها تهديدات مبطنة تارة وظاهرة تارة أخرى بإمكانية القيام بعمل عسكري ضد إيران إن اقتضى الأمر. وفي موازاة ذلك بدأت الاتهامات الأمريكية صبيحة اليوم التالي لاحتلال بغداد الموجهة لسورية في إيواء القيادة العراقية، وتهريب الأسلحة العراقية وأموال المسؤولين، وإرسال المقاتلين الأجانب لمواجهة "قوات التحالف لتحرير العراق"، فضلاً عن تورطها السابق في "نقل المعدات العسكرية والمواد ثنائية الاستخدام" عن طريق الشحن البري، و"انتهاك نظام العقوبات" الذي فرضته الأمم المتحدة بعد حرب الخليج الثانية[185] والذي كانت إدارة بوش حتى بداية الحرب تطالب سورية بالالتزام به[186].

---

[184] حول التوتر الحاصل من تناقض الموقفين بين طهران ودمشق، انظر: مزاحم، هيثم، وسترندبرغ، أنريس. **سورية وإيران: علاقات متوترة في محيط متغير**، مراجعة استخبارات **جين**، تشرين الأول، 2003. نقلاً عن: ليفريت، **وراثة سورية**، م.س، ص ص245-246، ص276.

[185] انظر: شيف، زئيف. **سورية تشتري الأسلحة للعراق في أوربا الشرقية**، هآرتز 15 تموز 2002. و غامبل، غازيز، **سورية تسلح العراق**، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 4 رقم 9، أيلول 2002، و ويليامز، دتنييل، و وود، نيكولاس، **أسلحة أوربة الشرقية تجد طريقها إلى العراق، وبعض الموردين ربما يمنحون عضوية حلف الشمال الأطلسي**، واشنطن بوست، 20 تشرين الثاني 2002. (نقلاً عن: ليفريت، **وراثة سورية**، م.س، ص246، ص277).

أصبحت علاقات بشار مع إدارة بوش حول العراق علاقة شائكة قبل أن تبدأ الولايات المتحدة بالتحضير لعملية تحرير العراق. وخلال السنة والربع الأولى من رئاسته تشابكت مصالحه وحاشيته الاقتصادية المتزايدة مع النظام العراقي مع المطلب المبدئي لإدارة بوش في الأشهر التسعة الأولى من توليه الحكم بإعادة سن العقوبات الدولية على نظام صدام. ومع توسع العلاقات الاقتصادية السورية ــ العراقية سرعان ما ظهر الأسد على أنه المنتهك الأكبر لعقوبات الأمم المتحدة المفروضة على العراق نوعاً وكماً، وربما كان أكثر ما في هذا الأمر إشكالية من منظور أمريكي هو تورط الأسد بنقل معدات عسكرية ومواد ثنائية الاستخدام إلى العراق عن طريق الشحن البري، وأصبحت الانتهاكات السورية لنظام العقوبات الدولية محل نزاع ديبلوماسي مع الولايات المتحدة في شباط 2001 منذ اجتماع وزير الخارجية الأمريكي كولن باول ببشار الأسد ومسألة مسألة خط النفط العراقي.

[186] ليفريت، **وراثة سورية**، م.س، ص248.



كان الهدف الأولي والمباشر لهذه التصريحات هو كف يد هذين النظامين الجارين عن التدخل بالشأن الأمريكي في العراق، وبالتأكيد فإنه مع تزايد التدهور في العراق، تزايد حنق الأمريكيين على كل من النظامين، الأمر الذي جعل العداء المشترك للأمريكان القاطرة التي جمعتهما معها لاستئناف علاقات ديبلوماسية أكثر قوة من قبل.

رسم الهلال الشيعي

خلال ما يزيد عن أربع سنين من تاريخ احتلال العراق، كانت سورية منتقدة دوماً بأنها مصدر للمقاتلين الأجانب القادمين من خارج الحدود إلى العراق لمقاتلة قوات الاحتلال، والانضمام إلى الفصائل المسلحة للمقاومة العراقية، كانت هذه هي القضية الأساسية، بالإضافة إلى مساعدة القيادات البعثية في تفعيل دور المقاومة وتسهيل تدفق الأموال للمقاتلين البعثيين والإسلاميين، والإسهام بالتالي في عدم استقرار العراق[187]. كانت ملفات مثل إيواء قيادات الفصائل الفلسطينية (حماس والجهاد) في سورية، والدور السوري في لبنان ودعم حزب الله أمنياً ولوجستياً (تأمين مرور العتاد والأسلحة عبر الحدود السورية إلى لبنان) الذي كان يردده المسؤولون الأمريكيون في تصريحاتهم في الواقع أمراً ثانوياً قياساً بالاهتمام الأمريكي بالدور السوري في العراق.

لم يكن بشار الأسد ومجموعته قد استوعبوا بعد التغييرات السياسية الإقليمية التي وضعهم فيها انسحاب الجيش الإسرائيلي من الشريط الجنوبي المحتل في لبنان إلى ما وراء الحدود، لقد انتهى دور المقاومة، وصار على الجيش أن ينتشر في الجنوب لفرض سيادة الدولة، لكن حزب الله ــ ولمصالح إيرانية بالدرجة الأولى، وسورية بالدرجة الثانية ــ كان يرفض ذلك بشدة، بحجة أن حماية لبنان من هجوم إسرائيلي محتمل لا تتم إلا عبر بقاء حزب الله مسيطراً على الجنوب، وبقاء الجيش بعيداً "لحمايته" أيضاً! فهو لايقدر أن يدافع عن نفسه ضد السلاح الإسرائيلي. وجد كل من الإيرانيين والسوريين فرصة نادرة للتشبث ببقاء المقاومة وتبرير عملياتها حسب الضغوط التي تريدها سورية وإيران بوجود "مزارع شبعا".

كان رفيق الحريري رجل الدولة اللبناني خلال عقد ونصف قد نقل لبنان من دولة مدمرة بالكامل إلى دولة حديثة عامرة بالمال والبناء والتجارة، وقد أدرك الحريري ــ الذي طالما دافع عن حزب الله في أوربا وأمريكا وقام بحمايته من أن يوضع في قوائم منظمات الإرهاب الدولية ــ أن

---

[187] المصدر نفسه، ص ص 252-253.

لبنان الحر والمستقل عن هيمنة أمنية وعسكرية سورية عابثة يقتضي تحجيم دور حزب الله عن أن يكون دولة داخل دولة، وهذا يعني بالضرورة ـــ من جهة مقابلة ـــ بسط سيادة الجيش اللبناني وإخراج القوات السورية من لبنان، والاكتفاء بعلاقات طيبة ومتوازنة بين لبنان وسورية.

لكن لبنان المستباح بماله وأهله من قبل المخابرات العسكرية السورية، أصبح مصدر مصالح كبرى لرأس النظام السوري و"الدائرة الصغيرة" المحيطة به ـــ والتي تحكم معه (صهره آصف شوكت، وشقيقه ماهر الأسد) ـــ وما يتبعها من زبائنية عشائرية تقتات على مصالح لبنان وأموال أهله.

عندما قرر الأسد فرض "إميل لحود" مرة أخرى على رئاسة لبنان، وإجبار رفيق الحريري على التصويت له، كان الأسد بذلك يُدخل لبنان في انشقاق طائفي سياسي غير مسبوق (بين موالاة معظمها شيعي، ومعارضة معظمها سني وماروني) رغم المعارضة الدولية للتمديد، ولكن الشيء اللافت للانتباه أن أحد أسباب كره بشار الأسد للحريري كانت ـــ كما يروي نائب الرئيس (آنذاك) "عبد الحليم خدام" على لسان الأسد ـــ أن "رفيق الحريري رجل يكتل طائفته [السنيَّة] حوله وضد سورية، وهذا أمر غير مسموح، هذا الرجل عدو لسورية"!![188]

قتل الحريري في عملية اغتيال شديدة الخبث والبشاعة ومعقدة التخطيط، تُعد أخطر وأعقد عملية اغتيال في فاتحة القرن الحادي والعشرين، كل الملابسات السياسية والأمنية كانت تشير إلى تورط سوري حقيقي وفقاً لما تثبته تقارير "لجنة تقصي الحقائق" وتقارير المحققين الدوليين (ديتلف ميلس، وسيرج براميرتز"، وعلى هذا الأساس تمت الموافقة على تأسيس المحكمة الدولية مطلع عام 2007، مع تمام العلم والثقة بأن القادة الأوربيين والأمريكيين يعتقدون وبدون شك بأن النظام السوري كان وراء الاغتيال.

وسواء صح ذلك أم لا فإن النظام السوري دخل في تداعيات سياسية بالغة الخطورة والحدّة، وأدخل معه ـــ في سياق إدارته للأزمة ـــ المنطقة في انقسام طائفي لم يسبق له مثيل منذ القرون الوسطى خصوصاً مع تصاعد الاقتتال الطائفي السني الشيعي في عراق ما بعد صدام.

فور مقتل الحريري في الرابع عشر من شباط 2005 اندلعت المظاهرات في لبنان، وانقسم الشارع اللبناني بين "عدو" لسورية يتهمها بالجريمة الهائلة، وبين حليف لها بلا حدود، فقد حصل

---

[188] انظر: حسن صبرا (برلين)، مقابلة مع "**عبد الحليم خدام**" (الجزء الثاني)، **مجلة الشراع** (أسبوعية سياسية عربية)، بيروت، العدد 1308، 1 تشرين الأول 2007. والمقابلة ـــ مثل معظم مقابلات نائب الرئيس السابق عبد الحليم خدام بعد انشقاقه ـــ تشرح ملابسات توتر العلاقة بين الأسد والحريري والحوار الدائر حوله في رأس السلطة في سورية، وعلاقته بتورط النظام السوري في اغتيال الحريري حسب رؤية خدام وروايته.



الاغتيال في ظل ظروف انقسام كان حاداً أساساً بين القوى السياسية اللبنانية بما تمثله من انتماءات طائفية، أصبح متظاهروا الشارع قوة سياسية طائفية كبرى أطلق عليها اسم "قوى 14 آذار"، أصبح الانقسام السياسي انقساماً اجتماعياً حقيقياً بين طائفة سنية ويلحق بها أكثرية الطائفتين المارونية والدرزية، وطائفة شيعية ويلحق بها أقليات من الطائفتين المارونية والدرزية.

أصبح الاستقطاب الطائفي المبني على الموقف من اغتيال الحريري (الزعيم والرمز السني) أساس هذا الاستقطاب والتحشيد، فحزب الله وطائفته يدافعون عن مصالحهم والمصالح الإيرانية والسورية؛ وبالتالي هم تلقائياً ينفون وبشدة علاقة سورية بالجريمة، وتيار المستقبل الممثل للطائفة السنّية يتهم بشكل مباشر وقاطع سورية؛ لإخراجها من لبنان واسترجاع سيادته، وإضعاف حزب الله والنفوذ السوري والإيراني، فضلاً عن رغبته الحقيقية في معاقبة المجرمين.

ليس من الصعب رصد انعكاسات القضية في الشارع السوري، كانت المراقبة لذلك تتم عن قرب ويتابع هذا الموضوع باهتمام، فالسوريون كانوا ينظرون إلى رفيق الحريري ـــ كما ينظر اللبنانيون ـــ كرمز سياسي سني يجاور أقلية علوية تحكم بلادهم، والأحاديث التي شغلت الناس: من المستفيد من استهداف السنة وإضعافهم في لبنان؟ لم يحظ تفسير طائفي بالقبول، كما حظي تفسير تورط الطائفة المارونية التي انحسر دورها مع صعود نجم الحريري وكأقوى رجل سياسي واقتصادي في لبنان؛ لأن خطأً مثل هذا لا يعقل أن يرتكبه الرئيس الشاب الوديع ذو العيون الزرقاء والوجه الأليف بشار الأسد.

ومع تزايد الهجوم على سورية وتزايد ظاهرة الاعتداء على العمال السوريين (حوالي 500 ألف عامل سوري في لبنان آنذاك) بدأ المزاج العام في سورية ينقلب ضد آل الحريري، ولأن الناس في العالم العربي تؤمن بالعموم بنظرية المؤامرة الكبرى، فقد كان للضخ الإعلامي والتهييج الشعبي ـــ الذي مارسته أبواق النظام والقوميون العرب المتطرفون ـــ لاتهام تقرير "لجنة تقصي الحقائق" وتقارير المحقق الدولي ديتلف ميلس بالتسييس أن تفعل فعلها بالتأثير على الوعي الجماعي، الذي بات يسأل دون التفات إلى ما أوردته التقارير "المسيسة": لِمَ سورية وليست إسرائيل؟ والجواب الجاهز: "المؤامرة الأمريكية الصهيونية"!

نجح النظام في اللعب على الوعي الجماعي، وأصبح هو وحزب الله وأنصاره هم الذين يحوزون شرف "الصمود والتصدي" ضد المؤامرة الأمريكية الإسرائيلية على سورية والعرب، لكن النظام كان يدرك حقيقة أنه بات في مأزق وأي مأزق، احتمال مطالبته بالمثول أمام محكمة دولية بتهمة الاغتيال



أوقع النظام في عزلة دولية، وشيئاً فشيئاً بدأ يخسر علاقاته الدولية والسند الإقليمي العربي القوي ممثلاً بمصر والسعودية.

كان هذا يدفعه إلى مزيد من التشبث بالعلاقة مع طهران، وتقوية المحور السياسي الإيراني؛ كلا النظامين بحاجة للآخر، ويوماً بعد يوم أصبحت حاجتهما لبعضهما حاجة أكثر من ممارسة دور سياسي ونفوذ إقليمي، بل للحفاظ على المصالح الحيوية لإيران في العراق ولبنان، وللحفاظ على وجود النظام ذاته بالنسبة لسورية.

لقد انقلبت المعادلة التي كانت في عهد الأسد الأب، وأصبح النظام السوري هو الطرف الأضعف في هذه العلاقة، خصوصاً بعد خروج سورية من لبنان تحت الضغط الدولي، وتجنباً للقرارت التي أصبحت تصدر كمتوالية هندسية من مجلس الأمن ضد النظام السوري لتجبره على تنفيذ القرار 1559 القاضي بجلاء القوات الأجنبية عن لبنان، ثم تجبره على خضوع أعلى قمته للتحقيق الدولي، أصبح النظام السوري مهدداً بوجوده من أساسه، لقد قُصت مخالبه في لبنان، وصار محتاجاً لحزب الله أكثر من حاجة حزب الله له، إضافة إلى أنه في واقع الحال لا يستطيع الدفاع عن نفسه أمام أي هجوم عسكري إسرائيلي أو أمريكي محتمل؛ فقدراته العسكرية الرادعة ضعيفة للغاية. إن حرص النظام على العلاقات مع طهران أصبح قائماً على حس بدائي بالمصالح، ولم يستطع بشار الأسد وجماعته مقاومة الهرولة باتجاه إيران ومنحها كل ما يغريها من المصالح الاقتصادية والسياسية داخل البلاد، باختصار: فتح البلاد لها لتحقق مصالحها على أعلى درجة وأوسع نطاق، وكان بإمكان الأسد أن يقف بصلابة أكثر اعتماداً على الأوراق التي ما تزال بحوزته في المنطقة؛ لكن النظام الذي لا يحسن الإدارة ويفكر بعقل أمني وبهاجس الخوف لم يكن باستطاعته سوى المضي وراء هذا الخيار البائس.

بالنسبة لإيران كان الفراغ السياسي الذي خلفته الحرب الأمريكية على العراق وأزمة سورية المتزايدة في لبنان وعزلتها الدولية مطمعاً لملئ الفراغ بمد نفوذها وبسط سلطتها إلى أكثر الأماكن حساسية وسخونة في العالم (الشرق الأوسط المجاور لإسرائيل والمحاذي الشمالي لينبوع النفط الخليجي العالمي)، فقد أصبحت سورية ـــ وفقاً لبعض التقارير الغربية، وهي محقَّة ـــ "تجد نفسها محشورة بين مطرقة الضغوط الدولية وسندان الإنقاذ الإيراني"[189].

لم يتلكأ الساسة الإيرانيون الخبثاء في استثمار الوضع الجديد بمد نفوذهم السياسي إلى العمق الاجتماعي السوري، بموازاة مد اقتصادي يستحوذ على صفقات القطاع الحكومي، وعلى الرغم من

---

[189] انظر: تقرير صحيفة "الوطن العربي"، **استراتيجية إيران لنشر التشيع في سورية**، 12 حزيران/يونيو 2006.



أن التعاون والتبادل الاقتصادي تصاعد بوتيرة غير مسبوقة منذ تولي بشار الأسد مقاليد الحكم في البلاد، إلا أن الوضع الجديد شرع أبواب التبادل الاقتصادي إلى أقصاه لصالح الكفة الإيرانية[190]، وصار الإيرانيون يتحدثون عن سورية بوصفها "بلد هام جداً للاستثمار؛ نظراً لموقعها الجغرافي"![191]

فهمت إيرن جيداً الحاجة السورية إليها، ولهذا فقد قبلت بتوقيع اتفاقية عسكرية للتعاون والدفاع المشترك في منتصف حزيران 2006 بلا فائدة ولامعنى، ومن منظور النظام السوري فإن صيغة هذه الاتفاقية ــ التي تتضمن النص على هدف "تعزيز التعاون وضرورة الحفاظ على السلم والاستقرار في المنطقة"[192] ــ يمكن أن تكون دعاية مفيدة في إثارة الرعب من التحالف السوري الإيراني، الأمر الذي يمكن أن يصبح ورقة ضغط جديدة بيد النظام السوري، وفور الإعلان عن توقيع الاتفاقية صرح وزير الدفاع السوري "حسن توركماني" أثناء زيارته لإيران بعد التوقيع بالقول: "إيران تعتبر أمن سورية أمنها"[193]، وأن تعاون سورية وإيران "ضد تهديدات إسرائيل ليس سراً"[194]. وفي واقع الأمر النظام السوري كان على يقين بأن أمن سورية يهم إيران بقدر مصالحها، ومصالحها في سورية ليست وجودية، ولا بأهمية مصالحها في العراق، هذا الاتفاق لن يقدم لها شيئاً ملموساً.

إن التخوف الذي تحقق من هذا الفتح الكامل للأراضي السورية والاقتصاد السوري والمجتمع السوري للإيرانيين شكل حقاً هاجساً للعرب، لكن الأسد يقول إنه "إن كانت إيران تلعب دوراً أساسياً وكبيراً فهذا لمصلحة المنطقة.. نحن ليس لنا مصلحة بأن نكون دولاً ضعيفة.. الدول القوية إن

---

[190] التبادل الاقتصادي بين البلدين يبدو غالباً في اتجاه واحد، السوريون يستوردون الصناعة الإيرانية، ولا يوجد لدى السوريين الكثير مما يمكن أن يوردوه للإيرانيين، وعلى سبيل المثال أول ما يلفت انتباه الزائر لسورية هو أن الأكثرية الساحقة من سيارات الأجرة (التاكسي) من ماركة "**سابا**" إيرانية الصنع، وقد أنشئ أول مصنع للسيارات في تاريخ سورية ماركة "**شام**" بالشراكة مع شركة "**إيران خودرو**" الإيرانية، وافتتح في نيسان/أبريل 2007.

ولاشك أن هناك صفقات كثيرة تم الاتفاق عليها، مثل صفقة لشراء آلاف الباصات الإيرانية للنقل الداخلي، وشراء بعض أنواع الأسلحة الإيرانية للدفاع.

[191] من نص الكلمة التي ألقاها السفير الإيراني في سورية "**حسن اختري**" كما وردت في وكالة الانباء السورية (**سانا**) (7 حزيران/يونيو 2007) خلال مراسم أقامتها شركة "**إيران خودرو**" بمناسبة افتتاح "**لجنة الصداقة السورية الايرانية**" في طهران . انظر التقرير على موقع "**سيريا نيوز**" الإخباري، على الرابط:
http://www.syria-news.com/newstoprint.php?sy_seq=59539

[192] صحيفة النهار، **اتفاق عسكري سوري – إيراني ولجنة للدفاع**، 16حزيران/يونيو 2006.

[193] المصدر نفسه.

[194] المصدر نفسه.



كانت تلعب دوراً عادلاً أو دوراً أساسياً إيجابياً فهذا يحقق استقرار المنطقة. التخوف من ماذا؟"[195]، وهو يعرف بالضبط "التخوف من ماذا"!

وفي نهاية المطاف أصبحت إيران في ظرف لم تكن تحلم به فيما يتعلق بسورية، وهي بحكم التطورات التي تعصف في المنطقة، والمفتوحة ربما على المجهول، عليها أن تسابق الزمن لتجني أكبر قدر من المكاسب قبل أن يحصل ما تكرهه وتضطر أن تعود إلى جحرها.

"حزب الله"

إيران وحزب الله وجهان لعملة واحدة، فالخمينيون اللبنانيون يعملون ــ كما هو معروف ــ بزعامة "**الوكيل الشرعي لمرشد الثورة الإسلامية في لبنان**" حسن نصر الله[196]، على أساس أنهم امتداد "الثورة الإسلامية الإيرانية" في لبنان[197]، معظم السوريين لا يعرفون هذه الحقيقة، خصوصاً وأن حزب الله نفسه أصبح ينفي ذلك بشدة بعد أن كانت تصريحات قادته تصب في التبعية لإيران لسنوات عديدة، وبما أن السوريين تمتلكهم المشاعر القومية والإسلامية بشدة، ويميلون بطبيعتهم

---

[195] من حديث بشار الأسد الشامل **لقناة دبي الفضائية** ، بتاريخ 23 آب/أغسطس 2006.

[196] عَيَّنَ مرشدُ الثورة الإسلامية في إيران **السيد علي خامنئي** آيةَ الله العظمى ومرجع التقليد الرسمي في لبنان **الشيخ محمد يزبك** (عضو شورى "حزب الله"، والمدرس بحوزة الإمام المنتظر في بعلبك)، **والسيد حسن نصر الله** (أمين عام "حزب الله") "وكيلين شرعيين" عنه في لبنان، "في الأمور الحسبية، والوجوه الشرعية"، فيستلمان عنه "الحقوق"، ويصرفانها في "مصالح المسلمين"، ويردان "المظالم"، ويجريان "المصالحات الشرعية" لأهل الخمس، ويعينان "الوكلاء" من قبلهما. انظر:

صحيفة "**السفير**" اللبنانية، 18 أيار/مايو 1995، نقلاً عن: شرارة، **دولة حزب الله**، م.س، ص376، هامش12.

[197] كانت ولادة "حزب الله" ناجمة عن انشقاق قيادات من "حركة أمل" الشيعية عندما قبل"نبيه بري" (نائب موسى الصدر زعيم الحركة) الانضمام إلى "هيئة الإنقاذ" اللبنانية الوطنية التي تضم مختلف القوى السياسية اللبنانية، وكانت حكومة "الثورة الإسلامية" في طهران ترفضها، والتزاماً بقرارات "الثورة الإسلامية" قرر خمينيو حركة أمل الانفصال، وكما جاء على لسان "حسين الموسوي" أحد أبرز المنشقين: "لأنَّ الذي يقرر ما هو إسلامي وما هو غير إسلامي هو الثورة الإسلامية التي أعلنا جميعاً في حركة (أمل)، في المؤتمر الرابع للحركة في آذار 1982، (أننا) جزء لا يتجزأ من الثورة الإسلامية (...) وقد تبلغنا جميعاً موقفاً من الثورة الإسلامية يرفض المشاركة في هيئة الإنقاذ". انظر:

الحركات الإسلامية في لبنان (ملف)، مجلة **الشراع**، 1984، ص ص 222- 223. نقلاً عن: شرارة، **دولة حزب الله**، م.س، ص119، ص127.

واستطراداً فإن قيادة حزب الله (الشورى) تتألف من سبعة لبنانيين وإيرانيين اثنين لا يعرف عنهما أي شيء سوى وجودهما! انظر:

حمود، زين، **حزب الله من الداخل: أسرار وخفايا**، مجلة **الشراع**، بيروت، عدد 14 آب، 1995. نقلاً عن: شرارة، **دولة حزب الله**، م.س، ص337، وص375، هامش7.



للتسامح الطائفي[198] والمسالمة؛ فقد تجاوزوا الانتماء الشيعي لحزب الله، وباتت أعينهم مشدودة للعمليات النوعية التي بدأ يقوم بها ضد الإسرائيليين منذ منتصف التسعينيات، وبدأ حزب الله يدخل بصدق إلى قلوب السوريين بإنجازاته في إلحاق الأذى بالمحتلين الإسرائيليين في الجنوب، وبما أن إحساس السوريين العروبي يتجاوز في قوته الإحساس الوطني فقد كانت "الانتصارات" الصغيرة لحزب الله بمترلة انتصارات للأمة، وليس للثورة الإسلامية ولا لنظام الأسد، لكنها كانت أيضاً تمنح الأسد ـــ الذي لم يكن يُخفي دعمه لحزب الله تحت شعار "دعم المقاومة اللبنانية" ـــ شيئاً من البريق لصورته التي كساها المقت بنهر الدماء المسفوكة طيلة عقد الثمانينات.

بدءاً من 1997 سُمح لحزب الله ـــ ربما بوساطة من "بشار الأسد" (المسحور بشخصية نصر الله، والذي أصبحت تربطه علاقة شخصية به) لدى أبيه ـــ أن يجوب المدن السورية لعرض إنجازاته على معارض في المكتبة الوطنية العامة (مكتبة الأسد)، وفي الجامعات السورية، عبر عرض أشرطة فيديو مثيرة لعملياته العسكرية ضد الإسرائيليين، ومجسَّمات تمثل أهم العمليات وكيفية تنفيذها، وبعض القطع الصغيرة والعتاد المستولى عليه من الإسرائيلين، ويوزع بكثافة البروشورات وربما ينسخ أشرطة الفيديو ويوزعها على زواره.

وخمينيو لبنان ـــ كما أسلفنا ـــ يرون أنفسهم سفراء "الثورة الإسلامية" الإيرانية، والواقع أن "سفراء الثورة الإسلامية على مثال حرس الثورة الإسلامية، من العسير تمييز مهماقم الديبلوماسية والتمثيلية من مهماقم "الثقافية" على ما كان يقول رئيس مجلس الشورى **على أكبر هاشمي رفسنجاني**"[199]! وهكذا ما إن توفي الأسد في 10 حزيران 2000 حتى بدأ الخمينيون ممارسة "مهمتهم" الثقافية (التبشرية)، بعد أن تحقق "تحريرهم" لجنوب لبنان فيما عدَّ شعبياً "انتصاراً تاريخياً".

ففي مناسبة "المولد النبوي الشريف" والمصادف لمولد الإمام "جعفر بن محمد" وبمناسبة "أسبوع الوحدة الإسلامية" الإيراني شارك حزب الله في 2002/05/30 في مدينة حلب (مشهد النقطة) لأول مرة في نشاطات دينية داخل الأراضي السورية، ممثلاً بأعلى قيادة له بعد الأمين العام "الشيخ نعيم قاسم" نائب الأمين العام لحزب الله، في احتفال كبير، وليس خافياً أن مشاركة حزب الله داخل

---

[198] كانت أحداث الثمانينيات استثناء، ذلك أنها لم تنشأ بسبب طبيعة طائفية في الشعب السوري بل لاستفزاز سياسي قائم على أسس طائفية قام به حافظ الأسد من عملية تطييف واسعة السلطة والحزب والجيش والأمن استكمالاً لما بدأت به حكومة البعث واللجنة الخماسية في "تطييف الجيش والحزب" منذ آذار 1963، والتاريخ يشهد أن الفتن الطائفية في سورية محدودة للغاية قياساً إلى جوارها في العراق ولبنان مثلاً.

[199] شرارة، **دولة حزب الله**، م.س، ص337، "سفراء الثورة الإسلامية" في كلام رفسنجاني يقصد به السفراء الرسميون للحكومة الإيرانية.



سورية وفي مدينة تعتبر بعيدة وفي احتفال ديني وبتمثيل أعلى قياداته أمر يثير علامات الاستفهام، فالمفترض أن تكون مشاركته في السيدة زينب كبرى التجمعات الشيعية، أو في العاصمة دمشق، لكن اختيار حلب أمر له دلالته التبشيرية، خصوصاً إذا علمنا أن هذا الحفل تضمن احتفاءً بإعلان 60 عروساً (شيعياً) في زواج جماعي هو الأول من نوعه في مدينة حلب، التي لم تشهد قبل هذا التاريخ زواجاً جماعياً قط! والملفت للانتباه أن هذا الزواج ممول من قبل "الحكومة الإيرانية" على حد تصريح الخطباء في المهرجان! لا شك أن هذا الاحتفال في ظروف بائسة وصعبة للغاية في صفوف الشباب الفقراء، وارتفاع معدلات البطالة وسن الزواج في مدينة تعتبر الأكثر تشدداً في الزواج أمر لا يخلو من دعوة تبشيرية أبداً.

لم تتوقف مشاركات حزب الله الدينية التبشيرية، لكنها كانت على كل حال محدودة قياساً إلى المبشرين العراقيين، وذلك يعود لأسباب تتعلق بانشغال حزب الله بالمعارك السياسية في لبنان، بدءاً من التمديد للرئيس اللبناني (والحليف السوري بلا حدود) "**إميل لحود**" بدءاً من عام 2003، وفي ظروف التحضير الأمريكي لاحتلال العراق، وغليان الشارع الشيعي وتلهفه للعمليات العسكرية لإسقاط النظام البعثي وإحلال نظام آخر مكانه يكون للطائفة الشيعية اليد الطولى فيه، والصراع على لبنانية "مزارع شبعا" التي كانت تعني له صراعاً على شرعية بقائه كمقاومة، وأخيراً انخراطه في التحزب السياسي والاصطفاف الحاد مع موالي الوجود السوري في لبنان (المولاة — جماعة عين التينة)، وأنصار خروج السوريين من لبنان واستعادة السيادة (المعارضة ـــ جماعة قرنة شهوان)، من ثم مقتل الحريري وتداعياته، كل ذلك لم يسمح لحزب الله بممارسة نشاطه التبشيري في سورية بسبب انشغاله بالتحديات السياسية التي تواجهه.

وعلى الرغم من مشاركته المحدودة في النشاطات التبشيرية ـــ فيما إذا استثنينا نشاط منظره الروحي "السيد حسين فضل الله" الذي كان يمارسه في دمشق والساحل ودرعا[200] ـــ إلا أن هذه المشاركة المحدودة كان في مقابلها استثمار غير محدود لنجاحه العسكري في جنوب لبنان ضد الإسرائيليين من قبل المبشرين الشيعة في سورية (وفي معظم البلدان الأخرى التي ينشطون فيها). غير أن هذا الاستثمار برز بقوة وظهر إلى العلن أثناء الحرب الإسرائيلية على حزب الله التي ابتدأت في 12

---

[200] فإضافة لدرسه الأسبوعي الذي ابتداه منذ مطلع التسعينات في الحوزة الزينبية، كان فضل الله يجوب بعض المناطق في درعا بدروسه، ومحاضراته، وخطبه في المهرجانات والحفلات في المناسبات الشيعية، وافتتاح المساجد والحسينيات، وعلى سبيل المثال افتتح ـــ بحضور مسؤولين حكوميين! ـــ أول مسجد شيعي في مدينة درعا (حي المطار) "**مسجد الرسول الأعظم**"، وأول حسينية أيضاً "**حسينية الرسول الأعظم**" في حي المطار.

انظر تقرير: "**التشيع في سورية: محافظة درعا**"، على موقع "محمد سرور زين العابدين"، مؤرخ بـــ 4 جمادى الأولى 1427هـ الموافق لـــ2006/05/31م. الرابط: http://www.surour.net/index.php?catid=000003&id=000168



تموز 2006، عندما اختطف مقاتلو حزب الله جنديين إسرائيليين، ورد الطيران الإسرائيلي بالقصف وبعمليات بريَّة لتصفية عناصر حزب الله وإبعادهم عن الحدود الإسرائيلية إلى ما وراء نهر الليطاني.

لأول مرة تنقسم النخبة العربية السياسية والثقافية[201] تجاه حزب الله، بين من يحمِّله اللوم على تحريض الإسرائيليين بالرد، ويريد أن يتخلص من الحزب الذي أرهق لبنان واستعمره لصالح إيران على شكل "دولة داخل دولة"، خصوصاً بعد أن صرح ـــ في اليوم التالي ـــ "مصدر مسؤول في الخارجية السعودية" تصريحاً يحمل فيه حزب الله مسؤولية العدوان وجر المنطقة إلى الحرب لصالح دول أخرى (المقصود طبعاً إيران).

جُيِّشَ الإعلام السوري لصالح حزب الله، وأخذت القناة السورية تنقل الأخبار والأحداث عن "قناة المنار" التابعة للحزب بشكل مباشر، وفي إطار حملات التخوين للنخبة السياسية المنتقدة لحزب الله في حربه ضد الإسرائيلين ومَن وراءهم من عملائهم "الأمريكيين" في لبنان (المقصود بشكل رئيسي: تيار المستقبل والجنبلاطيين)، عُبِّئ الشعب السوري وشُحن لمناصرة حزب الله، فالمسألة هي "إحباط مؤامرة" ضد سورية ولبنان، ضد "المقاومة الإسلامية" التي تشكل "حاجز الممانعة" ضد الإسرائيليين، وآخر خط لـــ "الشرف العربي" هنالك، بحسب التعبيرات التي أصبحت تترد على ألسنة العامة.

رفع السوريون أعلام حزب الله في بيوتهم، تلك التي وُزعت عليهم في الشوارع العامة من قبل أفراد أجهزة الأمن (العسكري والسياسي غالباً)، وألصقوا الصور ـــ التي وزعت عليهم أيضاً ـــ على سياراتهم وفي الحافلات العامة وهي تتضمن دعاءً بالنصر للشيخ "نصر الله"، وأخرى تقرن بين صورة الرئيس بشار الأسد وصورة الأمين العام لحزب الله، ووراءهما علما سورية وحزب الله (وليس علم لبنان!)، لم يجد السوريون غضاضة في ذلك، كان الأمر حماساً لانتصارات عسكرية والدفاع عن شرف الأمة المتبقي، وهي تبقى بنظرهم مسألة سياسية وقومية عليا لا شأن للاختلاف الديني الطائفي فيها؛ بل إن السوريين ـــ ربما شأن معظم إخوانهم العرب ـــ أثبتوا أنهم غير طائفيين، فعلى الرغم من الحرب الطائفية الدائرة في العراق، والتحالف الخفي بين الحكومة الشيعية وميلشيات "جيش المهدي" و"قوات بدر" مقابل "تنظيم القاعدة" والذين يتم على أيديهم الترحيل المنظم والمجازر الفظيعة ضد

---

(201) كمثال على الانقسام الثقافي في النخبة السورية، انظر عدد **صحيفة الغد** الأردنية، عدد 20 تموز 2006، مقال الكاتب السوري "أكرم البني" بعنوان "**لبنان المنكوب وخيار الدولة**"، ومقال الكاتب السوري "رأفت نديم شهبا" بعنوان: "**ما بعد حيفا وإلى ما بعد مابعد حيفا.. توجد دمشق!**".

إخوانهم "السنة" العراقيين، إلا أنهم كانوا أعلى من الأحقاد الطائفية وتحمسوا لنصرة حزب الله في معركته مع الإسرائيليين كل الحماس.

انتهت الحرب ووضعت أوزارها منذ 11 آب 2006 (تاريخ قرار مجلس الأمن 1701)، وخلال الحرب بقدر ما لقي حزب الله حماساً لـــ "بطولاته" الميدانية المشرفة، لقي نقداً حاداً لجره المنطقة إلى حرب غير محسوبة العواقب، خسر حزب الله المعركة حسابياً (بعدد القتلى الذي تجاوز الألفين، وبتدمير هائل للبنى التحتية)، لكنه ربح معنوياً، وقليلة هي المرات التي ينفصل فيها الربح المعنوي على الربح الحسابي (شأن حرب تشرين 1973)، وما إن خرج الحزب من معركته مع الإسرائيليين، حتى راح يحصد انتصاره تبشيراً شيعياً، وفي الوقت نفسه ذهب ليعمل بجد لرأب الصدع الذي نال صورته جراء انتقاد النخب السياسية والثقافية العربية، والتي وصل صداها بشكل أو آخر إلى "إخوانه" من أبناء الشعب السوري الصديق؛ فبعد أقل من أسبوعين، جابت قيادات حزب الله المدن السورية وأريافها؛ لتتحدث عن الانتصار الذي حققته المقاومة المؤمنة (بآل البيت) في "أشرف مواجهة ومعركة عرفها العصر الحديث، بل عرفها التاريخ"![202]، "فهو أول انتصار عربي تاريخي في الصراع مع العدو الإسرائيلي، بالرغم من عدم تكافؤ القوى أساساً، وبالرغم من تخلي غالبية الأشقاء العرب وغالبية الأخوة المسلمين والعالم كله (...) معجزة الانتصار التي أذهلت العالم وأذلت الصهاينة"[203].

في دمشق وحلب وحمص ودرعا ومنطقة الجزيرة وربما معظم المدن والأرياف السورية بدأ النقاش حول حزب الله، وبدأ تأثير الحرب الطائفية في العراق بالظهور، إذ نبَّه منتقدو حزب الله إلى أن الحزب كان ولا يزال يصمت صمتاً مطبقاً حول ما يجري من مجازر ضد السنة[204]، وذلك على الرغم من أنه لا يترك حادثة طائفية ضد شيعة العراق إلا ويصدر بياناً بالغ الشدة في انتقادها[205]،

---

[202] من كلام حسن نصر الله المذاع على "**قناة المنار**" في 14 تموز 2006.

[203] المصدر نفسه.

[204] تنبه الحزب إلى ذلك مع بداية ظهور الانشقاق حول الموقف منه، فأصدر حزب الله لأول مرة في 17 جمادى الثانية 1427هـ/ الموافق لـــ 12 تموز 2006م نداء مهذباً ينتقد فيه العنف الدائر في العراق ويدعو لوحدة الصف، وذلك على شكل بيان صادر عن مكتب آية الله محمد حسين فضل الله الزعيم الروحي للحزب، يريد به تطويق الصدع ما أمكن في صورة حزب الله في العالم العربي والإسلامي.

[205] يمكن للبيان التالي لحزب الله ـــ والصادر في (18 تموز, 2005)؛ أي قبل عام على حربه ـــ أن يعطي مثالاً نموذجياً لصيغ الإدانة التي يستعملها حزب الله في إدانة مرتكبي الجرائم، والتدقيق البسيط يكشف عن صيغة طائفية في بناء البيان.

فقد استنكر حزب الله بشدة المجزرة المروعة التي راح ضحيتها عشرات الشهداء والجرحى قرب مسجد المسيب، واعتبر ـــ في بيانه ـــ أن "هذا العمل الاجرامي الوحشي الذي ارتكبه متعطشون لسفك دماء الأبرياء ينم عن حقد دفين، أعمى بصائر أولئك القتلة الذين باتوا لا يتورعون عن قتل المدنيين حتى ولو كانوا في دور العبادة". وأضاف بيان حزب الله "إن هذه الجرائم



فإذا لم يكن "حزب الله" طائفياً فما معنى ذلك غير الطائفية؟ وبدأ السؤال الذي يتعدى حزب الله ليصل إلى إيران يأخذ صداه في الشارع السوري: "لماذا تدعم إيران المقاومة في لبنان وفلسطين وتقف ضدها في العراق والعدو في الحالين واحد؟". وخلال شهر رمضان 1427هـ (24 أيلول – 22 تشرين الأول 2006م) كان الحديث الأكثر إشغالاً للناس هو حملات التشيع والأموال المتدفقة لتغذيتها، وبدأ الامتعاض من إيران وملاليها في العراق آخذاً بالانتشار والتصاعد.

استطاع منتقدو حزب الله أن يقللوا من مكانة حزب الله الرفيعة في عيون الجماهير، فالحماس له بدأ يأخذ بالفتور لدى شريحة واسعة جداً، بجوار حديث متصاعد ومتوتر عن حملات تشييع في سورية[206]، وقد أثبتت التقارير أن أداء حزب الله استثمر بقوة في التبشير، وأنه أصبح العبور للخط الفاصل بين الطائفتين، ليس له علاقة بالدين بقدر ما يتعلق بدور حزب الله في حالة الاستقطاب السياسي في الشرق الأوسط بعد حرب تموز 2006[207]، وصار ملالي الشيعة في السيدة زينب يتحدثون عن استقبال عشرات السنة السوريين الراغبين باعتناق التشيع[208]، وهي في الغالب مبالغة دعائية لحزب الله الذي بدأت صورته بالتآكل مع تصدع الصف العربي والإسلامي خلفه.

في صبيحة يوم السبت اليوم الأول لعيد الأضحى 1427هـ الموافق لـــ 30 كانون الأول/ديسمبر 2006 أُعلن عن إعدام صدام حسين، وبثت قناة العربية مقاطع من عملية الإعدام،

من حلقات القتل الجماعي تستدعي أعلى درجات الإدانة والاستنكار من العالم كافة، وخصوصاً الدول العربية والإسلامية وعلماء المسلمين المدعويين للعمل على رص الصفوف ونبذ الفتنة"، واختتم بيان حزب الله بالتقدم بالعزاء لأهالي الشهداء والدعاء للجرحى أملا بأن يكون العراقيون في مستوى المرحلة في الحفاظ على وحدتهم الداخلية وأن لا يقعوا ضحية المخططات التي لا يستفيد منها إلا أعداء الأمة وفي مقدمتهم الاحتلال الأميركي.

انظر البيان على موقع "**قناة المنار**" على الرابط:

http://www.manartv.com.lb/Story.aspx?Language=ar&DSNO=635205

[206] انظر: البني، أكرم (كاتب سوري)، **لماذا انحسرت شعبية حزب الله؟**، صحيفة الغد، 2007/01/25. يمكن قراءة المقال على الرابط: http://www.alghad.jo/?news=149251

[207] انظر مثلاً تقرير: كنيكمير، إلّين. **السوريون السنة ينضمون إلى الشيعة**، الواشنطن بوست، 2006/10/06.

Knickmeyer, Ellen, ***Syrian Sunnis joining Shiites***, The Washington Post, 6 October 2006.

وكذلك تقرير: **التشييع في سورية**، مجلة **فورين بوليسي**، الطبعة الإسبانية، كانون الثاني/يناير 2007.

Reigeluth, Stuart, & Al-Haj, Abdel Rahman, ***La 'chiización' de Siria***, Foreign Policy, Edición Española 2007.

وانظر أيضاً تقرير: أبو رمان، محمد، **التشييع في الأردن: ظاهرة يغذيها حزب الله**، صحيفة الغد (الأردنية)، 2006/10/04.

[208] يقول "**مصطفى السادة**" (رجل دين ومبشر شيعي عراقي ناشط مقيم في السيدة زينب) إنه يعرف أن 75 سنياً من دمشق اعتنقوا المذهب الشيعي منذ بداية المعارك في لبنان في منتصف شهر حزيران، وقد صعدت الحرب ما وصفه بأنه اتجاه متزايد نحو اعتناق المذهب الشيعي في السنوات الأخيرة. وقال: "يمكننا الإحساس به، لدينا اتصالات من دول أخرى، يطلبون منا فتح المجالس وإرسال رجال دين". انظر: Knickmeyer, ***Syrian Sunnis joining Shiites***, Ibid.



استيقظ السوريون يوم العيد على وقع خبر كان صدمة عامة حولت عيدهم إلى كآبة، والعابر في شوراع المدن السورية سيشعر بمدى انتشار الوجوم الذي يكسو وجوه الناس صبيحة ذلك اليوم، لقد كان الديكتاتور الدموي صدام حسين قد تحول إلى رمز عربي لمقاومة الاحتلال الأمريكي، وشعر الناس أن إعدامه كان يستهدف إيذاء مشاعرهم، فالتضحية به قرباناً للاحتلال في يوم "فرحة المسلمين" كان يعني بدون أي لبس أن تكون هدية الاحتلال الأمريكي في العيد حزناً يقطر دماً، شعر الناس أنهم كمسلمون سنة مستهدفون في ذلك، فالشيعة وملاليهم في إيران لم يدخلوا عيدهم بعد، ومع تكشف معلومات ومقاطع أخرى لحادثة الإعدام، ومعلومات عن حيثيات الإعدام والشخصيات الشيعية التي حضرت "حفلة" الإعدام، والشعارات الشيعية الطائفية التي أطلقت بعد إعدامه، والكلام الذي قاله صدام وهو على منصَّة الإعدام، كل ذلك قلب المزاج العام ضد حزب الله، وضد الشيعة وإيران دفعة واحدة[209]، فقد فهم السوريون ــ ربما كغيرهم من العرب ــ غريزياً أن "إعدام صدام هو عقاب مذهبي لا عدالة وطنية"[210].

إلى هنا أصبح الحديث عن التشييع ينحو منحى آخر على الأقل لم يعد بإمكان المبشرين الاعتماد كثيراً على الزهو بانتصارات حزب الله[211]، وأصبح على المبشرين أن يتبعوا استرتيجية ما قبل 2000 في التبشير بالإضافة إلى الموارد المالية والتغطية الأمنية الاستثنائية المتاحة لهم.

---

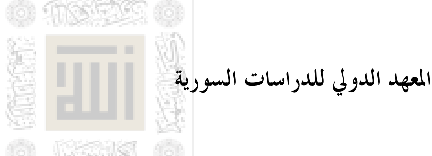
[209] انقلب المزاج العالم العربي كله، خصوصاً في الشرق الأوسط، انظر مثلاً:

رضوان، خليل، **الأردن: إعدام صدام يقلب الرأي العام ضدّ حزب الله و حماس وإيران**، صحيفة المستقبل (بيروت)، تاريخ 8 كانون الثاني/يناير 2007.

[210] البابا، حكم (كاتب سوري)، **إعدام صدام كعقاب مذهبي لا كعدالة وطنية**، صحيفة القدس العربي (لندن) تاريخ 2007/01/06.

[211] لقد أحس حزب الله ذاته بانكسار صورته إثر إعدام صدام حسين بطريقة وتوقيت مستفزَّين، فناشد أمينه العام الشيخ حسن نصر الله ــ في سياق الدفاع عن الشيعة وحزب الله وتأثر صورتهم في العالم العربي والإسلامي ــ العرب والمسلمين إلى عدم الوقوع في فخ الفتنة الطائفية واعتبار أن السنة أعداء للشيعة أو الشيعة أعداء للسنة، فالعدو واحد، وهو الاحتلال الأمريكي الذي يجب محاربته بخيار المقاومة المسلحة، على حد قوله. وقال نصر الله إن حكومة المالكي تتحمل وحدها مسؤولية إعدام صدام حسين، وأن على العرب والمسلمين أن "لا يحملوا كل شيعة العراق ولا كل شيعة العالم هذة المسؤولية.. فلنتفق على مبدأ ونقول: إذا أخطأت أنا، [يعني] أنا أخطأت [فقط]، وليس كل شيعة العالم". وطالب حكومة المالكي بكشف الدور الأمريكي في عملية إعدام صدام، باعتبار أن هناك أسئلة كثيرة تطرح في قرار الإعدام وفي تفاصيل الإعدام ".. الرئيس العراقي السابق كان في قبضة الأمريكيين لماذا تم تسلميه إلى الحكومة العراقية قبل العيد بيوم أو يومين؟ وماذا قيل لهم؟ و كيف تم التصوير؟ ومن الذين أطلقوا الشعارات؟ هل هم من أنفسهم فعلوا ذلك؟ أو أن هناك من دفعهم لذلك؟ من صور؟ من الذي سرب التصوير؟ والكل يعرف أن هذه الأخطاء سيتم استغلالها لإحداث إثارة ضخمة على مستوى العالمين العربي والإسلامي".

انظر: حديث الشيخ حسن نصر الله لــ**"قناة المنار"**، مساء الجمعة 2007/01/19.





معركة الحوزات

ما بين عام 2001 وحتى عام 2006 أنشئ في قرية "السيدة زينب" أكثر من اثنتي عشرة "حوزة شيعية" وثلاث كليات للتعليم الديني الشيعي[212]، أي أنه خلال ست سنوات فقط تم إنشاء ثلاثة أضعاف ما أنشئ خلال ربع قرن! وحصلت أول جامعة إسلامية شيعية متخصصة بالعلوم الدينية على ترخيص أمني (وليس ترخيصاً قانونياً)[213] للعمل داخل الجمهورية العربية السورية في 2003م[214].

وبما أن التعليم الديني في سورية يخضع لإدارة قسم التعليم الديني في وزارة الأوقاف، فإن الحوزات التي انتشرت كالفطر في السيدة زينب قررت أن تخرج عن رقابة الأوقاف، وأسست ما أسمته "**مديرية الحوزات العلمية**"، وحصلت على موافقة الأمن السياسي التابع لوزارة الداخلية، وباشرت عملها في 2005، وأرسلت أول كتاب لها إلى إدارة الهجرة والجوازات في 16 آب/أغسطس 2005 للموافقة على "اعتماد خاتم مديريتها كونها الجهة الوحيدة المخولة بمخاطبة

---

[212] والحوزات هي: "**حوزة الإمام علي**" أو "الحوزة الحيدرية"، يشرف عليها السيد فضل الله، و"**حوزة الإمام جواد التبريزي**" (2003) بإشراف الشيخ عباس النَّزاع، و"**حوزة الإمام الصادق**"، و"**حوزة الرسول الأعظم**"، و"**حوزة الإمام المجتبى**" مؤسسها هندي الجنسية، و"**حوزة الإمام الحسين**"، و"**حوزة الإمام زين العابدين**"، و"**حوزة قمر بني هاشم**"، و"**حوزة إمام الزمان التعليمية**"، و"**حوزة الشهيدين الصديقين**"، و"**حوزة الإمام المهدي العلمية للدراسات الإسلامية**" (2002)، تعود رخصتها إلى علي باقر تصور وهو هندي الجنسية، مواليد 1971، و"**حوزة فقه الأئمة الأطهار**" (2006) بإشراف المرجع الديني محمد الفاضل اللنكراني، وهناك حوزة أسسها الشيخ السعودي "**حسن الصفار**" عام 2005. وهناك حديث عن حوزة أقيمت في مدينة اللاذقية باسم "**حوزة الرسول الأعظم**" في حي الأزهري، يديرها الشيخ أيمن زيتون – عراقي، ويشير عدد من التقارير (غير صحفية) إلى وجود حوزة شيعية في "**تل أبيض**" يديرها متشيع من أبناء المدينة، لكن لا يوجد ما يؤكد ذلك من مصادر مستقلة.

وفرع دمشق لـــ "**الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية**" الشيعية في لندن ومقره في مقام "السيدة رقية" في حي العمارة الجوانية بدمشق، ويرأسه الشيخ "**نبيل حلباوي**"، وفرع معهد الدراسات الإسلامية التابع لشمس الدين باسم "**كلية الدراسات الإسلامية**" في مدينة إدلب، يديره متشيع من ريف حلب "**الشيخ خليل الشاوي**"، و"**كلية الدعوة والاجتهاد**" في مدينة الثورة (الطبقة) ويشرف عليه متشيع من مدينة الرقة "**الدكتور علي الشعيبي**".

[213] الترخيص الأمني شرط لبدء الترخيص القانوني، وعادة يقدم طلب الترخيص الأمني مع الترخيص القانوني في وزارة التعليم العالي، والحصول على ترخيص أمني بدون كتاب رسمي من الجهة الحكومية المختصة بالمؤسسة التعليمية أمر يثير الاستغراب وغير مألوف وغير ممكن بالنسبة لأجهزة الأمن.

[214] أسهمت مؤسسة "**هيئة خدمة أهل البيت**" في تحفيز مدير الجامعة لفتح فرع لها في دمشق، في زيارة للدكتور "**علاء الدين القبانجي**" مدير الجامعة في 5 آذار/مارس 2003م لمقرها في السيدة زينب، حيث "دار الحديث بينه وبين أعضاء الهيئة **حول سبل تطوير وتحديث طرق نشر المذهب الإسلامي، على سبيل المثال أن تُعقد المؤتمرات والندوات في القاعات الكبيرة المخصصة لذلك مثل قاعة جامعة دمشق للمؤتمرات**".

انظر: **موقع هيئة خدمة أهل البيت**، على الرابط: www.khadama.net

إدارة الهجرة والجوازات"[215] وذلك على خلاف كل مؤسسات التعليم الديني الخاصة، التي تجعل وزارة الأوقاف هي الجهة الوحيدة المعتمدة لمخاطبة "إدارة الهجرة والجوازات"، وهذا أحد المؤشرات المهمة للتسهيلات غير الاعتيادية التي أصبحت تحظى بها مؤسسات ملالي الشيعة في عهد الأسد الجديد.

وفي الوقت الذي بدأت فيه الحوزات العلمية تتكاثر ونشاطها التبشيري يزداد في مقابل التضييق المستمر على التعليم الديني في المعاهد الشرعية الأهلية (السنية) ومع ظهور تقرير التعليم في سورية عام 2005 لأول مرة، وجد رجال الدين السنّة ضرورة لمواجهة هذا التمييز، فمؤسسات التعليم الأهلية ومعاهدهم الشرعية تخضع لضبط ومراقبة وإشراف مباشر من قبل وزارة الأوقاف، وأداء أساتذتها وطلابها يخضع دوماً للمراقبة الأمنية الشديدة، وهم أهالي البلاد وهؤلاء مبشرون غرباء.

وعلى ما يبدو فإن وزارة الأوقاف أضعف الوزرات وأكثرها خضوعا للمراقبة الأمنية قررت الصمود والسكوت أمام استفسارات واستنكارات تأتيها من علماء الدين ومواطنيهم. لم يدم الأمر طويلاً حتى برزت إشكالات إدارية تتعلق بالتعليم العالي، فتكاثر مؤسسات التعليم العالي الدينية السنية ذات الأنظمة التعليمية الحديثة وموضوع تعديل شهاداتها جعل هنالك ضرورة لتوضيح تبعيَّتها وخضوعها لقانون التعليم العالي، كونها الجهة المسؤولة عنه في البلاد، ومن غير المعقول أن تبقى الأمور بدون ضبط، مع وجود المؤسسات الحكومية المختصة. فقررت وزارة التعليم العالي إرسال كتاب إلى "مكتب التربية والتعليم" في القيادة القُطرية[216] تستفسر فيه عن "مؤسسات التعليم الديني الخاصة غير المرخصة" وتبعيتها والتعليم الجاري فيها.

جاء خطاب القيادة القُطرية بعد خمسة أشهر من تاريخ استفسارها وفي إطار العمل التقنيني لإصلاح المؤسسة التعليمية ــ التي انتهجتها وزارة التربية وأكد أهميتها الكبرى تقرير التعليم في سورية (2005) وحددها المرسوم التشريعي رقم (36) عام 2001 والمتعلق بتنظيم التعليم ــ، ونص

---

[215] من نص خطاب إدارة الهجرة والجوازت إلى وزارة الأوقاف، الذي وقعه مدير إدارة الهجرة والجوازات "العميد مظهر أحمد"، برقم 6254/أ في 2006/06/19 (وثيقة رسمية). وتاريخ الوثيقة يوضح أن الكتاب جاء بعد قرابة سنة من تاريخ طلب "مديرية الحوزة العلمية" واعتماد خاتمها، والواقع أن موافقة إدارة الهجرة والجوازات جعلت الحوزات تستغني عن مراجعة وزارة الأوقاف مادام خاتمها قد اعتمد لديها، فما من فائدة للعودة إليها. ولكن إثارة موضوع تبعية الحوزات العلمية لوزارة الوقاف وصدور قرار رسمي عن رئاسة الوزراء في 2006/02/26 (رقم 1732/ص) بضرورة إلحاق المعاهد الشرعية والحوزات العلمية القائمة بوزارة الأوقاف وأن "تجديد مدة الإقامة [بالنسبة لطلاب الحوزة يتم] بناءً على وثائق دوام مصدقة من وزارتي التعليم العالي والأوقاف" استفز المؤسسة الحوزوية وجعلها تستصدر هذا الكتاب عبر نفوذها الذي يبدو أنه أصبح ممتداً في جهاز الدولة.

[216] الكتاب رقم 258/م. صادر تاريخ2005/09/08.



خطاب القيادة القُطرية[217] الصادر في دمشق 2006/02/26 على "1. تسوية أوضاع المؤسسات التعليمية الدينية الخاصة لمرحلة ما بعد الثانوية (القائمة حالياً) وإلحاقها بوزارة التعليم العالي وتشميلها بمرسوم تنظيم المؤسسات التعليمية الخاصة (...). 2. إخضاع المؤسسات التعليمية الدينية التي قد تؤسس مستقبلاً لأحكام المرسوم /36/ لعام 2001 [المتعلق تنظيم المؤسسات التعليمية الخاصة]. 3. إلحاق المعاهد الشرعية والحوزات العلمية القائمة حالياً بوزارة الأوقاف ويطبق عليها نظام التعليم الخاص بحسب الأنظمة والقوانين المعمول بها في المدارس الخاصة".

بالتأكيد فإن هذه القواعد الآتية من أعلى سلطة إدارية للبلد بمترلة الموجهة للقوانين والتعليمات واللوائح التنفيذية الخاصة بموضوعه، وبما أن مبدأ الحوزة هو مرجعية مؤسسها الذي جعلها مدرسة تابعة له وليس الأنظمة "الوضعية العلمانية" للتعليم فإن الحوزات ستنظر إلى الانصياع لهذه الأوامر بأنه مشكلة حقيقية لها، خصوصاً وأن هذا الخطاب ينص ــ فضلاً عن خضوعها لوزارة الأوقاف ــ على "وضع نظام موحد للمدارس الشرعية والمعاهد الخاصة في المناهج والمقررات الشرعية والكونية (علوم، رياضيات، لغة أجنبية، فيزياء) بما ينسجم مع تطور ودعم التوجه الوسطي (المعتدل) في الإسلام الذي تنتهجه هذه المعاهد والحوزات وذلك من خلال هيئة علمية تخصصية من وزارتي الأوقاف والتربية" أي أنه سينسف كل جهودهم التبشيرية، ويتحولون إلى حوزات مستنسخة تدرس تعليماً موحداً!

أضف إلى ذلك ما يتضمنه هذا الخطاب من شروط صارمة في تبعية الحوزات لوزارة الأوقاف والتربية وفي "تحديد أعداد الطلاب العرب والأجانب الذين يمكن استيعابهم سنوياً للدارسة"، و"التأكد من سلامة التوجُّه الديني للمقبولين من خلال لجنة مقابلة خاصة بالقبول"، و"اعتماد شروط محددة لقبول الطلاب في هذه المعاهد والحوزات كالسن ومستوى الثقافة والشهادة العلمية... إلخ"، وإضافة إلى ذلك كله فإن الخطاب يحصر في وزارة الأوقاف مسؤولية "تعيين المدرسين والإداريين والمديرين والموجهين التربويين بالتنسيق مع وزاة التربية". لكن الأمر الأكثر خطورة في ذلك بالنسبة للحوزات هو وضع المسؤولية على وزارة الأوقاف في "تأمين الموازنة السنوية وضبط تبرعات الجمعيات الخيرية والأفراد بالتنسيق مع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل".

لاشك أن الخطاب الأمري للقيادة القُطرية كان جواباً مرضياً لمؤسسات التعليم العالي السنية (فرعي جامعة "الأزهر" و"أم درمان") التي تطالب أساساً بإلحاقها بوزارة التعليم العالي، ولكن لا شك

---

[217] الوثيقة صادرة عن مكتب التربية والتعليم العالي في القيادة القُطرية برقم ذات الرقم 1732/ص، والمؤرخة في 2006/02/26. وهي موقعة من الأمين القُطري المساعد الرفيق "**محمد سعيد بختيان**" ورئيس مكتب التربية والتعليم العالي "**الرفيق الدكتور ياسر حورية**".

أيضاً بأنه كان كارثياً بالنسبة للحوزات وعملها الذي يعتمد على أصول تقليدية وتبرعات غير محدودة ولا واضحة ومصادر تمويل أجنبية (ومصادر التمويل الأجنبية هذه ممنوعة قانوناً، وتعتبر شبهة، وهي غير مسموح لها كلياً في المعاهد الدينية ومؤسسات التعليم الشرعي على الإطلاق). كان على الملالي أن يتحركوا من خلال علاقاتهم الأمنية برجال المخابرات (العلويين من "تيار عودة الفرع إلى أصله الشيعي")[218] والساسة الإيرانيين (السفير الإيراني وملحقه الثقافي ضمناً) والجهات النافذة ذات الصلة بهم في وزارة التعليم العالي لتجنب الانصياع لهذه القواعد الآمرة.

ويبدو أنه أشير على الملالي بتجاهل الأوامر الصادرة إليهم؛ إذ من غير الممكن تغيير القانون أو التمييز فيه رسمياً، فهو سيضع النظام في موقف حرج أمام استحقاقات للمعاهد الشرعية والمؤسسات الخاصة ويخرجها عن الرقابة الأمنية والحكومية ويؤلِّب عليه البحر الديني السني، وهو أمر له خطورته، ولا يمكن لوزارة التعليم العالي أن تستثني أحداً لأسباب تناقض وظيفتها ومقصد تأسيسها، لم يكن في يد الملالي سوى التجاهل، والدفاع عن النفس بما يمكن من القرارات الحكومية التي استصدروها سابقاً، ومنها القرار الصادر عن إدارة الهجرة والجوازت باعتماد ختم مديرية الحوزات بشأن وثائق إقامة الطلاب.

---

[218] علاقة الملالي برجال الاستخبارات من خلال التيار الشيعي العلوي قديمة، إذ يذكر التلميذ الأفغاني للشيخ حسن الشيرازي الشيخ محمد علي العلوي أنه "في إحدى الأعوام اعتقلت الحكومة السوريّة ثلاثة أفراد من العلماء الطّلبة، أحدهم المرحوم السّيد موسى، فذهب بعض الأشخاص وأخبروا السّيّد[حسن الشيرازي] ومنهم الشّيخ عبّاس النّوري باعتقال هؤلاء الثلاثة؛ فقال السّيّد: أنا لا أعرف الجهة المسؤولة عن اعتقالهم ولكنني لن أذهب عند هذا الضابط أو ذاك! فاستفسروا من الطّلاّب والإخوة عن الجهة المسؤولة، فأنا شخصيّاً سمعت بالخبر من قبل الشّيخ عبّاس النّوري، وكان لديّ صديق من المخابرات السوريّة من الشّيعة فتحدّثت معه بقصة المعتقلين الثلاثة من الطلبة، فأخبرني فوراً باسم الضابط المسؤول الكبير وكان برتبة عميد، واسم اللواء المسؤول، إضافة إلى اسم وزير الداخلية، وهؤلاء الثلاثة لهم ارتباط وثيق بقضية الاعتقال، وزوّدني بالعناوين؛ فأخذت الأسماء والعناوين والتقيت مباشرةً بالشّهيد [السيد حسن الشيرازي] حيث قدّمتها له، فذهب فوراً إلى اللّواء المذكور والتقى به، وبعد ساعات أفرج عن سراح العلماء الثّلاثة من الطّلبة". انظر هذه الرواية في موقع الشيرازي على الرابط:

http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/008.htm

وبالتأكيد فإن العلاقة بقيت مستمرة وما طرأ عليها من تغيير وإنما بسبب التغيرات التي طرأت في عهد الأسد الابن مع الملالي ارتفع مستوى العلاقة إلى حدود الدعم الأمني المباشر وقمع المعارضين، فيذكر أحد الشيعة – أو المتشيعين – الرواية التالية: "خلال وجودي في مدينة حلب مع حملة من زوار الحسين عليهم السلام وخلال الصلاة في أحد مساجد حلب الكبيرة تعرضت زائرة معنا في الحملة للاعتداء من قبل شيخ سني لأنها تصلي على التربة الحسينية وقام برمي التربة في المهملات فذهبت أنا برفقة أخ سوري شيعي من مدينة نبل قرب حلب واشتكينا الى المخابرات في المدينة فقاموا باعتقال ذلك الشيخ!! بينما في أي دولة عربية النواصب كل يوم يعتدوا علينا وعلى حقوقنا وليس هناك من رادع لهم". انظر الرواية في منتديات "ياحسين" على الرابط:

http://www.yahosein.com/vb/showthread.php?t=48268

غير أن الوزارات المعنية بدأت بتنفيذ القرار الصادر عن "مكتب التربية والتعليم العالي"، لكنها لا تملك أي وثيقة عن الحوزات المرخصة وغير المرخصة، بل إنها لا تحتفظ سوى بوثيقة واحدة مؤرخة بـ 2 حزيران/يونيو 1988 صادرة عن نائب الرئيس لشؤون التربية والتعليم الدكتور زهير مشارقة[219] تشير إلى حوزتين فقط (لم يكن غيرهما آنذاك)، هما: حوزة الإمام الشيرازي (الزينبية)، وحوزة الإمام الخميني، فحاولت الحصول على أسماء الحوزات المرخص بها من دائرة الهجرة والجوازات، فأرسلت كتاباً رقم 14/4/1450 تاريخ 2005/04/07 إلى إدارة الهجرة والجوازات تطلب فيه موافاتها بأسماء الحوزات الدينية المرخصة بحجة "تصديق وثائقها". لكن جواب إدارة الهجرة والجوازات في 25 نيسان 2005 كان أعجب فهي تقر بأنها لا تملك أي وثيقة أيضاً تتعلق بذلك، سوى وثيقة نائب الرئيس المؤرخة في (2 حزيران 1988)! إذا كيف يقيم الطلاب ويحصلون على إقامة في سورية؟ لابد أنها طرق أخرى لا علاقة لها بالدراسة، وهو أمر إن صح ـــ وهو صحيح بالتأكيد ـــ يشير إلى حجم الاختراق القانوني الذي تمارسه هذه الحوزات وخطورته الأمنية المحتملة.

حاولت الوزارة معرفة أسماء الحوزات في السيدة زينب بطرق غير رسمية، واستطاعت تحصيل أسماء ست عشرة حوزة شيعية[220] فأرسلت إليها خطاباً ـــ "جميعها في السيدة زينب" (كما في نص الكتاب) ـــ يدعوهم إلى الحضور للاجتماع "مع مديرية التعليم الشرعي في الوزارة في شؤون الحوزات من النواحي المختلفة، العلمية والإدارية"[221] مصطحبين معهم وثائق "ترخيص الحوزة" و"المنهاج المقرر" و"جدول عن الجهاز الإداري" و"جدول عن الجهاز التدريسي للحوزة" و"جدول عن أسماء الطلاب وأعدادهم وجنسياتهم"، وكان على الحوزات "الأجنبية" أن تنصاع للقرار بحكم القانون.

لكن الحوزات قررت متابعة سياسة التجاهل، وممارسة الانتظار لما يؤول إليه الأمر، ويبدو أنهم استندوا إلى بعض الوعود من مسؤولين رفيعي المستوى تتعلق بمساعدتهم وحمايتهم، ففي اليوم المقرر للاجتماع لم يمتثل أحد من ممثلي الحوزات لطلب الوزارة، وبقيت غرفة الاجتماع شاغرة. ويفسر التعليق الذي دار بين نائب مدير التعليم الشرعي، ومديره (أسامة الخاني) يشير إلى مدى حذر الوزارة

---

[219] الوثيقة صادرة عن إدارة الهجرة والجوازات في دمشق تحت الرقم 10604/أ ، في دمشق بتاريخ 25 نيسان 2005، وموقعة من العميد محمود حسين الخطاب مدير إدارة الهجرة والجوازات.

[220] وهي حوزة أهل البيت، الحوزة الزينبية (الإمام الشيرازي)، حوزة الإمام الخميني، حوزة المرتضى، حوزة الإمام السيستاني، حوزة القائم، حوزة الإمام علي، حوزة الإمام جواد التبريزي، حوزة الإمام الصادق، حوزة الرسول الأعظم، حوزة الإمام المجتبى، حوزة الإمام الحسين، حوزة الإمام زين العابدين، حوزة قمر بني هاشم، حوزة إمام الزمان التعليمية، حوزة الشهيدين الصديقين.

[221] من نص الوثيقة رقم 39، الموقعة من وزير الأوقاف "**زياد الدين الأيوبي**" في 24 ربيع الآخر 1427هـ الموافق لـــ 2006/05/22 والمعنونة بـــ "**تعميم إلى السادة مديري الحوزات في القطر العربي السوري**".

في التعامل مع الحوزات وعدم قدرتها إجراء القانون بحقها، ففي 2006/06/01 رفع نائب المدير كتاباً بخط اليد يعلم مديره بــ "رفض مديري الحوزات الحضور رغم تبليغهم"! ليعلق المدير ــ بخط يده ــ تعليقاً دالاً للغاية على ضعف وزارة الأوقاف أمام نفوذ الملالي في الدولة، بالقول: "إذن علينا أن نقوم بالعمل مع الذين يستجيبون من المعاهد والحوزات ولمتابعة الجهود"![222].

ملالي خارجون عن القانون

لم يتوقف الأمر ههنا فعلى الوزارة أن تنفذ القرار، وعليها أن توضح لِـــمَ لمْ تستطع تنفيذه، فهي مسؤولة رسمياً أمام القيادة القُطرية مسؤولية كاملة، اضطرت مديرية التعليم العالي لوضع خلاصة عن ما جرى بشأن تنفيذ القرار الصادر عن القيادة القُطرية[223] تتضمن هذه الخلاصة صفحتين

---

[222] كل من كتاب الإخطار وجوابه في وثيقة واحدة بخط اليد وغير مرقمة، نحتفظ بنسخة منها.

[223] ونص الوثيقة غاية في الأهمية، والنسخة التي بين أيدينا غير مؤرخة أو مرقمة، وهو:

"**الحوزات الدينية**

أولاً: تضمن كتاب القيادة القُطرية رقم 1732/ص تاريخ 2006/2/26 فيما يخص الحوزات:

1. إلحاقها بوزارة الأوقاف.
2. تطبيق نظام التعليم الخاص عليها.
3. مسؤولية وزارة الأوقاف في وضع نظام موحد في المناهج، والمقررات الشرعية الكونية بما ينسجم مع الإسلام المعتدل الذي يجب أن تنتهجه الحوزات.

وهذا ما تؤكده المادة 44 من المرسوم التشريعي رقم /55/ تاريخ 2004/09/02 (الناظم للمؤسسات التعليمية الخاصة للتعليم ما قبل الجامعي)، وتتضمن إغلاق أي مؤسسة خاصة تروج للشقاق الوطني أو الطائفي، أو تكرار المخالفات بعدم الالتزام بالتعليمات الوزارية.

وهنا **لا بد من الإشارة** إلى وجوب عدم احتواء مناهج هذه الحوزات على أي سبٍّ للصحابة مما يؤدي إلى الشقاق الوطني ولا يتناسب مع أخلاق أهل البيت عليهم السلام.

4. مسؤولية وزارة الأوقاف عن تحديد أعداد الطلاب العرب والأجانب.
5. مسؤوليتها عن اعتماد شروط محددة لقبول الطلاب في هذه المعاهد والحوزات كالسن والشهادة، علماً أن هذه الشروط غير متوفرة.

ثانياً: التواصل مع الحوزات

طلبت وزارة الوقاف أكثر من مرة بعض المعلومات الخاصة بالحوزات: اسم الحوزة، واسم مديرها، وجنسيته، ترخيص الحوزة، مرجعيتها، عدد سنوات الدراسة، المناهج المقررة، النظام الداخلي لها... ولم تتم الإجابة إلا من القليل منهم، وإجابة هؤلاء كانت غير كافية وغير مقنعة. وعلى سبيل المثال أجابت حوزة الإمام المهدي ولكن ليس فيها إلا الموافقة الأمنية، علماً أن الموافقة الأمنية لا تكفي لاعتبار الحوزة مرخصة دون الرجوع إلى وزارة التربية ووزارة الأوقاف.

ولا يوجد أي تنسيق مع وزارة الوقاف، علماً أن الوزارة تصدق على شهاداتهم.



خاصتين بـــ "**الحوزات الدينية**" وسلوكها الرافض للتعاون مع مديرية التعليم في وزارة الأوقاف، ومشكلتها القانونية مع القرار القُطري وغيره من القرارات والقوانين والمراسيم التشريعية، ووفقاً لنص هذا التقرير الرسمي فـــ "إنه عند تبليغهم [أي الحوزات] قال لنا مدير الحوزات إنهم قد أسسوا مديرية خاصة بهم تهتم بأمر الحوزات، وأنه لم يعد لوزارة الأوقاف علاقة بهم".

كشف كتاب مديرية التعليم هذا عن الوضع القانوني للحوزات، فهي تخالف مواد قانوينة ومراسيم تشريعية، فمن جهة هي تخالف المادة 44 من المرسوم التشريعي رقم /55/ تاريخ 2004/09/02 (الناظم للمؤسسات التعليمية الخاصة للتعليم ما قبل الجامعي)، والتي تتضمن "إغلاق أي مؤسسة خاصة تروج للشقاق الوطني أو الطائفي، أو تكرار المخالفات بعدم الالتزام بالتعليمات الوزارية" ومن المعلوم أن الفكر الشيعي يستند برمته على الانتقاص من الخلفاء الراشدين والصحابة الذين لم يقفوا في صف "علي بن أبي طالب" ولابد من "وجوب عدم احتواء مناهج هذه الحوزات من أي سبٍّ للصحابة مما يؤدي إلى الشقاق الوطني"[224].

كما أن "أغلب المؤسسين للحوزات ومديريها هم من غير السوريين (هنود، باكستانيين، إيرانيين، أفغان) وهذا مخالف للمادة /8/ من المرسوم 55 تاريخ 2004/09/02 الناظم للتعليم الخاص التي تشترط أن يكون المدير سورياً إذا كان شخصاً طبيعياً، وأما المؤسس الاعتباري فإن لم يكن سورياً فيجب أن يكون له نائب سوري، وأن يكون المدير سورياً كذلك (في الحالتين)" [225].

وإذا أضيف إلى ذلك مصادر التمويل الخارجية وعدم خضوعها لقانون وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل والرقابة الأمنية، ونشاطات طلابها التبشيرية غير المسموحة قانوناً، لأنها ممارسات خارج الدراسة، فإن ذلك يعني أن وضع المؤسسات الحوزوية هش للغاية، وبالتأكيد ـــ واستطراداً ـــ

وقد حاولت الوزارة التواصل معهم لمعرفة أوضاعهم القانونية من خلال مراسلات وطلبات للاجتماع معهم، وكانت الاستجابة ضعيفة جداً حيث لم يصلنا إلا معلومات قليلة وفي آخر تعميم من أجل إبلاغهم كتاب القيادة القُطرية لم يتم حضور أي مدير منهم للاجتماع المنعقد بتاريخ 2006/05/31 بأمر وزير الوقاف رقم 39 تاريخ 2006/05/22.

علماً أنهم عند تبليغهم قال لنا مدير الحوزات إنهم قد أسسوا مديرية خاصة بهم تهتم بأمر الحوزات، وأنه لم يعد لوزارة الأوقاف علاقة بهم. وهذه التصرفات مخالفة لكتاب القيادة القُطرية والمرسوم التشريعي للتعليم الخاص.

ثالثاً: المؤسسين والمشرفين ومديري الحوزات:

أغلب المؤسسين للحوزات ومديريها هم من غير السوريين (هنود، باكستانيين، إيرانيين، أفغانستانيين) وهذا مخالف للمادة /8/ من المرسوم 55 تاريخ 2004/09/02 الناظم للتعليم الخاص التي تشترط أن يكون المدير سورياً إذا كان شخصاً طبيعياً، وأما المؤسس الاعتباري فإن لم يكن سورياً فيجب أن يكون له نائب سوري، وأن يكون المدير سورياً كذلك (في الحالتين)".

[224] المصدر نفسه.

[225] المصدر نفسه.

الكثير مما ينطبق على الحوزات ينطبق على الحسينيات بطبيعة الحال، وينطبق على المؤسسات الاجتماعية والثقافية (مثل: النجمة المحمدية، وهيئة خدمة أهل البيت) خصوصاً في مصادر التمويل والجهاز الإداري، وموضوع الشقاق الوطني وإثارة النعرات الطائفية.

تبرئة لذمتها أمام كتاب القيادة القُطرية الآمر بأن "تكون الوزارة [وزارة الأوقاف] مسؤولة عن:

1. وضع نظام موحد للمدارس الشرعية والمعاهد الخاصة في المناهج والمقررات الشرعية والكونية (علوم ـــ رياضيات ـــ لغة أجنبية ـــ فيزياء) بما ينسجم مع تطور ودعم التوجه الوسطي (المعتدل) في الإسلام الذي تنتهجه هذه المعاهد والحوزات وذلك من خلال هيئة علمية تخصصية من وزارتي الأوقاف والتربية.

2. تحديد أعداد الطلاب العرب والأجانب الذين يمكن استيعابهم سنوياً للدارسة والتأكد من سلامة التوجُّه الديني للمقبولين من خلال لجنة مقابلة خاصة بالقبول.

3. اعتماد شروط محددة لقبول الطلاب في هذه المعاهد والحوزات كالسن ومستوى الثقافة والشهادة العلمية... إلخ.

4. تعيين المدرسين والإداريين والمديرين والموجهين التربويين بالتنسيق مع وزاة التربية (بعد أخذ موافقة الجهات المختصة)".

فإن مديرية التعليم الديني في الوزارة شكلت لجنة صغيرة لتقديم مقترح لوضع نظام موحد للحوزات العلمية، وتقدمت اللجنة فعلاً بمقترحات[226] تنم عن مجرد الرغبة بتخلية المسؤولية لا أكثر

---

[226] نص الوثيقة:

"**الحوزات العلمية في جوار مقام السيدة زينب (ع)**

تعتبر الحوزات العلمية في جوار مقام السيدة زينب (ع) بمثابة المرادف الموضوعي لما يسمى بالمعاهد الشرعية أو كليات الشريعة الإسلامية، لا تكاد تختلف عنها في المنهاج والأهداف ليتخرج منها الطالب فقيها أو عالماً أو داعية أو إمام مسجد بحسب المرحلة العلمية التي توفر على دراستها، وهي تنقسم إلى مراحل ثلاث:

الأولى: ويصطلح على تسميتها بالمقدمات، يدرس الطالب خلالها مبادئ اللغة والبلاغة والمنطق وفتاوى الفقه وأصول العقيدة الإسلامية والأخلاق.

الثانية: ويصطلح على تسميتها بمرحلة السطوح، يدرس الطالب خلالها النحو والمنطق وأصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة وعلوم التفسير والحديث والتاريخ.

الثالثة: ويصطلح على تسميتها بمرحلة الدراسات العليا، وبحث الخارج يتعمق الطالب خلالها بدراسة الفقه وأصول الفقه والاستنباط.

(...)

وقد اشتهرت بأسماء نذكر منها:

1. **الحوزة الزينبية**: وقد تأسست بإشراف المغفور له السيد حسن الشيرازي منذ عام 1974، وعدد طلابها مائة وخمسون طالباً.
2. **حوزة الإمام الخميني**: بإشراف مكتب السيد علي الخامنئي، وعدد طلابها مائتا طالب، وقد تأسست منذ عام 1981.
3. **حوزة المرتضى**: وقد تأسست بإشراف المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله منذ عام 1995، وعدد طلابها سبعون طالباً.
4. **حوزة الإمام السيستاني**: وقد تأسست بإشراف سماحة العلامة الشيخ حليم البهبهاني منذ عام 1996 وعدد طلابها سبعون طالباً.
5. **حوزة الإمام القائم**: وقد تأسست بإشراف سماحة العلامة محمد تقي المدرسي منذ عام 1996، ووعدد طلابها خمسون طالباً.
6. **حوزة أهل البيت**: وقد تأسست بإشراف سماحة العلامة السيد محمد الموسوي منذ عام 1996، وعدد طلابها ستون طالباً.
7. **حوزة الإمام علي**: وقد تأسست بإشراف سماحة العلامة السيد عبد المنعم الحكيم منذ عام 2001 وعدد طلابها أربعون طالباً.
8. **حوزة الإمام جواد التبريزي**: وقد تأسست بإشراف سماحة العلامة عباس النزاع منذ عام 2003، وعدد طلابها ستون طالباً.

وثمة حوزات صغيرة قام بتأسيسها عدد من الأساتذة بمبادرات شخصية؛ كحوزة الإمام الصادق، وحوزة الرسول الأعظم، وحوزة المجتبى، وحوزة الإمام الحسين، وحوزة الإمام زين العابدين، وحوزة قمر بني هاشم. غير أن الحوزات الرسمية المؤيدة من قبل المرجعيات العليا للطائفة تكاد تنحصر في الحوزات الثمانية والتي تحظى برعاية مباشرة من مراجع التقليد، وهم:

1. الإمام السيد علي الخامنئي.
2. الإمام السيد علي السيستاني.
3. الإمام السيد محمد سعيد الحكيم.
4. الإمام السيد محمد حسين فضل الله.
5. الإمام ميرزا جواد التبريزي.
6. المرجع الديني السيد كاظم الحائري.
7. المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي.

وتجدر الملاحظة إلى أن معظم طلاب تلك الحوزات هم من الجنسيات العراقية والأفغانية والهندية والباكستانية واللبنانية والأفريقية مع أقليات لا تذكر من إندونوسيا والمغرب واليمن وإذربيجان وتركيا، هذا بالاضافة إلى مائتي طالب من الجمهورية العربية السورية.

مقترحات:

أولاً: تطوير مناهج التعليم الديني في الحوزات بإضافة العلوم التالية:

1. علم مقاصد الشريعة.
2. علم الدين المقارن.
3. الفقه المقارن.
4. أدب الحوار واللغة الأجنبية.

ثانياً: العمل الجاد على إيجاد صيغة قانونية للتوأمة بين الحوزات العلمية وكلية الشريعة.

ولا أقل، فالدراسة تفتقر لمعرفة دقيقة بالحوزات العلمية، وإلى المعرفة الوافية بالمرجعيات التي تشرف عليها أو تتبع لها، فالحوزة الزينبية ـــ على سبيل المثال ـــ تتبع المراجع الشيرازية، وهي الآن في عهدة المرجع الديني "**صادق الحسيني الشيرازي**" (شقيق مؤسسها حسن الشيرازي)، وحوزة "فقه الأئمة الأطهار" تعود للمرجع الديني "**محمد الفاضل اللنكراني**"، وبما أن الوزارة لا تمتلك وثائق رسمية حول عدد الحوزات وطلابها فإن معلوماتها يدخلها التخمين والتقدير.

وعلى أية حال فإن اقتراح المديرية على صغره يتضمن قضايا حساسة، أهمها إجبار الحوزات على الفقه المقارن، والعقائد المقارنة، واللغة الأجنبية، وأصول المناظرة، وضبط أعداد الطلاب ومصادر تزكيتهم، حيث تنحصر المسؤولية في جهات المرجعيات الدينية السبع. غير أن هذا الاقتراح وضع في أدراج المديرية وأصبح أرشيفاً، فقد وُجد أساساً لا ليُفَعَّل ويطبق، بل لتخلى به المسؤولية.

بيان علماء الشام

في إطار تطبيق قانون التعليم الأساسي الجديد[227] وقبل أيام قليلة من رفض الحوزات العلمية الامتثال لدعوة وزارة الأوقاف الاجتماع أصدر وزير الوقاف تعميماً يمنع فيه المعاهد الشرعية والثانويات الشرعية [الحكومية] والحوزات العلمية من قبول طلاب جدد في مرحلة التعليم الإعدادي[228]؛ فقد أصبحت من التعليم الأساسي في القانون الجديد، والقانون يحظُر التعليم الديني في مرحلة التعليم الأساسي.

ثالثاً: تأسيس لجنة علمية تشرف على امتحانات التخرج.

رابعاً: ضبط وتحديد سنوات الدراسة:

المرحلة الأولى: سنتان.

المرحلة الثانية: أربع سنوات.

المرحلة الثالثة: ثلاث سنوات.

خامساً: اشتراط منح الإقامة للطلاب الأجانب بالإضافة للشروط المطلوبة أمنياً أن تتم بموجب تزكية من إحدى إدارات الحوزات الثمانية المؤيدة من قبل المرجعية الدينية".

[227] قانون التربية القديم يقسم التعليم ما قبل الجامعي إلى أربعة مراحل: رياض الأطفال، والابتدائي، والإعدادي، والثانوي. والقانون الجديد يدمج المرحلة الإعدادية مع المرحلة الابتدائية تحت مسمى "مرحلة التعليم الأساسي" ويجعل التعليم الإعدادي مشمولاً بقانون التعليم الإلزامي.

[228] وثيقة التعميم صادرة عن وزارة الأوقاف برقم /41/ بتاريخ 27 ربيع الثاني 1427هـ الموافق لـ 2006/05/25.

في 6 تموز / يوليو عام 2006 أصدر علماء الشام بياناً[229] هو الأول من نوعه منذ خمسة وثلاثين عاماً[230] موجَّهاً إلى رئيس الجمهورية بشكل خاص ومباشر[231]، يطلبون فيه إيقاف قرار إلغاء التعليم الشرعي في المرحلة الإعدادية، لكن الشيء الأهم في البيان هو أن العلماء لم يستطيعوا إخفاء حنقهم من المد الشيعي، وترك الحوزات على غاربها، دون أن تنصاع لقرار وزارة الوقاف ولا حتى القيادة القُطرية ولا المراسيم التشريعية، في الوقت الذي تلتزم كل المعاهد الدينية السنية والثانويات الشرعية الحكومية بالقوانين والتعليمات وبشكل صارم، فلم الاستثناء والحوزات أساساً للأجانب وليس للمواطنين سوريين؟ فـ "الحوزات الشيعية ماضية في تجاهل هذا التعميم، مصرة على عدم الاستجابة له"[232] وبالتأكيد فإن أصحاب البيان كانوا على علم دقيق بتجاهل الحوزات لكل القوانين والمطالب والقرارات الحكومية الرسمية، خصوصاً وأن من بين الموقعين على البيان "مدير التعليم الشرعي" في وزارة الأوقاف نفسه، وكان هذا التوقيع سبباً في إقالته من منصبه[233].

---

[229] وقد وقع على بيان العلماء المذكور كبار علماء الشام ومنهم: السيد **محمد الفاتح الكتاني**، الحافظ الشيخ **محيي الدين الكردي**، الشيخ **محمد كريم راجح** (شيخ قراء بلاد الشام)، الدكتور **محمد سعيد رمضان البوطي**، الدكتور **وهبة الزحيلي**، الشيخ **عبد الرزاق الحلبي**، الدكتور **محمد محمد الخطيب** (وزير الأوقاف الأسبق)، الدكتور **محمد عجاج الخطيب**، الدكتور **مازن المبارك**، الشيخ **صادق حبنكة**، الشيخ **محمد ديب الكلاس** (الشهير بالشيخ أديب)، الشيخ **أسامة عبد الكريم الرفاعي**، الشيخ **سارية عبد الكريم الرفاعي**، الشيخ **صلاح الدين أحمد كفتارو**، الدكتور **محمد راتب النابلسي**.

وللملاحظة فإنه لم يظهر في نسخة البيان الأولى من أسماء الموقعين سوى عدد قليل من أسماء كبار شيوخ وعلماء الدين الدمشقيين، ثم أضيفت إليهم كثير من الأسماء لاحقاً، كما أن شيوخ المدن الأخرى الذين وقعوا على البيان لم تظهر أسماؤهم حتى في النسخ المنشورة على مواقع الإنترنت، وما ورد أعلاه من أسماء هي الأسماء التي ظهرت عى الإنترنت بعد إعلان البيان متضمنة أسماء الموقعين الأساسيين على نسخة البيان الأولى، وجميعهم تقريباً دمشقيون، ولكن البيان كان قد وُقع من كبار الشيوخ في مختلف المحافظات السورية.

[230] أي منذ أن وقع علماء سورية عام 1973 بياناً لرفض مسودة الدستور الذي طرحه حافظ أسد للاستفتاء، بسبب مواد تتعلق بدين الدولة ودين رئيس الدولة. انظر تفاصيل صدور البيان ودور "**الشيخ سعيد حوى**" في كتابته وتوقيعه من علماء سورية:

حوى، سعيد، **هذه تجربتي وهذه شهادتي**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1987، ص ص 104-112.

[231] تضمن نص "**بيان من علماء الشام حول استهداف التعليم الديني في سورية**" فقرة خاصة تشير إلى نشاط الحوزات التبشيري خارج القانون وهي"**4- إن الحوزات الشيعية ماضية في تجاهل هذا التعميم مصرة على عدم الاستجابة له ومدارس الشويفات تضيف إلى منهاج المرحلة الأساسية ما تشاؤه من الزيادات في الساعات والمقررات والمدارس التبشيرية الأجنبية ماضية في مناهجها الخاصة بها وأساليبها التربوية دون أي معارضة ولا إشكال**".

[232] المصدر نفسه.

[233] صدر قرار إقالته في 9 تموز/يوليو 2006 بعد أربعة أيام من تاريخ صدور البيان، انظر: أخبار الشرق، **إقالة مدير التعليم الشرعي في سورية بسبب رفضه قرار وقف التسجيل في المعاهد الشرعية**، 10تموز/يوليو 2006.

وحسب نفس المصدر فإن وكالة يونايتد برس انترناشونال نسبت إلى حركة العدالة والبناء أن إقالته تأتي في إطار "خطة تجفيف ينابيع المدارس الدينية في سورية من قبل النظام الحاكم"، وأن الخاني أقيل "لرفضه قبول قرار الوزير إيقاف التسجيل في المعاهد والثانويات الشرعية"، حيث عُيّن محله لاحقاً فريد الخطيب. وقالت الحركة إن "هذا القرار يأتي مفاجئاً لعلماء الشام الذين



الملفت للانتباه أيضاً في بيان العلماء الربط غير المباشر بين "الحوزات الشيعية" و"المدارس التبشيرية الأجنبية"، فهي ـــ شأن الحوزات ـــ "ماضية في مناهجها الخاصة بها وأساليبها التربوية دون أي معارضة ولا إشكال"[234]. والبيان جاء في ذروة الحديث عن التشييع في سورية، وقد بلغت حساسية رجال الدين السنة ذروتها من المد الشيعي، ومن الطبيعي أن يجد ذلك فرصتة في البيان للتنبيه العلني غير المباشر على هذا الموضوع، كما أن البيان يمثل أول وثيقة موجهة إلى الحكومة صادرة عن رجال الدين السوريين تذكر الشيعة وتنم عن حساسية تجاههم.

كسر جدار الصمت

الإحساس بالظاهرة يأتي من الاهتمام بها، وبما أن السلفيين هم العدو الطبيعي للشيعة، فقد كانوا أول من تابع هذه الظاهرة، فقد أصدر السلفي عبد الستار آل حسين في العام نفسه كتاباً بعنوان "تحذير البرية من نشاط الشيعة في سورية"، أثار الكتاب اهتماماً محدوداً؛ فقد كان قد نشر إلكترونياً واقتصر تداوله على المواقع السلفية على الإنترنت، غير أن الملفت للانتباه هو تزامن تاريخ صدور هذا الكتاب مع الإعلان عن افتتاح مقام عمار بن ياسر عام 2004، ويبدو أن هذا الافتتاح كان بمنزلة رصاصة البدء في الالتفات إلى عملية التشييع والاهتمام بانتشارها في المنطقة الشرقية والجنوبية في سورية.

الاهتمام السلفي بالظاهرة من منطلق ديني ما لبث أن اقترن بالسياسي، ذلك أن السلطات السورية كانت قد بدأت حملات اعتقال في صفوف السلفيين منذ أكتوبر عام 2001 في سياق حملة مكافحة الإرهاب الدولية[235]، والبحث عن الخلايا النائمة لتنظيم القاعدة؛ إذ أبدى النظام تعاوناً استثنائياً مع المخابرات الأمريكية بعد أحداث 11 أيلول، إلى الدرجة التي أشاد فيها بوش بتعاون النظام السوري مرات عديدة[236]، الأمر الذي جعل السلفيين يربطون حملة الاعتقالات المتواصلة في صفوفهم بالتزايد المستمر للانتشار الشيعي الآخذ بالتصاعد.

وُعدوا من قبل النظام بحل مشكلة وقف التسجيل بالمعاهد الشرعية جذرياً وقريباً وذلك إثر رفع العلماء لعريضة الاحتجاج التي وقع عليها أكثر من 200 من كبار علماء سورية" إلى الرئيس السوري بشار الأسد.

انظر الخبر على الرابط: http://www.thisissyria.net/2006/07/10/syriatoday/01.html

[234] من نص بيان العلماء.

[235] اللجنة السورية لحقوق الإنسان، لندن.

[236] صحيفة الحياة بتاريخ 2008/01/05



في مستهل 2005 قرع الملك الأردني عبد الله الثاني جرس الإنذار من قيام "هلال شيعي" يمتد من مقاطعة خراسان في شرق إيران مروراً بالعراق وسورية ولبنان حتى حوض الأبيض المتوسط[237]، تبعه وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل، أثار الحديث السياسي عن الهلال الشيعي اهتمام المحللين السياسيين، لكن الاهتمام بقضية التشييع لم تكن بعد من متداولات التحليل السياسي، فقد كانت المسألة مسألة علاقات قوة ومحاور سياسية في نظر المحللين.

بدأ النقاش الصامت عن التبشير الشيعي في سورية يخرج إلى العلن عندما انتقد المحامي السوري هيثم المالح (رئيس الجمعية السورية لحقوق الإنسان) افتتاح العديد من الحوزات الشيعية في سورية وإقامة النشاطات وإجراء الاجتماعات بدون مساءلة، فضلاً عن نشاط العديد من الشيعة الإيرانيين في البلاد وتغاضي الحكومة السورية عنهم، في حين يستمر الضغط على خطباء المساجد السنة ويستدعون إلى أجهزة الأمن بشكل متكرر، وكشف المالح عن التمييز والازدواجية الذي تمارسه السلطات متسائلاً: "هل هذه الازدواجية في تعامل الأجهزة الأمنية مع الشرائح العديدة من التيار الإسلامي محض صدفة؟ أم وراء الأكمة ما وراءها؟ وهل نستطيع أن نستشف أن هناك اتفاقاً ضمنياً بين الدولة الإيرانية والنظام في سورية لوضع التسهيلات أمام الوافدين من إيران بغية مد جسور الثورة من هناك إلى المجتمع السوري وتحويله من السنة إلى التشيع على الطريقة الإيرانية؟"[238].

وبما أن الإخوان المسلمين جماعة دينية وسياسية في الوقت نفسه، فقد كانت لهم حساسيتهم الخاصة للجانب الديني في قضية الهلال الشيعي، فما أن بدأ الحديث السياسي عن الهلال الشيعي حتى أخذ يتردد على ألسنة قياداتهم منذ نهاية 2005 الحديث عن حملات التشييع في سورية، لكنهم ما أعلنوا تحذيراتهم واستنكارهم حتى ما بعد منتصف عام 2006، وذلك بعد تصريحات المالح وبعد أن نشرت "مجلة الوطن العربي" تقريراً صحفياً مثيراً عن "**استراتيجية نشر التشيع في سورية**"[239]، أكد بأن "حالات اعتناق المذهب الشيعي شهدت مؤخراً تزايداً بالآلاف (...) وسط صمت رسمي كامل، سادت قناعة في أوساط السوريين المطلعين بأن ثمة تشجيعاً رسمياً خفياً ومعلناً لهذه الظاهرة، ووصل البعض إلى حد وصفها بأنها سياسة رسمية للنظام مبنية على حسابات مستقبلية"! وأن عملية التشييع تأتي — حسب التقرير – في سياق تقوية المحور الإيراني السوري.

[237] **سورية.. جسر إيران إلى المتوسط**، مجلة **المشاهد**، لندن، عدد 537، 2006.

[238] صحيفة **الرأي العام** الكويتية، 2006 /05/01.

[239] 12 حزيران/يونيو 2006.



تحدث معظم المعارضين السياسيين السوريين عن "حملات التشييع في سورية"، وأنها "تزيد الاحتقان الداخلي في سورية (...) حين تُنفق مبالغ طائلة للتشييع". وأكدوا أن "البعد الطائفي واضح وظاهر في سياسة إيران تجاه المنطقة"، وأن "كل ما يجري من حركة تشييع في سورية هو (...) محاولة لإثارة البلبلة من أجل تغيير تركيبة المجتمع السوري"[240]. هذه التصريحات المتوالية أثارت مشاعر السوريين ولفتت انتباههم للتبشير الشيعي؛ ولأول مرة في تاريخ الدولة السورية يصبح موضوع التشيّيع موضع هواجس شعبية.

بدأ الحديث يتصاعد عن حملة التشيُّع داخل سورية وخارجها إلى الحد الذي دفع أبرز فقهاء الشام الدكتور **وهبة الزحيلي** للقول بأن "ما يجري في سورية عدوان لا بد من إيقافه"[241]، وانتهز الفرصة نائب الرئيس الأسبق المنشق عبد الحليم خدام بخبث سياسي لتعميق الفجوة بين النظام والشعب السوري، فأكد أن الرئيس حافظ الأسد "كان مسلماً، ولم يعلن تشيعه"، وأرجع السياسة الإيرانية في نشر التشيع إلى مبدأ "الدفاع عن مصالح إيران في المنطقة حتى ولو كان ذلك بالتحالف مع الشيطان الأكبر" وانتقد خدام السفير الإيراني في دمشق تحديداً، واتهمه بقيادة حركة التشييع في سورية، مشيراً إلى أن "حركة التشييع هي ظاهرة سياسية يقوم بها السفير الإيراني في دمشق بهدف إيجاد حالة سياسية مرتبطة بإيران، وهذا النشاط خطير لأنه يؤسس لفتنة مذهبية في سورية"!

---

(240) وكالة قدس برس، **شخصيات سورية قلقة من تنامي ظاهرة التشيّع.. مؤسسات إيرانية تبني حسينيات وتقدم عروضاً مالية مغرية لكسب ولاء السوريين،** 31 تشرين الأول/أكتوبر 2006. انظر الرابط:
http://www.qudspress.com/look/print.tpl?IdLanguage=17&IdPublication=1&NrArticle=4104&NrIssue=1&NrSection=3

(241) المصدر نفسه، وحسب المصدر ذاته فقد قال الدكتور الزحيلي: "لم يصل أمر الدعاية الشيعية في سورية إلى درجة الظاهرة، ولكنه حركة دؤوبة تستخدم فيها المستشارية الإيرانية في دمشق الإغراءات المادية من مال وبيوت وسيارات من أجل جلب الناس إلى اعتناق التشيع". وأوضح أن هذه الحركة التي تتم بسرية كاملة والتي تقابل بصمت رسمي، قد تزعج السوريين في المستقبل، وقال: "لقد تحدثنا قبل أشهر مع السيد (علي) خامنئي في طهران واعتبرنا ما يجري في سورية عدواناً لا بد من إيقافه، إذ كيف يتم الحديث عن الوحدة والحوار وفي المقابل يتم دفع الأموال للناس كي يغيروا مذاهبهم"! كما أشار الزحيلي إلى أن عملية التشييع أمر واقع ولا يمكن أن يخفى على كل ذي بصيرة، وذكر أن مئات من السوريين في دير الزور والرقة ودرعا وغوطة دمشق قد استجابوا فعلاً لإغراءات المستشارية الإيرانية وتشيعوا.

حظيت هذه التصريحات باهتمام القادة الأردنيين[242] والسعوديين[243]، ورجال الدين السلفيين الأعداء التقليديون للشيعة، وكانت لتصريحات الداعية السعودي الدكتور سلمان العودة (المشرف العام على "مؤسسة الإسلام اليوم" السعودية) ـــ التي تناقلتها الفضائيات عن "انتشار كبير للمد الشيعي في بلاد الشام، وسورية على وجه الخصوص"، وتحذيره من "ظاهرة انتشار التوجهات الشيعية داخل الإطار السني في بلاد الشام وسورية" بوصفه "أمراً لا يمكن السكوت عليه"، فـــ "التمدد الشيعي في الإطار السني" من منظور سلفي "هو لعب بالنار"[244] ـــ دور هام في تعميم القضية شعبياً في العالم العربي، فظهرت مقالات وتقارير صحفية بشكل كثيف في المواقع الإلكترونية والصحافة العربية والدولية، وبدأت التصريحات تتكاثر، من قبل منظمات حقوقية، حتى أصبح موضوع المد الشيعي موضوع نقاش وتخطيط سياسي وأمني في المنطقة[245].

ما من شك بأن هذه التصريحات لقادة سياسيين ودينيين ألهبت الاهتمام بظاهرة التبشير الشيعي، وحرضت وسائل الإعلام على تناولها، فيما أصبحت إحدى أكثر القضايا الدينية إثارة في الداخل السوري، بدأت تصدر عشرات التقارير والمقالات ونداءات الاستغاثة من التشييع[246]، وذلك بجوار

---

[242] "السؤال الشيعي يطرح لأول مرة في الأردن، فثمة تقارير وتصريحات رسمية ومعلومات متعددة تؤكد وجود ظاهرة "محدودة" من "التشيع الديني" في السنوات الأخيرة في مناطق مختلفة، بالإضافة إلى التخوف الرسمي من حالة "التشيع السياسي" من خلال قنوات واسعة كعلاقة قيادة حماس الخارج بإخوان الأردن، ووجود عشرات الآلاف من الشيعة العراقيين المقيمين في الأردن، إلى مرحلة بات يتحدث فيها بعض المسؤولين عن "خلايا شيعية نائمة" في عمان، يتوازى ذلك مع إعجاب شرائح اجتماعية واسعة بأداء حزب الله في الحرب الأخيرة، وكفاءة حسن نصر الله أمينه العام، الذي أصبح بمثابة بطل شعبي في الشارع العربي، والأردني بالتحديد.

يأتي الجدل الأردني حول التشيع والنفوذ السياسي الإيراني في المنطقة في سياق حالة الاستقطاب السياسي الإقليمي الواضح اليوم بين المحور الإيراني- السوري المعزز بتأييد حركات إسلامية والمحور الذي يطلق على نفسه "معسكر الاعتدال العربي" وعماده الرئيس (مصر، السعودية، الأردن). فالتخوف العربي من النفوذ الإيراني يبرز بوضوح في تصريحات لكبار المسؤولين تحذر من نفوذ إيران، وتشكك في "ولاء الشيعة العرب"، وفي مقالات تتحدث عن إعادة تصدير الثورة من جديد على يد نجاد ومجموعته الحاكمة اليوم".

انظر: أبو رمان، محمد، **التشييع السياسي ظاهرة تغذيها انتصارات حزب الله**، صحيفة **الغد** الأردنية، العدد 2006/10/04.

[243] حذر الملك عبد الله بن عبد العزيز من سعي إيران للتبشير بالمذهب الشيعي في البلاد السنية (مجلة التايم، 2007/02/22).

[244] 22 تشرين الأول/أكتوبر 2006.

[245] نقلت **الوكالة الإسلامية للأنباء** (الشيعية) في 8 أيلول/سبتمبر 2006 عن تقارير أوربية استخباراتية بأن زيارة رجب طيب أردوغان إلى السعودية في مطلع أيلول/ديسمبر 2006 كانت لتوقيع "معاهدة سرية بين السعودية وتركيا لوقف المدّ الشيعي".

وحذر الملك الأردني عبد الله الثاني إيران من زعزعة الاستقرار في المنطقة لمد نفوذها وتوسيع هيمنتها، انظر:

صحيفة الغد الأردنية، **الملك يحذر إيران من زعزعة الاستقرار في المنطقة**، العدد 2007/01/25.

[246] صدر عدد من "الاستغاثات" مثل:

- **رسالة من مواطن سوري حول المد الصفوي في اللاذقية** أيار/مايو 2006 ، انظر الرابط:

http://www.d-sunnah.net/forum/showthread.php?t=62624



حديث بدأ يتصاعد عن عمليات تشييع منظمة في الأردن ومصر(247) والسودان(248) وأماكن أخرى في المغرب العربي.

تصاعد الضغط الإعلامي والتدفق اليومي للمعلومات التي تتعلق بالتشييع المنظم والمحمي أمنياً وسياسياً من قبل النظام السوري، وبدأ ذلك يشكل ضغطاً على النظام السوري وعلى عمل شبكة المبشرين التي تعمل في كنفه وحمايته، فسارع إلى أحد حلفائه من المؤسسات السنية للقيام بخطوة تخفف هذا الضغط، أعلن في تشرين الثاني/ نوفمبر 2006 عن تأسيس "**جمعية التآخي بين المذاهب الإسلامية في سورية**" برئاسة الدكتور صلاح الدين كفتارو (نجل مفتي سورية السابق أحمد كفتارو، ورئيس مجمع أبو النور) بحيث يشغل منصب نائب رئيس الجمعية رجل الدين الشيعي الدمشقي عبد الله نظام، (رئيس الجمعية المحسنية في دمشق) وذلك "استجابة للهواجس المثارة بشأن التشيع"، ومن أجل "تعزيز أواصر الإخاء الإسلامي والتقريب بين المذاهب الإسلامية" بحسب بيان الجمعية!

لاشك أن خطوة كهذه على أهميتها لا تستطيع مواجهة الشائعات التي بدأت تنتشر بشكل واسع وتتحدث عن مؤامرة على سنية الشعب السوري، وتجنيس عشرات الآف من الشيعة الإيرانيين والعراقيين واللبنانيين لتغيير التركيبة الديموغرافية لسورية(249)، الأمر الذي أجَّج الإحساس بالنقمة من استغلال تعاطف السوريين مع القضية الإيرانية وحزب الله.

أحس الملالي المبشرون أن هذا لا يكفي ولا بد من المواجهة، وبالتالي فإن الرد الإعلامي في هذا السياق بات أمراً حتمياً لحماية أنفسهم ومشروعهم؛ فقد أصبح البقاء في الظل بمنزلة دليل إدانة عن نشاطهم، فخرج بعض الشيعة الدمشقيون (وتم تجنب أي شخصية شيعية غير سورية) ونفوا بشكل

- نداء من علماء سورية المسلمة (وا إسلاماه)، موقع من خارج سورية باسم "**هيئة علماء المسلمين في سورية**"، حمص حماة القصير 17 رمضان عام 1427هجرية الموافق لـــ 10 تشرين الأول 2006.

وهناك أكثر من خمسة نداءات استغاثة كتبت على شكل تقارير، وكما يبدو من طريقة بنائها فقد كتبت بأيدي بعض الأهالي ورجال الدين، وتم توزيعها بشكل محدود بين رجال الدين ذوي النفوذ والتأثير لتحذر من التمدد الشيعي في الجزيرة والبادية السورية وبين القبائل. (نحتفظ بنسخة منها).

(247) حذر **الدكتور يوسف القرضاوي** من "احتراق شيعي لمصر عبر بوابة المتصوفة"، 3 أيلول/ سبتمبر 2006.

انظر الخبر على موقع **العربية نت** على الرابط: http://www.alarabiya.net/Articlep.aspx?S=27111

(248) أحمد النور، النور، **جماعات إسلامية سودانية تحذر من مخطط كبير وراءه إيران: قرى بأكملها تشيّعت والحسينيات والزوايا تنتشر في الخرطوم**، صحيفة الحياة، 19 كانون الأول/ ديسمبر 2006.

(249) انظر: الأحمد، خالد، **بشار يبيع سورية للصفويين**، موقع رابطة أدباء الشام، على الرابط:
http://www.odabasham.net/show.php?sid=9230

و: درويش، إبراهيم، **ما لم يقل مقال: أين مكمن الخطر؟**، موقع مركز الشرق العربي، على الرابط:
http://www.asharqalarabi.org.uk/mushrakat/b-mushacat-1160.htm



قاطع أي عملية تبشير في سورية، وحسب ما ورد في كلام كل من رجلي الدين الشيعيين الدمشقيين (عبد الله نظام ونبيل حلباوي) فإنه "لا وجود لحملة تبشيرية شيعية بين أهل السنة وأن هذا الكلام يفتقر إلى الدليل"[(250)]، وبطبيعة الأمر النفي في هذا الحال أفضل وسيلة لنشاط يعمل في الظل.

الملفت للانتباه هو ظهور رجل الدين العلوي (النصيري) المنتمي للتيار الشيعي "ذو الفقار غزال" لينفي وجود ظاهرة تشيع بين العلويين بجوار نفي الشيعة السوريين لحملات تبشير شيعية! ومن الواضح أن المسألة كانت في إطار خطة دفاعية عاجلة وغير مدروسة بعناية؛ فالحديث عن تشييع العلويين لم يتناوله الإعلام بشكل مسهب، و لم يشكل جزءاً من حديث الشارع، لكنه على كل حال كان جزءاً من استهداف سياسي للنظام لتأكيد الدوافع الطائفية لحملة التبشير وحمايتها أمنياً وسياسياً من قبل نظام الأسد الابن.

في ظل عزلة دولية وتهديد النظام بنتائج التحقيق الدولي في مقتل رفيق الحريري، فإن على الأسد أن يتجنب أي ضغط آخر خصوصاً إذا كان داخلياً، وقد أحس بأن مسألة التشييع أصبحت مصدر قلق لا يمكن التكهن بنتائجه فيما إذا استمر بالتصاعد، وبالتالي فإن عليه التحرك بشكل فوري

من المهم التنويه إلى أنه لا يوجد ما يثبت هذه الشائعات أو ينفيها حول تجنيس الشيعة الإيرانيين وغيرهم.

(250) نيوف، حيان، **شيعة سورية يردون على اتهامهم بـــ "التبشير" بين السنة والعلويين**، الاثنين 6 نوفمبر 2006.

وفي سياق الرد قال رجل الدين الشيعي عبد الله نظام: "الكلام عن ظاهرة تشيع في سورية بدعم إيراني وغض السلطات السورية النظر عنها هو كلام عار عن الصحة، وهدفه التفرقة. في سورية لا يوجد شيء اسمه الدعوة إلى مذهب معين، والقانون يخضع له الجميع بنفس الطريقة، والشيعة أصلاً تابعون في كل أمورهم الدينية إلى وزارة الأوقاف في سورية من مساجد وأئمة. نحن كشيعة عبارة عن مذهب فقهي، والمذهب الفقهي ليس ديناً أو شيئاً خاصاً حتى يدعو إليه الإنسان لا سيما أنه توجد ضمن المذهب الواحد في الإسلام فتاوى متعددة وأكثر من قول في مسألة واحدة. لا يوجد تشيع في سورية مرتبط بجهة خارجية أبداً. أي شخص لديه مثال واحد فليقل مثاله لنا".

إذن هناك تشيع مقابل أموال كما قالت جهات سورية معارضة؟ سألت "العربية نت". يجيب: "هذا كذب صراح من جماعات تريد حرباً طائفية في المنطقة. الإنسان الذي يتم شراؤه بالأموال لا خير فيه".

وسألت العربية نت: هناك تقارير تحدثت عن نشاطات إيرانية من خلال بناء مراكز ثقافية جديدة وحوزات شيعية. فأجاب نظام: "الديهم مركز ثقافي في دمشق فقط، والسفارة الأمريكية لها مركز ثقافي أيضاً. أما بالنسبة للحوزات، فنحن لدينا حوزات معروفة لتدريس الطلبة كما توجد عند أهل السنة معاهد لتدريس الطلبة أيضاً وهي معاهد شرعية. هذا عمل طبيعي والمسيحيون عندهم مدارس لاهوتية".

ونفى أن يكون المسجد الأموي يعطي دروساً في الفقه الشيعي قائلاً: "هذا المسجد لإخواننا السنة". وأضاف: الدروس التي فيه هي لرجال دين وفقه من أهل السنة، ولكن في شهر رمضان حصل أن أذيع حديث رمضان الديني من المسجد الأموي بدلاً من أن يذاع في التلفزيون وشخصياً شاركت لمدة 7 دقائق. ودعيت إليه في يوم من أصل 29 يوماً تكلم فيها رجال دين من السنة فهل كثير على الشيعة أن يتكلموا 7 دقائق في حديث ديني واحد"!

وأبدى عبد الله نظام استغرابه من موجة التهويل بمد شيعي في بلاده، وقال: "العقيدة ليست مصبغة نرسل إليها القماش لتغيير لونه والإنسان حر بما يختار ولا نستطيع أن نفرض عليه أي شئ". انظر الرابط:

http://www.alarabiya.net/Articles/2006/11/06/28855.htm



لمحاصرته، هكذا دُفع بالمفتي الجديد الشيخ أحمد حسون ـــ المغرم بالحديث لوسائل الإعلام ورجل الدين غريب الأطوار بنظر علماء الدين السنة ـــ إلى الواجهة، ليضمِّن سيل تصريحاته نفياً قاطعاً بأي تشييع أو تبشير شيعي في الأراضي السورية مدعوم من النظام أو من إيران(251).

من حق النظام أن يدافع عن نفسه بمزيد من الشفافية، فالوثائق الحكومية والوقائع التي سقناها في الفصول السابقة ليس بالإمكان نفيها بسهولة، لكن بما أن النظام متورط فليس عليه إلا النفي لأعمال تتم في الظل غالباً، وضمن منظومة عقله الأمني فإن عليه أن يقمع أي حديث علني احتجاجي يتعلق بالتبشير الشيعي، وعلى هذا الأساس فإنه لجأ إلى سياسة اعتقال المتدينين من ذوي الاتجاه السلفي المناهض الطبيعي للتشييع واستصدار أحكام قاسية جداً بحقهم تبدأ من أربع سنوات وتصل إلى أكثر من ثماني سنوات بتهمة الانتماء إلى "جمعية تهدف إلى تغيير كيان الدولة الاقتصادي والاجتماعي"!(252)

(251) على سبيل المثال صرح الشيخ حسون للعربية نت قائلاً: إن الذين يتحدثون عن تشيعه إنما يسوقون اتهامات مضحكة، في سورية يوجد مفت للجمهورية ومفت للشافعية والأحناف والجعفرية. أرجو من هؤلاء الذين ينقل عنهم هذا الحديث أن يعلنوا عن أسمائهم وأن يقولوا نحن الذين نتهم لا أن يقولوا والله أخبرنا بعض العلماء من حلب أنهم نصحوا المفتي ألا يتشيع، ... تابعت الأمر بشكل شخصي وتبين أنه غير صحيح، واتصلت بالشيخ سلمان العودة، وطلبت منه أن يدلني على موقع من المواقع التي يقال أن فيها انتشاراً للتشيع في سورية، وكان سعيداً بتوضيح الأمور له، وقال إن هذه الأنباء جاءته من بعض الإخوة ولذلك تكلمت بها، فدعوته لزيارة سورية ليرى حقيقة الأمور. انظر تصريحات حسون في موقع **العربية نت** على الرابط:
http://www.alarabiya.net/Articles/2006/11/27/29435.htm

(252) انظر مثلاً: اللجنة السورية لحقوق الإنسان، لندن، **خمس سنوات سجن بسبب الانتماء إلى تيار سلفي**، 2007/09/20، على الرابط: http://www.shrc.org/data/aspx/d8/2798.aspx

وحتى تاريخ كتابة هذه السطور ما تزال الأحكام جارية فقد أصدرت محكمة أمن الدولة العليا بدمشق (محكمة استثنائية) يوم الأحد 2007/11/11 أحكاماً على ثلاثة معتقلين بتهمة الانتساب لجمعية سرية تهدف إلى تغيير كيان الدولة الاقتصادي والاجتماعي سنداً للمادة /306/ من قانون العقوبات السوري وذلك في إشارة لانتساب المتهمين إلى تيار سلفي متشدد، وتراوحت الأحكام بين السجن لمدة ثمانية سنوات والسجن أربع سنوات فيما استجوبت عددا أخر من المعتقلين وأجلت جلساتهم لاستكمال الدفاع أو لمطالبة النيابة، وكانت الأحكام على الشكل التالي:

السجن لمدة ثمانية سنوات للمتهم محمود الشيخ بن محمد.

السجن لمدة ستة سنوات للمتهم محمد الحمود.

السجن لمدة أربع سنوات للمتهم محمد بربور درويش.

انظر اللجنة السورية لحقوق الإنسان، لندن 12 تشرين الثاني/نوفمبر على الرابط:
http://www.shrc.org/data/aspx/d7/3357.aspx

وفي 14 تشرين الثاني/نوفمبر 2007، حكمت محكمة أمن الدولة على المواطن السوري خالد العبود الموقوف منذ تاريخ 2005/03/28 بالأشغال الشاقة لمدة سبع سنوات بتهمة الانتساب لجمعية تهدف لتغيير أوضاع المجتمع الاقتصادية والاجتماعية بإحدى الوسائل المذكورة بالمادة 304 سنداً للمادة 306 من قانون العقوبات، وحجرة وتجريده مدنياً وتضمينه الرسوم والمصاريف قراراً مبرماً غير خاضع للطعن بالنقض وخاضع للتصديق من المرجع المختصة.

في 28 كانون الثاني/ يناير 2007 اعتقلت جهاز الأمن السياسي في مدينة بانياس الساحلية الشاعر العجوز "محمد علي درباك" (72 عاماً) بسبب قصيدة نظمها ينتقد فيها الشيعة بعد أن هاجم جيش المهدي اللاجئين السوريين في العراق، ونتيجة سوء المعاملة والأوضاع غير الإنسانية التي وضع فيها، فقد نقل إلى المشفى وتناقلت المنظمات الحقوقية نبأ وفاته في سجنه إثر جلطة أصابته![253]، وفي السياق نفسه داهمت قوات الأمن في درعا منزل الدكتور تيسير العمر (أستاذ العقائد والأديان في كلية الشريعة بجامعة دمشق) في 2007/06/26، وفصلته مع طلابه من وظائفهم في الإمامة والخطابة بسبب تحدثهم عن التشييع علناً والتحذير منه[254].

الواقع أن تصرفات السلطات والأجهزة الأمنية أثارت الريبة وأكدت القضية أكثر من أن تنفيها، وأججت المشاعر أكثر من أن تطفئها، لقد كان لمثل هذا الوضع أن يدفع باتجاه مزيد من الاحتقان والرغبة بمعرفة حقيقة ما يجري على الأرض، وبما أن النظام لا يستطيع كشف علاقته بحماية التبشير ولا ينوي الأسد تغيير علاقته مع الشيعة فقد بدا الأمر حرجاً للنظام، إذ اضطر مقربون من حزب البعث لمطالبة السلطات بالكشف عن الحقيقة؟[255] فـ "المقالات التي تتحدث عن التشييع في سورية ازدادت مؤخراً وبشكل ملحوظ، وبصورة لم تكن مسبوقة ولم تكن تطرح أبداً بهذا الشكل" وأن "معظم هذه المقالات يركز على قضية التشييع، أي تحول بعض المسلمين السنة ليصبحوا شيعة من أتباع ولاية الفقيه"، و"نظراً لازدياد الاهتمام بالموضوع موّلت جهات أوروبية دراسة بحثية ميدانية أشرف عليها السوري المقيم في فرنسا نزار نيوف، ومنشورة على موقعه تتناول هذه القضية وحجمها وانتشارها، وبعد ذلك يبدو أن المقالات بدأت تتجه لتكون أكثر تركيزاً بمعنى أنها تتناول منطقة محددة أو محافظة وتدرس تلك الظاهرة فيها".

كما استجوبت المحكمة في نفس اليوم كلاً من: محمد عبيد الأحمد بن عيسى وناصر ناصر من أهالي الجولان، وكلاً من محمد ناصر وعبد المحسن محمد الحاج الشيخ من أهالي محافظة الرقة بنفس التهمة!

انظر: اللجنة السورية لحقوق الإنسان، 8 تشرين الثاني/نوفمبر 2007، على الرابط:

http://www.shrc.org/data/aspx/d4/3354.aspx

[253] صحيفة "**الخليج**" الإماراتية الأحد 2007/03/18. وحسب اللجنة السورية لحقوق الإنسان فإن "هذه العناصر الأمنية اعتقلت أيضاً صاحب المكتبة التجارية التي نسخ درباك قصيدته فيها واسمه **رامي رخامية** والعامل في المكتبة **علاء محيى الدين** الذي قام بعملية النسخ واللذين لا يُعرف وضعهما حالياً".

وقد أفرج عن درباك وكل من رخامية ومحي الدين في 20 و21 آذار/مارس 2007، انظر الخبر على الرابط:

http://www.shrc.org/data/aspx/d2/3102.aspx

[254] انظر بيان **حركة العدالة والبناء**، في 28 حزيران/يونيو 2007 على الرابط:

http://forsyria.org/arab/statement_details.asp?id=24

[255] **مقربون من "البعث" يدعون الحكومة السورية إلى تفنيد شائعات "التشيّع السياسي"**، جريدة **البيان** الإماراتية، 2007/02/12. انظر الرابط:

http://www.arraee.com/modules.php?name=News&file=article&sid=18246



ودعى هؤلاء المقربون إلى "إجراء دراسة علمية من قبل مركز دراسات سوري مستقل، يقوم بزيارات ميدانية ويقدم تقريراً شفافاً مدعماً بالمعلومات والصور عما يثار، بحيث يمكن في النهاية معرفة حقيقة ما يجري ويتم عرضه على قيادة حزب (البعث)، بحيث يتم اتخاذ الإجراءات المناسبة والتصدي لمن يثير الفتنة سواء أكانت هذه الظاهرة موجودة أو يتم تضخيمها لأهداف معروفة"، وتساءلت "ألم يكن من المناسب أن يناقش هذا الموضوع الخطير في اجتماعات اللجنة المركزية لحزب (البعث) الأسبوع الماضي؟ أوليس هو أخطر من الكثير من القضايا التنظيمية والاقتصادية التي نوقشت؟".

كان رجل الدين السني (ورجل بلاط الأسد الأب) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في 2006/04/28 قد انتقد في خطبة ملتهبة غير معهودة منه الفكر الشيعي واعتقاداته في أهل بيت النبي (ص) التي وصفها بأنه مغالى فيها[256]، لكن الأهم في هذه الخطبة ليس نقده لاعتقادات الشيعة، وإنما هو احتجاجه الحاد واللافت على احتلال المقامات السنية واختراع بعضها في مدن سنية عريقة لم يدخلها التشيع يوماً لتثبيت مراكز تبشير شيعية، فالشيعة ـــ وفقاً للبوطي ـــ يطمعون بغلوهم في أتباع المذاهب السنية، و"يختلقون اختلاقاً أسماء لأشخاص من آل بيت رسول الله وهميين يبنون لهم في ظلام ليل دامس دون شعور قبوراً وهمية، وبعد حين يبنون لهم قباباً خضراء في سبيل أن يضعوا أيديهم على بقاع حول هذه المنطقة كلها، ويجعلوا منها منطلقاً لمقارعة مذهب لمذهب، ويجعلوا منها منطلقاً من أجل كيد، ومن أجل إثارة فتنة (...) لماذا توضع الأيدي على بقاع معينة من أرضنا الإسلامية (...) من أجل أن تكون هذه البقعة منطلقاً بعد ذلك لفتنة؟"[257].

حذر البوطي في خطبته بشدة الملالي الشيعة من التمادي في تبشيرهم واحتلال المقامات واختلاقها في المناطق السنية، قائلاً: "إياكم ومهايع الفتنة، إياكم وأن تلعبوا بالنار، لَئن كان الساسة في شغل شاغل، وفي ظروف لا تسمح لهم بالتحذير، فنحن المسلمون لنا ظروف أخرى نستطيع أن نشير إلى مكان الخطر (...) آمُل أن يكون في وعي هذه الأمة ـــ لاسيما في هذه البلدة [دمشق] ـــ ما ينبهها إلى الخطر الداهم، ما ينبهها إلى نشاط يتحرك باسم الإسلام، ولكنه يبتغي شيئاً آخر، يبتغي إثارة فتنة، يبتغي مقارعة مذهب بمذهب تحت مظلة دين واحد، اجعلوا من وعيكم حارساً لهذه الحقيقة. أما قادتنا، فلا أدري ماذا أقول، لعلهم في شغل شاغل بسبب الظروف المدلهمة التي جعلتهم في دوامة وحيرة"[258].

---

(256) انظر الخطبة في الموقع الرسمي للدكتور البوطي، بعنوان: **الوسطية**، على الرابط:
http://www.bouti.com/article.php?PHPSESSID=c8cefb70281053937fe7e7654379d082&id=244

(257) المصدر نفسه.

(258) المصدر نفسه.



وكما هو واضح فإن البوطي على الرغم من أنه يصرح بأن العملية التبشيرية تتم في "غفلة" السلطات، إلا أنه من طرف آخر كان قد غمز بوجود مصالح سياسية للنظام بهذه الحركة التبشيرية عندما ختم خطبته بالقول "قاتل اللهُ السياسةَ عندما تحجب عن المبدأ، وقاتل الله السياسة عندما تمتطي الدين لمصلحتها"[259].

من الطبيعي أن يكون البوطي بعد ثلاثة أشهر أحد أبرز الموقعين على بيان علماء الشام، ولا نستبعد إطلاقاً أن يكون البوطي قد صاغ البيان بنفسه، لكن البوطي ـــ رجل البلاط الذي انتهت صلاحيته منذ سبع سنوات ـــ لم يتوقف، فالمسألة تبدو مقلقة له كعالم دين ورمز سني كبير مسؤول عن حماية معتقدات أتباعه، فتقدم رسمياً لجهات عليا (لم نستطع التعرف على هويتها) بين 20-25 شباط/فبراير 2007 يطالب بالتدخل لوقف عملية التبشير[260]، لكن يبدو أن طلبه "ضاع" في دهاليز السلطة فلم يظهر له أثر!

وعندما عقد المركز العربي للدراسات الاستراتيجية في جامعة دمشق جلسات حوارية للمثقفين السوريين مع وزير الخارجية الإيراني "منوشهر متكي" في 23 و24 شباط/فبراير 2007 لم يتمالك المثقفون السوريون أنفسهم من سؤال الوزير الإيراني عن "هاجس التشييع"[261] ووجود "اتهامات بأن إيران معنية بنشر المذهب الشيعي في سورية"، وأن إيران ضالعة في الفتنة المذهبية والحرب الطائفية الدائرة في العراق، غير أن متكي لم يزد أن قال: "لا نسعى لأن نجعل من السني شيعياً، ولا نعرف أن هناك حركة كهذه! في الحقيقة نحن لا ننظر الى الخلاف على أنه خلاف في العقيدة، بل [على] أنه اختلاف في وجهة النظر السياسية"[262]، والواقع أن متكي ـــ الذي يعلم تماماً أنه لا يقول الحقيقة ـــ لم يجانب الصواب في وصف أصل المسألة، فالمسألة هي وجهة نظر سياسية، وهي وجهة نظر إيرانية وسورية في الوقت نفسه.

---

[259] المصدر نفسه.

[260] مصدر مقرب جداً من الدكتور البوطي، طلب عدم ذكر اسمه.

[261] صحيفة الحياة، 25 -2-2007.

[262] المصدر نفسه.



الخاتمة

أولاً: نتائج البحث

لقد أفضت مجموعة المعلومات المتحصلة من المصادر الثمانية التي ذكرت في مقدمة الدراسة إلى جملة من المعطيات الرقمية، بعد عدد من عمليات المقارنة أمكن التوصل إلى وضع جدول[263] يوضح الانتشار جغرافياً وديمغرافياً في إطار تحديدات زمنية تسهل فهم الانتشار وتفسيره.

يذكر هنا جملة النتائج التي يقدمها الجدول المشار إليه، مع ملاحظة أن المعلومات مهما كانت دقيقة فهي في النهاية تقريبية، وسيتم اعتماد النسب المئوية في عرض النتائج والابتعاد عن الأساليب الإحصائية المتبعة في البحوث الاجتماعية، وذلك لسهولة فهم النسب المئوية، وقدرتها على تأدية الغرض العلمي في الوقت ذاته.

كما ستتم مقارنة النتائج مع النتائج التي توصلت إليها دراسة مجلس الحقيقة والعدالة والمصالحة، خصوصاً فيما يتعلق بالأرقام الخاصة بالتشيع في الوسط الاجتماعي السني، ذلك أن هذه الدراسة هي الدراسة الوحيدة التي أعلنت أرقاماً تقريبية فيما يخص التشييع في سورية، كما سيتم الاعتماد على الأرقام التي انتهت إليها تلك الدراسة بسبب صعوبة الحصول على أرقام تقريبية واقعية فيما يخص التشييع في الوسط الاجتماعي العلوي (النصيري) والإسماعيلي، وذلك رغم العلم بأنها لا تتمتع بمصداقية علمية كبيرة، والأرقام الواردة فيها مبالغ بها كبراً وصغراً، لكن فيما يتعلق بالعلويين والإسماعيليين لا توجد إمكانية للحصول على أرقام يطمأن لها.

وسيعمد في النهاية إلى شرح النتائج ومحاولة تفسيرها على ضوء المعرفة السياسية والواقعية بالمناطق الجغرافية السورية وشرائح المجتمع وتركيبتهم الثقافية والاجتماعية.

---

[263] انظر الجدول في الملحق ص133.



عدد المتشيعين ونسبتهم

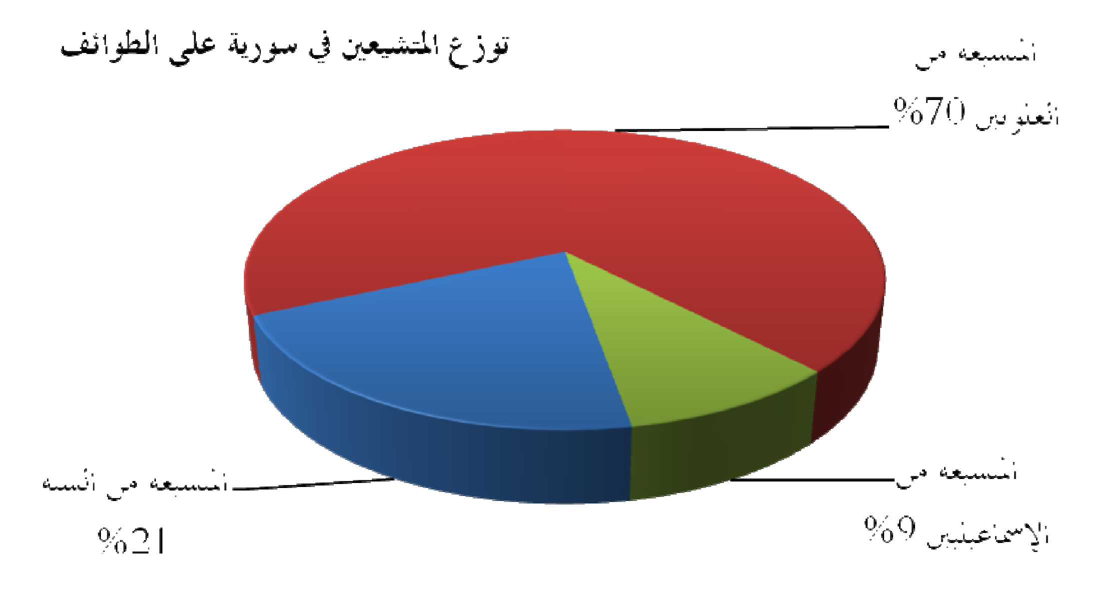
حسب الجدول فإن عدد المتشيعين الإجمالي في سورية في الوسط الاجتماعي السني وحده ضمن المجال الزمني من 1919م إلى 2007م هو 16000 (15930) شخصاً كحد أقصى، منهم 8040 تشيعوا في الفترة بين 1999م-2007م، أي بنسبة 50% من مجموع المتشيعين السنة السوريين.

هذه النتيجة تشكل أكثر من عشرة أضعاف الرقم الذي توصلت إليه دراسة "مجلس الحقيقة والمصالحة عام 2006 عن التشييع في سورية، التي زعمت أن إجمالي عدد المتشيعين السُنَّة في سورية لا يتجاوز 1500 شخصاً!

إذا أخذ بالاعتبار الرقم الذي وصلت إليه دراسة المجلس فيما يتعلق بالمتشيعين العلويين وهو 52700 شخصاً، والرقم الخاص بالمتشيعة الإسماعيلين وهو 7400 شخصاً فإن إجمالي المتشيعين في سورية ــ فيما إذا صحَّت أرقام دراسة المجلس ــ يقارب في حد أقصى 75878 شخصاً. مع ملاحظة أن الرقم الخاص بمجلس الحقيقة والمصالحة هو فقط في المجال الزمني 1985م-2006م، لكن هذه الملاحظة على أهميتها بالنسبة للمتشيعة العلويين والمتشيعة الاسماعيليين لا تشكل فارقاً كبيراً؛ ذلك أن معظم حركة التشيُّع في الوسط الاجتماعي العلوي بدأت بالانتشار والنمو منذ عام 1970، أي منذ انقلاب الأسد، في حين أن معظم حركة التشييع في الوسط الإجتماعي الاسماعيلي بدأت بعد الثمانينيات.

ومن الجدير بالتنويه هنا فيما يخص النِّسَب التي ذكرتها دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة، ما ذكرته بأن 3% من التشيع الإسماعيلي كان في محافظة حلب، أي أن 222 شخصاً إسماعيلياً متشيعاً من هذه المحافظة التي لا يوجد فيها إسماعيليين البتة كما هو معلوم! وعلى الرغم من أن هذا الرقم لا يغير كثيراً من الرقم الأصلي، فيما لو تم اسقاطه من الأرقام لجملة المتشيعة الإسماعيليين باعتباره غير صحيح، فعدد المتشيعين الإسماعيليين سيكون 7178 شخصاً، إلا أن مغزى هذا التنويه هو الأثر الذي يتركه في مصداقية الأرقام التي تقدمها الدراسة، خصوصاً إذا أخذ بعين الاعتبار عدم ثبوت صحة الأرقام المعلنة والخاصة بالمتشيعين السنة.

وعلى هذا الأساس فإن مجموع المتشيعين في سورية هو 75878، يتوزع كالتالي: نسبة المتشيعة السنَّة هو 21%، ونسبة المتشيعة الإسماعيلية هي 9% ونسبة المتشيعة العلويين هي 70%، أي أن نسبة المتشيعة السُّنة تحتل الدرجة الثانية، وتمثل قرابة ثلث عدد المتشيعة العلويين، وأكثر من ضعف المتشيعين الإسماعيليين.



التوزع الجغرافي

تشير المعلومات المتوفرة ـــ كما هي مثبتة في الجدول أدناه ـــ إلى أن الجزيرة السورية بمحافظاتها الثلاثة (الرقة، دير الزور، الحسكة) كانت فيها أكبر نسبة تشيع في الوسط الاجتماعي السني على الإطلاق في المجال الزمني 1999-2007، فعدد المتشيعين في هذه المنطقة وضمن هذا المجال الزمني يصل إلى 6080 شخصاً(264)، مما يعني أن نسبة المتشيعين من هذه المنطقة وحدها هو 76% من نسبة المتشيعين السُّنة الإجمالية في عهد بشار الأسد، و 38% من إجمالي عدد المتشيعين في المجال الزمني 1919- 2007.

ومن الطبيعي أن هذه النتيجة التي توصلت إليها هذه الدراسة تناقض تماماً مع ما وصلت إليه دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة سنة 2006، والتي وصفت العدد الإجمالي الذي وصلت إليه بأنه لا يشكل "إلا أجزاء عشرية متناهية الصغر (بضع عائلات تعد على أصابع يد واحدة)"!

كما أن عدد المتشيعين من السُّنة في باقي المحافظات خلال الفترة نفسها 1999-2007 يصل إلى 1960 شخصاً فحسب، أي ما نسبته 24% من نسبة المتشيعين الإجمالية في هذه الفترة، ومقارنة بما ورد في دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة التي قاربت عدد المتشيعين السنة في هذه المناطق في المجال الزمني 1985-2006 بـــ 1500 مواطن، في مختلف المناطق السورية باستثناء الجزيرة

---

(264) يزعم بعض المتشيعين الجدد أن تعداد المتشيعين السنة في منطقة الجزيرة قارب العشرة آلاف خلال عقد من الزمن، ونحن نعتقد أنه رقم مبالغ فيه على عادة الأقليات الدينية في تقدير حجمها. انظر:

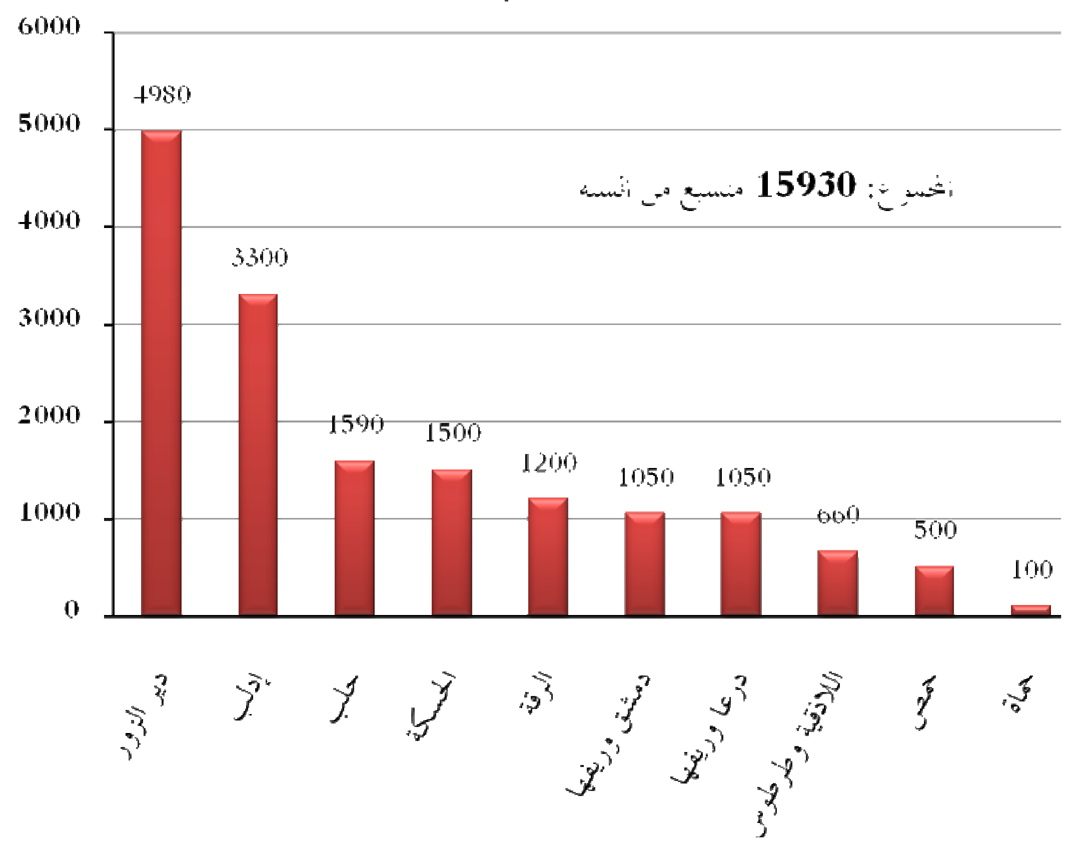
آل قطيط، **المتحولون**، م.س، مقابلة مع **الدكتور عبد المجيد العلي** (متشيع من دير الزور عام 1999) على الرابط:
http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm



والقنيطرة، فإن العدد 1960 شخصاً، الذي وصلت إليه هذه الدراسة عن فترة 1999-2007 يبدو متقارباً جداً، لكن مع ملاحظة أن الرقم الذي أثبتته هذه الدراسة متعلق فقط بالسنوات الثمان الأخيرة، في حين أن رقم دراسة المجلس يشمل 21 سنة.

وقد جاءت النسب إجمالاً في المجال الزمني 1919-2007، وهي تشمل كل المتشيعين السنّة ضمن فترات مختلفة من 1919م إلى 2007م كالتالي:

المحافظة	عدد المتشيعين	النسبة	المحافظة	عدد المتشيعين	النسبة
إدلب	3300	%21	درعا وريفها	1050	%7
الحسكة	1500	%9	دمشق وريفها	1050	%7
حلب	1590	%10	دير الزور	4980	%31
حماة	100	%1	الرقة	1200	%7
حمص	500	%3	اللاذقية وطرطوس	660	%4



وحسب ما توصلت إليه هذه الدراسة فإن أكبر نسبة تشيُّع في الوسط السني هي في محافظة دير الزور، تليها محافظة إدلب، وتحتل الدرجة الثالثة مدينة حلب، في حين أصغر نسب التشيع في الوسط السني كانت في محافظة حماه أقل من 1 %.

وهي نتيجة تختلف جذرياً عما ورد في دراسة الحقيقة والمصالحة(265)، بل هي معاكسة لها، فقد زعمت تلك الدراسة بأن أعلى نسبة التشيع في الوسط السني كانت في محافظة حلب (46%) وأن محافظة إدلب كانت أدنى النسب (4%) في المحافظات، في حين أن دير الزور ومحافظات الجزيرة ــ وفقا لدراسة المجلس ــ شكلت جميعها أجزاء عشرية متناهية في الصغر، أي أقل من 1%!

وحسب النسب التي ذكرها دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة فيما يخص المتشيعة العلويين، فإن الأرقام تبدو كالآتي:

المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة
طرطوس	44%	حمص	14%	دير الزور	0%
اللاذقية	26%	إدلب	0%	درعا وريفها	0%
دمشق وريفها	16%	الحسكة	0%	الرقة	0%
حماة	16%	حلب	0%		

وحسب النسب أيضاً التي أوردها دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة فيما يخص المتشيعة الإسماعيليين، فإن الأرقام تبدو كالتالي:

المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة
حماة	51%	دمشق وريفها	2%	درعا وريفها	0%
طرطوس	43%	إدلب	1%	الرقة	0%
اللاذقية	26%	حمص	0%	دير الزور	0%
حلب*	3%	الحسكة	0%		

* سبق وأشرنا إلى أنه لا يوجد إسماعيليون في مدينة حلب.

(265) حسب هذه الدراسة فإن النسب كما يلي: محافظة حلب وريفها 46%؛ محافظة دمشق وريفها 23%؛ محافظة حمص 22%؛ محافظة حماه 5%؛ محافظة إدلب 4%.



الانتشار الجغرافي للتشيع

أولاً: قبل عام 1970

انتشر التشيع في 9 قرى على الأقل في ست محافظات والتفصيل التالي يفصل المناطق الإدارية:

حلب (2): الزهراء، بزاعة.

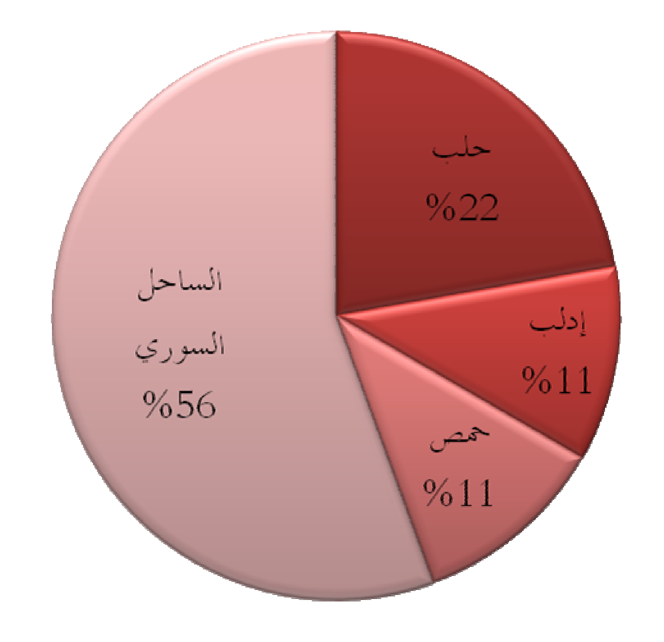
إدلب (1): زرزور.

حمص (1): الرستن.

الساحل السوري (اللاذقية وطرطوس) (5): صافيتا، الطليعي، بشير ضهر، بيت الشيخ يونس، القرداحة.

المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة
الساحل السوري	%56	الجزيرة	%0
حلب	%22	دمشق	%0
حمص	%11	درعا	%0
إدلب	%11		

نسب الانتشار الجغرافي للتشيع في سورية قبل عام 1970






ثانياً: بين عامي 1970–1998

انتشر التشيع في 71 موقع جغرافي جديد (67 قرية، و4 أحياء)، في تسع محافظات، ويجدر هنا التنويه إلى هنالك شك في أن قسماً من القرى التي دخلها التشيع في ريف محافظة إدلب كان بعد هذا المجال الزمني، لكن أدرجت هنا، فاقتضى التنويه:

دمشق وريفها (6): دوما، التل، الضمير، ببيلا، بيت سوا، سيدي مقداد.

حلب (7): حي الخالدية/مدينة حلب، البليرمون، دير جمال، كفر داعل، المنصورة، خان العسل، منبج.

درعا (3): حي المطار/مدينة درعا، قرفة، المليحة.

إدلب (11): بنِّش، معرة مصرين، حارم، كورين، عامود، خربية، دركوش، الملند، الجانودية، الدريَّة، كفريا.

الدير (2): حطلة، زغير الجزيرة.

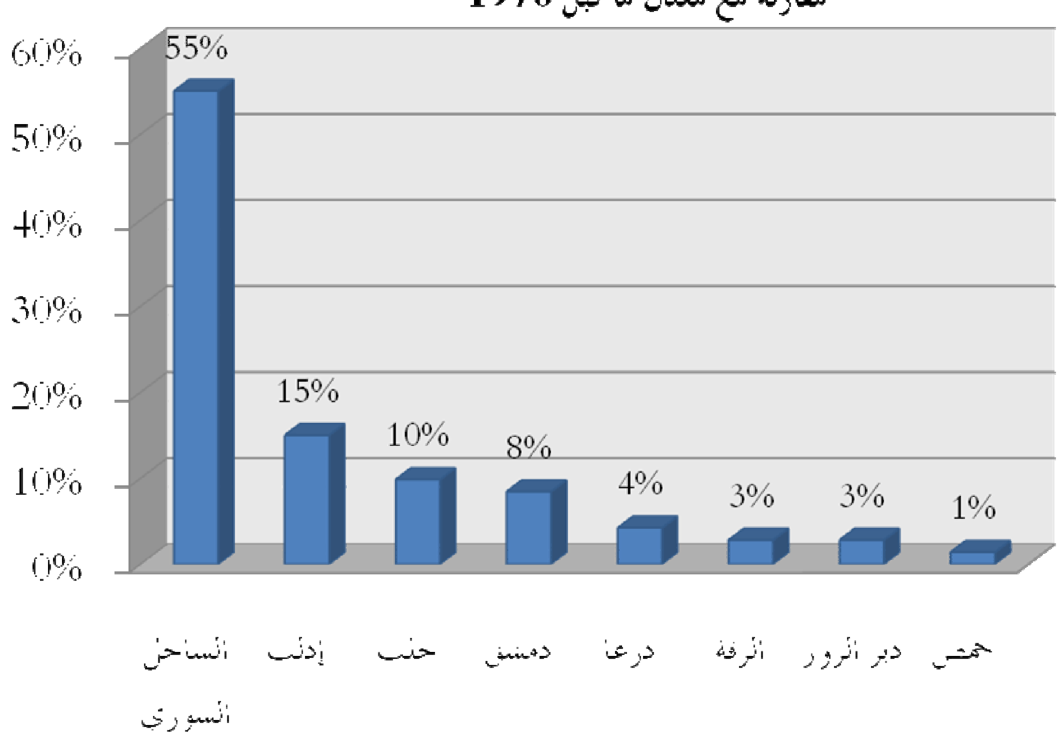
الرقة (2): مدينة الرقة، مزرعة حطين.

حمص (1): حي البياضة/مدينة حمص.

الساحل السوري (اللاذقية وطرطوس) (39): حي الزقزقانية/مدينة اللاذقية، مدينة طرطوس، جبلة، القرداحة، تلا، الحفة، بانياس، حلبكو، المشرَّفة، كرم غيزل، الدالية، حمين، حرصون، عين التينة، الدبدابة، المقرمدة، كفرفو، أبو قبيس، الدريكيش، الشبطلية، بكسا، تلة، مشقيتا، جيبول، بيت الشيخ ديب، الطليعي، ضهر بشير، بحنين، الجبيلية، بشرائيل، الشامية، بيت الشيخ يونس، بيت نافلة، حكر، البلاطة، أوبين، بعمرة، سمت قبلة، دم سرخوب.

نسب تزايد الانتشار الجغرافي (1970–1998):

المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة
الساحل السوري	%55	دمشق	%8	الرقة	%3
إدلب	%15	درعا	%4	حمص	%1
حلب	%10	دير الزور	%3		



ثالثاً: بين عامي 1999–2007

لا تتوفر معلومات يمكن الاعتماد عليها فيما يتعلق بالانتشار الجغرافي في الساحل السوري في هذا المجال الزمني باستثناء مدينة اللاذقية، ومع هذه الملاحظة، فإن ما يتوفر من المعلومات يشير إلى أن التشيع قد انتشر في هذا المجال الزمني في 65 منطقة جغرافية جديدة (56 قرية و7 أحياء):

دمشق (6): عدرا، الحجيرة، الحجر الأسود، داريا، حي الشاغور، عربين.

حلب (10): حي الشهباء الجديدة/مدينة حلب، حي الجزماتي/مدينة حلب، الخفسة، المالكية، النيرب، مسكنة، الباب، جارز، صوران/العذية، عين العرب.

درعا (3): الحراك، طفس، الصورة الصغيرة.

إدلب (1): منطقة جامع الروضة/مدينة إدلب.

دير الزور (20): مدينة دير الزور، خشام، البصيرة، الكسرة، الكبر، الصعوة، الصغير، جديد عكيدات، جديد بكارة، البوحميد، حلبية، موح حسن، الشميطية، جزرة، حويجة صقر، أبو خشب، الصور، البوكمال، غرانيج، محقان.

الرقة (6): شارع المنصور/مدينة الرقة، تل أبيض، حويجة صقر، شلبية، جزرا، مدينة الطبقة (الثورة).

الحسكة (10): تل الشدادي، تل تمر، تل ورد، القصر، الداوودية، زين المبرك، عامودا، الجبسة، حي النشوة/مدينة الحسكة، مدينة القامشلي/طريق الحسكة إلى حي الهلالية.

حماة (4): السلمية، مصياف، عقارب، جبل زين العابدين.

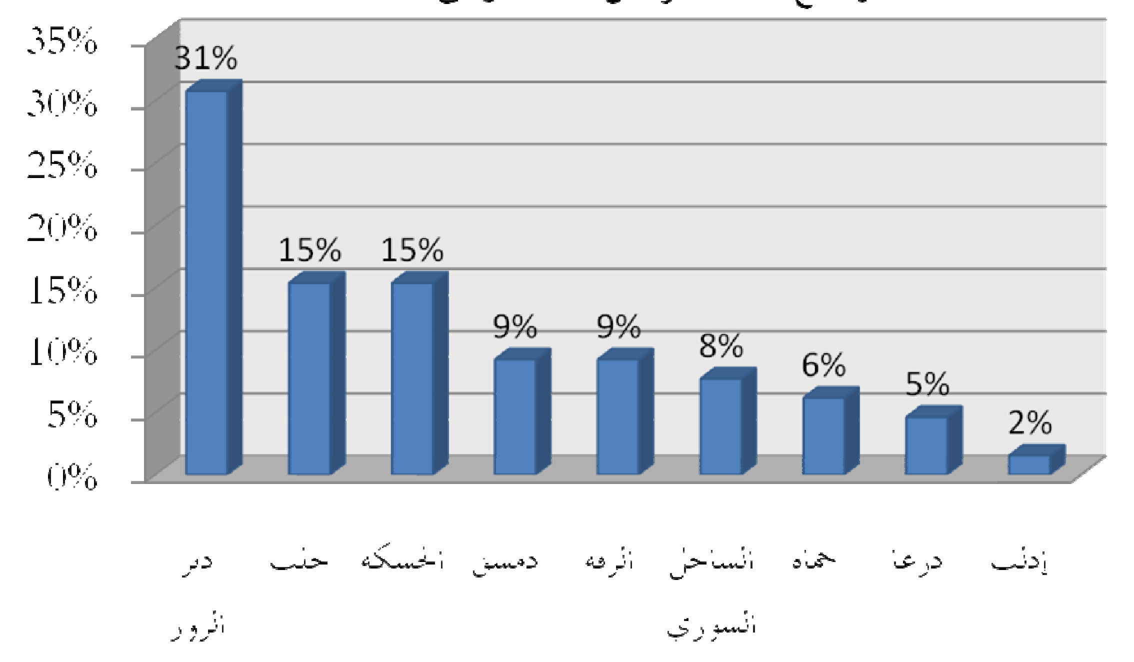
الساحل السوري (اللاذقية وطرطوس) (5): حي الرمل الفلسطيني/مدينة اللاذقية، حي الزراعة/مدينة اللاذقية، حي قنينص/مدينة اللاذقية، القدموس، نهر الخوابي.

نسب تزايد الانتشار الجغرافي (1999–2007) :

المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة
دير الزور	%31	الساحل السوري	%8
الحسكة	%15	حماة	%6
حلب	%15	درعا	%5
دمشق	%9	إدلب	%2
الرقة	%9	حمص	%1

معدل زيادة الانتشار الجغرافي للتشيع بين عامي 1999 و2007

مقارنة مع معدل الفترة من 1970 وحتى 1998



معدلات الانتشار

أولاً: الانتشار الديموغرافي

تعتبر الفترة الذهبية للتشيع هي الفترة الممتدة بين 1970-2007، فما قبلها لا يعتبر التشيع ظاهرة، و لم يتعد عدد الذين تشيعوا بضعة مئات، فإذا قدر عددهم بما دون الألف، فإن عدد الذين تشيعوا في الفترة 1970-1999 يقدر بـــ 6960 كحد أقصى، بما نسبته 43%، وعدد الذين تشيعوا في الفترة 1999- 2007 يقدر بـــ8040 كحد أقصى بما نسبته 50% .

وعلى هذ الأساس فإن المعدل السنوي للتشيع حتى عام 1970 كان 19.6 شخصاً من السنة في الوسط الاجتماعي الموسوم بالسنّي، وفي عهد حافظ الأسد 1970-1999 كان المعدل 232 سنياً في السنة، أي أنه تضاعف قرابة 12 مرة عن الفترة التي سبقته، وفي عهد بشار الأسد ضمن الفترة 1999-2007 فإن معدل الانتشار كان 1005 سنياً سنوياً، أي أن المعدل السنوي تضاعف عن عهد الأب في 1970-1999 بما يعادل 4 مرات، وتضاعف بـــ51 مرة عن معدل ما قبل 1970.



لكن إذا أخذت بعين الاعتبار الأرقام التي زعمتها دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة وتمت محاولة مقاربة العدد الذي تشيع في عهد حافظ الأسد من العلويين والإسماعيليين عن طريقة المعدل السنوي، فإن عدد المتشيعين هو: من العلويين 40509 والإسماعيليين 5127[266]، وإجمالي عدد المتشيعين في عهد حافظ الأسد هي: 52596 شخصاً سورياً من مختلف الطوائف، وبالتالي فإن معدل الانتشار السنوي في عهد الأسد كان 1753 شخصاً في السنة.

وبالمثل فإذا ما أخذ بعين الاعتبار الرقم المزعوم في دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة من خلال المعدل الوسطي فإن عدد المتشيعين 8040 (سني) + 12191 (علوي) + 2051 (إسماعيلي)= 22282 شخصاً سورياً، بالتالي يكون المعدل السنوي لانتشار التشيع في مختلف الطوائف السورية هو: 2785 شخصاً في السنة.

ووفقاً لهذا الحساب فإنه يعني أن نسبة التشيع زادت في عهد حافظ الأسد عما قبله بـــ 89 مرة! وفي عهد بشار الأسد تضاعف الرقم 1.6 مرة عن عهد أبيه، و142 مرة عما كان في الفترة التي سبقت عهد أبيه!

ثانياً: الانتشار الجغرافي

في الفترة 1919-1970 انتشر التشيع في 11 منطقة جغرافية جديدة داخل الأراضي السورية، أي بمعدل 0.2 منطقة في السنة، وفي الفترة الممتدة 1970-1999 انتشر التشيع في 71 منطقة جغرافية جديدة، أي بمعدل 2.4 منطقة في السنة، وفي الفترة 1999-2007 انتشر التشيع في 65 منطقة جديدة أي بمعدل 8 مناطق في السنة، وذلك يعني أن تمدد التشيع جغرافياً قد تضاعف 11 مرة في عهد الأسد الأب عما سبقه، وتضاعف التمدد الجغرافي للتشيع في عهد بشار الأسد 3.4 مرة عن عهد الأسد الأب، و39 مرة عن ما قبل 1970.

---

(266) حُسبَ هذا الرقم على أساس الرقم المزعوم في دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة، ولتجنب المبالغة تم اعتبار أن الرقم المتحصل في السنوات 1985-1999 يتضمن السنوات التي قبله من عهد الأسد الأب، وعلى هذا فقد تم الوصول إلى الرقم أعلاه من خلال المعدل السنوي مضروباً بالرقم 15 الذي يساوي سنوات المجال الزمني التي غطتها تلك الدراسة من عهد حافظ الأسد.

تفسير النتائج

لم يتجاوز عدد المتشيعين في المجال الزمني 1919-1970 ألف شخص كحد أقصى، أي أنه طول نصف قرن لم يكن بالإمكان الحديث عن ظاهرة تشيُّع، بقدر ما يمكن فيه الحديث عن تشيُّع فردي متباعد الزمان والمكان، ولعل هذا يرجع إلى سببين: أولهما أن الأقلية الشيعية السورية أقلية صغيرة جداً، تميل للانطواء والحفاظ على النفس في ظروف عرفت بقوة التيار الديني السني وتأثيره الكبير في الحياة العامة. وثانيهما أن فكرة عودة الفرع العلوي النصيري إلى أصله الشيعي لم تكن قد جذبت اهتمام المراجع الدينية، فبقيت نخبويةً، وبقي هذا التيار على اتصال محدود بالمراجع الشيعية الإيرانية والعراقية، وصلته ضعيفة بالشيعة السوريين، فضلاً عن ضعف الأقلية الشيعية السورية وهذا جعله تياراً ضعيفاً، يضم بعض الأفراد "الإصلاحيين" الذين يرغبوب بإخراج الطائفة من عزلتها عبر تشييعها.

غير أن التشيُّع في المجال الزمني 1970-1999 ــ كما تشير الأرقام ــ يدل على انتشار بالغ للتشيع، فقد بلغ المعدل السنوي لانتشار التشيع 1704 شخصاً في السنة، ينقسمون كالتالي: 232 سنياً في السنة، 1350 علوياً في السنة، 68 إسماعيلياً في السنة. ويرتفع معدل هذا الانتشار بشكل بالغ في الطائفة العلوية النصيرية.

إن تحول التشيع إلى ظاهرة يرجع إلى تشكُّل تيار شيعي في الطائفة العلوية النصيرية بدعم من حافظ الأسد الذي كان قريباً من أنصار هذا التيار، وإلى تدخل الملالي الإيرانيين العراقيين واللبنانيين في عملية التشييع في سورية، وإلى تزايد اهتمامهم بالطائفة العلوية ودفعها إلى اعتناق التشيع والخروج من الأفكار النصيرية المنشقة.

في حين يبدو أن ابتداء التشيع في الوسط الإسماعيلي بشكل قوي يوازي معدله في الوسط السني يعني أن تغييرات طرأت على الطائفة الاسماعيلية، بعضها يرجع إلى العمالة في لبنان، والبعض الآخر يرجع إلى نجاحات حزب الله في معاركه ضد الإسرائيلين في منتصف التسعينيات. أما التشيع داخل الوسط السني فيرجع أساساً إلى العمالة في لبنان ونشاط شبكة مبشرين مؤلفة من المتشيعة الجدد والشيعة السوريين، والملالي الإيرانيين ومؤسساتهم الثقافية، والمبشرين الموفدين من المراجع الشيعية (وخصوصاً الشيرازية) ومؤسساتهم، والتسهيلات الحكومية التي بدأت تظهر شيئاً فشيئاً مع تزايد دور بشار الأسد وتقوية نفوذه في منتصف التسعينات.

في عهد بشار الأسد تحول التشيع إلى "تشييع" الأمر الذي يعكس تزايد انتشار التشيع وتضاعف معدله عن عهد أبيه، فقد منح بشار الأسد المؤسسات الشيعية ونشاطاتها تسهيلات غير



معهودة من قبل، وهي تسهيلات تبدأ من المستوى الأمني وتنتهي بالمستوى السياسي والإداري، الأمر الذي أعطى التبشير دفعة لم تكن قط في السنوات السابقة.

غير أن الملاحظ هو أن تزايداً غير اعتيادي طرأ على نسب التشيع ضمن الوسط السُّني، فخلال ثمان سنوات فقط تشيع ما يزيد عن ضعف وثلث الضعف عن عدد الذين تشيعوا في ثلاثين سنة هي جملة عهد الأسد الأب! فقد بلغت معدلات التشيع في الوسط السني في عهد حافظ الأسد 1970-1999 حوالي 232 سنياً في السنة، وفي عهد بشار الأسد ضمن الفترة 1999-2007 كان معدل الانتشار 1005 سنياً سنوياً، أي أن المعدل السنوي تضاعف عن عهد الأسد الأب في 1970-1999 بما يعادل 4 مرات، وتضاعف بـــ51 مرة عن معدل ما قبل 1970.

كما أن انتشار التشيع جغرافياً تركز في عهد الأسد الأب في الساحل السوري بالدرجة الأولى 55%، وفي إدلب بالدرجة الثانية 15%، وحلب بالدرجة الثالثة 10%، لكنه انتقل بشكل دراماتيكي إلى الجزيرة السورية، التي قفزت فيها نسبة انتشار التشيّع في عهد بشار الأسد إلى 55% بعد أن كان في عهد الأسد الأب لا يتجاوز 6%! يعود هذا التحول إلى عدد من المعطيات تتعلق بالعمالة في لبنان، وانتشار الأمية، والعامل السياسي المتمثل في الرغبة الإيرانية في توسيع ولائها الاجتماعي وتجذير هلالها الشيعي في سورية السنية، فالمنطقة تعتبر بادية سورية تنتشر فيها القبائل، ولهذه القبائل امتدادها في العراق والسعودية والأردن، وبعض هذه القبائل تشيع قسمها العراقي، وبالإجمال فإن البادية المحاذية لشيعة العراق تمثل امتداداً جغرافياً لها، وهذا ما يجعلها مغرية جداً للراغبين في بسط الهلال الشيعي عبر سورية.

كما أن الروابط القَبَلية تساعد على الانتشار بشكل واسع خصوصاً مع شيوع الأمية بشكل واسع في المجتمع البدوي، وهو أمر يجعل للقبيلة سلطاناً يفوق سلطان العقل وأحياناً الدين، لقد اتُّبِعَت استراتيجة واضحة في تشييع القبائل من خلال ربطها بأصولها من آل البيت، خصوصاً وأن كثير من القبائل تدعي نسبتها لآل البيت، وقد تعدّى الأمر في بعض القبائل مثلاً (كقبيلة البكارة)[267] إلى

[267] تنقسم عشيرة البكارة إلى: العبيدات، المناصرة، هلامية، البومصعى، والحمد العابد، والبوعرب، والبوصالح، والبوحمدان ورفيع، والبومعيش، والبورحمة، والعبد الكريم، والبوشمس، وبكارة الجبل، وعشيرة البكارة في حلب، وتمتد هذه العشيرة على ضفاف نهر الفرات، من الجانب الأيسر (جزيرة) إلى نهر الخابور شرقاً إلى البصرة شرق محافظة دير الزور وغرباً إلى محافظة الرقة.



تأويل نسبها وربطه بالأئمة الاثني عشرية (الإمام الباقر مثلاً)[268]، ومحاولة تجذير المسألة تاريخياً بزعم أنّ الجزيرة شيعية تاريخيًا![269]

إن تصاعد المد الشيعي في عهد بشار الأسد يرجع أيضاً إلى معطيات جديدة في الاستراتيجية المتبعة للتّشيّع، فبالإضافة إلى استغلال الروابط القبلية والظروف الثقافية لمجتمع الجزيرة السورية فإن تدفق الدعم اللوجستي الإيراني (المالي والمعنوي) والحماية الأمنية لنظام الأسد كانا سنداً قوياً لهذا المد لِيُعتمد المال والسياسة كأساسين لانتشاره بسرعة أكبر بكثير من تلك التي كانت في العهد السابق.

ثانياً: حتى لا تخرج ثورة المحرومين من دمشق!

إذا كان معدل التشيع الآن هو 2785 في السنة منهم 1005 شخصاً سنياً، فعلى فرض استمرار هذا المعدل (والواقع أن انتشار الأديان كظواهر اجتماعية ينتقل عبر متواليات حسابية وليس عبر تزايد عددي تقليدي خصوصاً في ظل مجتمعات متماسكة اجتماعياً ما تزال الأسرة الممتدة تمثل أساس العلاقات الاجتماعية، وغالباً تتعداها إلى القبيلة) فإنه خلال عشرين سنة سيكون عدد المتشيعين السوريين حوالي 550000 ألف ولكن المجتمع السوري يكون وقتها قد تجاوز الثلاثين مليون، وحتى لو ضاعفنا هذا المعدل ثلاث مرات فإن عدد المتشيعة في سورية سيصل إلى مليونين خلال عشرين سنة!، وخمسمائة ألف خلال خمس سنوات، وهذا يعني أن خطر التغيير الديمغرافي في سورية غير وارد بعد في المدى المنظور من الولاية الثانية لبشار الأسد على الأقل.

---

[268] آل قطيط، **المتحولون**، م.س، مقابلة مع الشيخ "**حمد الوكاع**" انظر المقابلة على الرابط:
http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm

[269] يلخص نص المقابلة مع الشيخ "حمد الوكاع" (متشيع ديري منذ 1996) قناعات المتشيعة الجدد ومزاعمهم في مسألة القبائل كما يلي:

إن الرقعة الجغرافية الممتدة من الخابور إلى نهر الفرات كلها شيعية وممتدة حسباً ونسباً لأهل البيت، والدليل على ذلك الجميع يرددون عند أي حديث كلمة (الله وعلي)، وقبل "الاحتلال" العثماني كانت هذه المنطقة منطقة الجزيرة على مذهب أهل البيت، ولكن بعد الاحتلال العثماني عملت الدولة العثمانية على إخراج الشيوخ والعلماء الموجودين في المنطقة إلى عاصمتهم استنبول وأتوا بالملالي من قبل الدولة العثمانية، ووضعوا كل ملا، في قرية وأجبروا الناس على الاقتداء بهذا (الملا).

تاريخياً إن هذه المنطقة كانوا أهلها شيعة والتسمية لازالت موجودة في بعض القرى مثل قرية (زغير) نسبة للإمام علي الأصغر وقرية الحسينية وهذه كانت فيها حسينية باسم الإمام الحسين منذ مائة ونيف، وعين علي نسبة للإمام علي (عليه السلام) وقرية الكبر نسبة لعلي الأكبر ابن الإمام الحسين.

وقد أدخلت الدولة العثمانية على هذه القرى الطرق الصوفية، بدلاً من مذهب أل البيت (الشيعي)، واستخدم أهالي هذه المنطقة أناشيد تتعلق بأهل البيت والأئمة الإثني عشر، وهذه القصائد الشعبية تدل على أن الناس كانوا قديماً في دير الزور كلهم شيعة، وهذه القصائد دليل قاطع على ما ورثه الناس من تراث أهل البيت والمنطقة كلها شيعية تاريخياً. انظر: المصدر السابق نفسه.

لكن من المهم ملاحظة أن تركيز التبشير الشيعي في رقعتين جغرافيتين أساسيتين: الساحل السوري ومنطقة الجزيرة، وهاتين المنطقتين تَضُمّان الشريحتين الرئيستين من المجتمع السوري اللّتان اختير منهما عناصر المجندين والضباط في الجيش السوري والمخابرات الذين قاموا بالمجازر في مدينة حماة على وجه الخصوص وعموم المدن السورية في أحداث الثمانينات بشكل عام، وهو أمر له دلالته السياسية، إذ أنّ هذا يرشح أن تكون هاتين الشريحتن مؤهلتان للعب الدور الرئيس في حماية النظام والدفاع عنه، الشريحة الأولى في الساحل السوري لأسباب طائفية وامتيازات اجتماعية وخوف وجودي، والشريحة الثانية لانتشار الأمية والفقر فيها وسهولة إخضاع أفرادها للقوة وإجبارهم على ممارسات غير شرعية ضد الشعب. والآن يُضاف إلى ذلك عنصر جديد هو التغلغل الشيعي في القبائل، وحيث يعتبر عهد الأسد هو العهد الذهبي للتشيع في الجزيرة فإن مصالح المبشرين مرتبطة آلياً بوجود النظام.

وبالتالي فإن المتشيعين الجدد يمكن أن يكونوا عناصر محتملين لحماية النظام والدفاع عنه مع المتشيعة الجدد المنتشرين في كل أنحاء سورية.

هذا مع افتراض بقاء معدلات التشيع في حدود ما ذكر آنفاً، لكن ماذا لو تشيع زعماء القبائل؟ وهو أمر يجري العمل عليه بكثرة في الجزيرة، خصوصاً مع توارد إشاعات عن زيارات لبعض هؤلاء الزعماء للمرجعيات الدينية في إيران والعراق! ومن الواجب التذكر بأنه في المجتمع القبلي وحيث يعم الجهل والأمية فإن انتقال اعتناق زعيم القبيلة يعني انتشار التشيع في معظم القبيلة، فالناس هنالك تنقاد لقرارات زعمائها القبليين أكثر من رجال الدين.

الأقلية الصغيرة جداً لا تملك بطبيعة الحال طموحات سياسية بقدر ما تملك طموحات اجتماعية، لكن عندما تكبر فإنها بالتأكيد سيكون لها طموحاتها السياسية، فإذا حصل ما سبق ـــ وهو أمر وارد ـــ فإن معدلات التشيع ستكون مخيفة؛ إذ من الممكن أن تنتقل إلى معدلات كبيرة جداً قد تصل إلى عشرة أضعاف وهذا يجعل السيناريو مختلفاً، إذ ستصل أعداد المتشيعين خلال خمس سنوات إلى ما يزيد عن مليون متشيع! وهذا سيجعل الأقلية الشيعية بحجم الأقلية الكردية، وبما أن امتداد الشيعة الديمغرافي يتركز أساساً في العراق ولبنان، البلدين اللذين يمثلان الجزء الأهم من الهلال الشيعي، فإن المتشيعة السوريين قد يقومون بتشكيل أحزاب مناضلة تأثراً بأشقائهم في العقيدة (حزب الله، وفيلق بدر، وجيش المهدي) فإن حصل هذا فإنها ستكون بالتأكيد متأثرة بالميلشيات الشيعية المذكورة وكلها تعتبر أحزاب متشابهة من وجهة نظرها وولائها السياسي لإيران دون أوطانها.



الخطر قد لا يمكن هنا فحسب، فماذا لو أنه تم تشكيل حزب مناضل بمعونة رسمية من النظام السوري وبالاستعانة بخبرات حزب الله، ثم مُوِّه شكلياً بأشخاص من المجتمع السني وتم إطلاق يده على حدود الجولان، هل من الممكن أن يتكرر سيناريو حزب الله فيصبح حزب الله السوري متحكماً في القرار السوري الداخلي على سورية، كما يستولي نظيره حزب الله اللبناني على قرار لبنان ويعيق إرادة الأكثرية اللبنانية؟ سيصبح حينها النفوذ الإيراني حينها في سورية حقيقة أبدية بلا شك.

حتى لو تم الافتراض بأن هذا السيناريو غير محتمل، فمن الممكن التوقع أن يتحول المتشيعون الجدد إلى عناصر أمنية عند تعرض النظام لاحتجاج داخلي كما تحول عناصر حزب البعث في الثمانينات إلى عناصر أمنية. خصوصاً أن كثيراً من النخب السياسية وضباط الأمن العلويون منحازون بشكل كبير أو ينتمون للتيار الشيعي في الطائفة العلوية، أو قد يتحول هؤلاء إلى عناصر شغب تبث الفوضى في المجتمع السوري لصالح النظام.

لو بقيت معدلات التشيع على حالها، ولم تتضاعف أبداً ـــ وهو أمر غير محتمل في ظل الظروف الراهنة ـــ فإن دخول عنصر التشيع الإيراني والعراقي فضلاً عن الوجود الشيعي العراقي الراهن في سورية والذي يصل إلى قرابة 500 ألف شيعي وفي ظل دعم لوجستي إيراني وأمني سوري فمن المحتمل يتحول المتشيعون الجدد إلى اللعبة السياسية ويصبحوا إحدى الأدوات الجديدة للنظام في صراعه مع المعارضة الوطنية الديمقراطية، خصوصاً إذا أقر قانون الأحزاب.

أخيراً: حتى الآن وفي إطار المدى المنظور فإن خطر التغيير الديمغرافي في سورية بسبب التشيّع غير وارد، ولكن الخطر السياسي والأمني وارد بقوة، والخطر الأمني ليس على الشعب السوري فحسب بل على النظام نفسه، فالأقلية الشيعية موالية لإيران مولاة سياسية وعقائدية، وعندما تتغير المصالح مع إيران وتتبدل العلاقات فيما إذا تحقق السلام مع إسرائيل أو تحسَّنت العلاقات مع الأمريكيين؛ عندها يجب السؤال: ما هو الدور السياسي والأمني الذي يمكن أن تلعبه جماعة إيران في سورية؟ على الأسد أن يتذكر الحكمة الصينيّة التي تروي قصّة صينيّ لم يكن حكيماً، جاء بقطّة كي تأكل الفأر الذي يعيث ببيته، فاضطر إلى الإتيان بكلب يأكل القطّة، ثم بضبع يأكل الكلب، ثم بأسد أكل الضبع ولم يشبع، فانقضّ على صاحب البيت والتهمه.

ملحق – جدول الانتشار الشيعي في سورية

المحافظة	المدينة أو البلدة	اسم الناحية أو القرية	الحي	تاريخ ظهور أول حالة تشيع	أسباب ظهور التشيُّع	ملاحظات	عدد الشيعة وجنسيتهم	عد المتشيعين السوريين
محافظتي دمشق وريف دمشق	*	**السيدة زينب**	*	1975	الوافدون إلى جوار مقام السيدة زينب، وتأسيس الحوزة الشيرازية، واحتلال مقام السيدة زينب والجامع السني الذي يحضنه.	السكان الأصليون سنة متمسكون بسنيتهم ، ولايزالون كذلك إلى اليوم. ازداد الوجود الشيعي العراقي بكثرة ملفتة للنظر بعد حرب الخليج الثانية وحصار العراق	قرابة 100 ألف معظمهم لاجئون عراقيون وتوجد أقليات لبنانية وخليجية	لا يوجد
	*	**بيت سوا**	*	الربع الأخير من عقد التسعينات	الامتداد السكني الوافدين وطلبة الحوزات الأجانب	سكان البلدة سنة، وربما ظهرت فيهم بعض حالات التشيع لكنها قليلة.	بضعة آلاف	أقل من 300
	دمشق	*	**السويقة**		تشيع بعض الأهالي والنزوح العراقي			أقل من 100
	دمشق	*	**الشاغور**	بعد 2003	تشيع بعض الأهالي والنزوح العراقي	سكان الحي سنة متمسكون بسنيتهم، الحي متصل بحي الأمين الشيعي	أقل من مائة	أقل من مائة
	داريا	*	**البلدية**	2000	اختراع مقام للسيدة سكينة بنت الحسين	وفود شيعة أجانب (عراقيين وإيرانيين ولبنانيين) لرعاية المقام	أقل من 25 فرد معظمهم من العراقيين	لا يوجد
	دوما	*	*	مطلع الثمانينات	جمعية المرتضى	دوما المدينة السورية الوحيدة التي تتبع المذهب الحنبلي الذي يركز على العقائد السنية، وتنتشر فيها السلفية بشكل واضح.	أقل من 50 فرد	أقل من 50 فرد
	*	**عربين**	*	بعد 2000	غير متوفر	أقلية شيعية	غير متوفر	أقل من 100
	دمشق	*	**الأمين**	قديم			أقل من عشرة الآلاف	لا يوجد
	دمشق	*	**الجورة**	قديم			أقل من خمسة عشر ألفاً	لا يوجد
	دمشق	*	**زين العابدين**	قديم			أقل من عشرة آلاف	لا يوجد
	*	**الضمير**	*	1986	تشيع أحد أبنائها "**محمد يوسف قجمي**"	تأثراً بعبد الحميد المهاجر	أقل من 10 أفراد	أقل من 50 أفراد
	*	**عدرا**	*	نهاية التسعينات	احتلال مقام "**الحجر بن عدي**"	السكان الأصليون مازلوا مسلمون سنة، و لم يذكر حالات تشيع بينهم		غير متوفر

	دمشق	*	**عمارة جوانية**	منتصف الثمانينات	احتلال مقام **"السيدة رقية"**	احتله حسن الشيرازي، وأصبح مزاراً وأقيم فيه جمعية وفرع لـــ"جامعة العلوم الإسلامية" بلندن" لكن لا يوجد في سكان الحي أي حالة تشيع، ولكن يجاوره بعض التجار من الشيعة الدمشقيين الأصليين.	100 شخص إيرانيي وعراقي وبعض شيعة الشوام.	لا يوجد
	*	**ببيلا**	*	النصف الثاني من التسعينيات	امتداد الوجود الشيعي في السيدة زينب، لاجئون عراقيون	غير متوفر	بضعة آلاف	أقل من 300
	*	**الحُجِّيرة**	*	نهاية التسعينيات	امتداد الوجود الشيعي في السيدة زينب، لاجئون عراقيون	غير متوفر	بضعة آلاف	
	*	**سيدي مقداد**	*	نهاية التسعينيات	امتداد الوجود الشيعي في السيدة زينب، لاجئون عراقيون	غير متوفر	بضعة آلاف	
	*	*	**الحجر الأسود**	بعد 2003	امتداد الوجود الشيعي في السيدة زينب، لاجئون عراقيون	غير متوفر	بضعة آلاف	
	*	*	**الدويلعة**	بعد 2003	لاجئون عراقيون بعد الاحتلال	لايوجد تشيع بين السكان	بضعة آلاف	لا يوجد
	*	*	**الزاهرة**	بعد 2003	لاجئون عراقيون بعد الاحتلال	لايوجد تشيع بين السكان	بضعة آلاف	لا يوجد
	*	*	**جرمانا**	بعد 2003	لاجئون عراقيون بعد الاحتلال	لايوجد تشيع بين السكان	بضعة آلاف	لا يوجد
	*	*	**مساكن برزة**	بعد 2003	لاجئون عراقيون بعد الاحتلال	لا يوجد تشيع بين السكان	بضعة آلاف	لا يوجد
	*	**التل**	*	نهاية التسعينات	العمالة في لبنان		أقل من 50 فرد	أقل من 50 فرد
	دوما	**راوية**	*	قديم				
محافظة حلب								
	حلب	*	**حي الشهباء الراقي**	بعد 2001	مركز ثقافي إيراني قريب جداً من السكن الجامعي	يعتمد التأثير في طلبة الجامعة عبر تقديم خدمات مجانية وإغراءات مادية	أقل من 100	أقل من 50
	حلب	*	**جب الجلبي** أو جبل **"شيخ محسِّن"**	قديم	وجود "مشهد النقطة" التاريخي و"جمعية الإعمار والإحسان الإسلامية الجعفرية"	وجود بعض القائمين عليه من الشيعة من ريف حلب مثل (نبل والزهراء)	أقل من 50 شخصاً	أقل 50 شخصاً
	حلب	*	**الخالدية**	مطلع التسعينات	تشيع بعض الأفراد بسبب العمالة في لبنان	سكان الخالدية هم فقراء وافدون من الريف الشمالي الغربي لمدينة حلب	أقل من 100 شخص	أقل من 100 شخص

	حلب	*	**الجزماتي**	منتصف العقد الأول من الألفية الثانية	تشيع بعض الأفراد بسبب العمالة في لبنان وانتساب البعض لعشيرة البكارة التي بدأ يتم فيها التبشير بشكل مكثف في العقد الأخير	سكان الجزماتي هم فقراء وافدون من الريف الشمالي الشرقي لمدينة حلب	أقل من 50 شخصاً	أقل من 50 شخصاً
		البلليرمون	*	منتصف الثمانينات	تشيع بعض الأفراد تأثراً بالثورة الإيرانية	بعض الأفراد	أقل من 50 فرداً	أقل من 50 فرداً
		بزاعة	*	1968	العمل في لبنان	تشيع الشاعر "سمعو عبد الكريم الدرويش"	أقل من 20 أفراد	أقل من 20 أفراد
	منبج	*	*		قناعات دينية	تشيع بعض الأفراد	أقل من 50 فرداً	أقل من 50 فرداً
	*	**ديرجمال**	*	الثمانينيات	تشيع بعض الأفراد بتأثير التبشير من أهلي نبل والزهراء	أقلية صغيرة	أقل من 100	أقل من 100
	*	**الخفسة**	*	نهاية التسعينات	تشيع بعض الأفراد لقناعات دينية	أقلية صغيرة جداً	أقل من 50 فرداً	أقل من 50 فرداً
	*	**الزهراء**	*	قبل 1970	تشيَّعَ معظم أهالي القرية بتأثير تبشير "قريـــة نُبُل" والقرابات الناشئة بين أهالي القريتين	لا يوجد معلومات كافية، غير تغيير اسم القرية في نهاية السبعينيات بناء على نصيحة حسن الشيرازي	5-7 آلاف نسمة	غير متوفر
	*	**نُبُل**	*	قبل 1970	غير متوفر	أهالي القرية شيعة أصليون	10 – 12 ألف نسمة	لا يوجد
	*	**المنصورة**	*	التسعينات	تشيع بعض الأفراد تأثراً بتبشير شيعة نبُل	أقلية صغيرة	أقل من 150	أقل من 150
	*	**المالكية**	*	بعد 2000	غير متوفر	أقلية صغيرة جداً	أقل من 25	أقل من 25
	*	**النيرب**	*	بعد 2004	غير متوفر	أقلية صغيرة جداً	أقل من 20	أقل من 20
	*	**خان العسل**	*	التسعينات	تشيع بعض الأفراد تأثراً بتبشير شيعة نبُل	أقلية صغيرة	أقل من 500 فرد	أقل من 500 فرد
	*	**جارز**	*	بعد منتصف التسعينيات (غير محدد)	غير معروف	أقلية صغيرة	أقل من 200 شخص	أقل من 200 شخص
	*	**صوران**	**العذيَّة**	نهاية التسعينات	تشيع بعض الأفراد بسبب العمالة في لبنان	يتزعم حركة التبشير الشيعي معتقل إسلامي سابق	أقل من 15 شخصاً	أقل من 15 شخصاً
	*	**كفر داعل**	*	السبعينات	تشيع بعض الأفراد	أقلية صغيرة جداً	أقل من 100	أقل من 100
	*	**مسكنة**	*	نهاية التسعينات		بعض الأفراد	أقل من 20 أفراد	أقل من 20 أفراد
	الباب	*	*	2007	التبشير الشيعي والإغراء المالي	الباب تعتبر من المدن السنية المحافظة جداً	أقل من 15 فرداً	أقل من 15 فرداً





	عين العرب	*	*	بعد 2003	غير معروف	أول حالة تشيع لأحد طلبة الدراسات الأسلامية	أقل من 20 فراد	أقل من 20 فراد
محافظة درعا								
	درعا	*	حي المطار	مطلع الثمانينات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب	وفود العراقيين منذ نهاية التسعينات وبناء مؤسسات دينية	أقل من 5000	أقل من 200
	*	قرفة	*	مطلع الثمانينات	جمعية المرتضى	نشطاط عضو الجمعية المنحلة "**زيدان غزالي**" في بداية التسعينات بالتبشير والتحقت به عائلته وأقربائه تشيع بعض الأهالي.	غير متوفر	
	*	الصنمين	*		أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب	لا يوجد حالات تشيُّع واضحة بين الأهالي.	أقل من 100 فرد	أقل من 150 فرداً
	*	بصرى الشام	*	مطلع الثمانينات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب	لا يوجد حالات تشيُّع واضحة بين الأهالي	أقل من 1000	
	*	الحراك	*	نهاية التسعينات	العمالة في لبنان		أقل من 25 فرداً	أقل من 25 فرداً
	*	المزيريب	*	مطلع الثمانينات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب	لا يوجد حالات تشيُّع واضحة بين الأهالي	أقل من 500 فرد	أقل من 25
	*	المليحة	*	مطلع الثمانينات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب	تشيع بعض الأهالي بسبب إغراءات مالية	أقل من 1000	أقل من 500
	*	الشيخ مسكين	*	مطلع الثمانينات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب	غير متوفر	غير متوفر	أقل من 50
	*	نوى	*	مطلع الثمانينات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب	لا يوجد حالات تشيُّع بين الأهالي	أقل من 200	لا يوجد متشيعين
	*	الكسوة	*	مطلع الثمانينات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب	لا يوجد حالات تشيُّع بين الأهالي	غير متوفر	لا يوجد متشيعين
	*	طفس	*				أقل من 50	أقل من 50

	*	الصورة الصغيرة	*	بعد 2003	مصطفى الحريري متشيع متأثر بزيدان الغزالي		أقل من 50	أقل من 50
محافظة إدلب	إدلب		جامع الروضة	2005	كلية الدرسات الإسلامية (غير مرخصة)، فرع افتتحه بعض المتشيعين السوريين من مدينة حلب وبعض شيعة قرى إدلب بدعم خارجي	يوجد حالات تشيُّع بين الطلاب من سنة إدلب وريفها	أقل من 100	أقل من 50
	*	حارم	*	نهاية التسعينات	غير متوفر	غير متوفر	غير متوفر	أقل من 50
	*	معرة مصرين	حي واحد في البلدة	الثمانينات		بتأثير تبشير شيعة الفوعة	أقل من 500	أقل من 500
	*	زرزور	*	1945	تشيع أحد أبنائها "محمد الغفري"	تبشير الشيخ محمد الأنطاكي	أقل من 2000	أقل من 2000
	*	كورين	*	التسعينات	تأثراً بتبشير متشيعي قريتي زرزور والفوعة	أقلية متشيعة	أقل من 50	أقل من 50
	*	عامود	*	التسعينات	تأثراً بتبشير متشيعي قرية زرزور	أقلية متشيعة	أقل من 50	أقل من 50
	*	خربية	*	غير متوفر	تأثراً بتبشير متشيعي قرية زرزور	أقلية متشيعة	أقل من 50	أقل من 50
	*	دركوش	*	التسعينات	تأثراً بتبشير متشيعي قرية زرزور	أقلية متشيعة	أقل من 100	أقل من 100
	*	الملند	*	غير متوفر	تأثراً بتبشير متشيعي قرية زرزور	أقلية متشيعة	أقل من 50	أقل من 50
	*	الجانودية	*	التسعينات	تأثراً بتبشير متشيعي قرية زرزور	أقلية متشيعة	أقل من 50	أقل من 50
	*	الدريَّة	*	غير متوفر	تأثراً بتبشير متشيعي قرية زرزور	أقلية متشيعة	أقل من 50	أقل من 50
	*	بِنِّش	*	بعد 1980	تأثراً بتبشير شيعة الفوعة	أقلية متشيعة	أقل من 200	أقل من 200
	*	الفوعة	*	قبل 1970	غير معروف	كل سكانها شيعة الآن	أقل من عشرة آلاف نسمة	لا يوجد
	*	كفريا	*	التسعينات	غير معروف	أقلية متشيعة	أقل من 100	أقل من 100
محافظة دير الزور	دير الزور	*	*	التسعينات	تبشير متشيعة حطلة	أقلية صغيرة متشيعة	أقل من 100	أقل من 100
	*	حطلة	*	1977	تشيع أحد أبناء القرية تأثراً بأفراد من شيعة "قرية الفوعة" في محافظة إدلب، ثم جمعية المرتضى	بدأ ينتشر التشيع فيها منذ 1995	أقلية شيعية كبيرة تعدداها أقل من 1500 عشر مساجد وسبع حسينيات ومغتسل مرتبطة	أقل من 1500

							بالحوزة الزينبية، إذا يمثل **محمد الشيرازي** المرجع الديني لهم	
	*	**خشام**	*	نهاية التسعينات ومطلع الألفية الثانية	امتداد لتبشير متشيعة حطلة	أقليات صغيرة متشيعة	امتداد لتبشير متشيعة حطلة	أقل من 3000 آلاف
	*	**البصيرة**	*					
	*	**الكسرة**	*					
	*	**الكبر**	*					
	*	**الصعوة**	*					
	*	**الصغير**	*					
	*	**جديد عكيدات**	*					
	*	**جديد بكارة**	*					
	*	**البوحميد**	*					
	*	**حلبية**	*					
	*	**موح حسن**	*					
	*	**الشميطية**	*					
	*	**جزرة**	*					
	*	**زغير جزيرة**	*	بعد 1987	تشيع أحد أفرادها تأثراً بحسين الرجا من قرية حطلة	التشييع عبر نسب القبيلة	أقل من 100 فرد	أقل من 100 فرد
	*	**حويجة صقر**	*	بعد 2003	بناء بعض أهالي حطلة مسجد "علي الهادي" الشيعي بغرض التبشير	أقفل المسجد بسبب عدم وجود مصلين ولا مؤمنين	أقل من خمسة أشخاص	أقل من خمسة أشخاص
	*	**أبو خشب**	*	بعد 2000	تأثير تبشير متشيعة حطلة	أقلية متشيعة	أقل من 20	أقل من 20
	الصور	*	*	بعد 2000	تأثير تبشير متشيعة حطلة	أقلية متشيعة	أقل من 100	أقل من 100
	*	**غرانيج**	*	بعد 2000	تأثير تبشير متشيعة حطلة	أقلية متشيعة	أقل من 100	أقل من 100
	*	**محقان**	*	بعد 2000	تأثير تبشير متشيعة حطلة	أقلية متشيعة	أقل من 50	أقل من 50
	البوكمال	*	*	بعد 2002	أسباب غير معروفة	أول حالة تشييع كان لطالب دراسات إسلامية في الدراسات و لم يذكر حالات تشيع أخرى	أقل من خمسة افراد	أقل من خمسة افراد
محافظة الرقة								
	الرقة	*	شارع المنصور	2001-2007	تشييد حسينية	أقلية متشيعة معظمها وافد من ريف المدينة	أقل من 100	أقل من 100

	الرقة	*	باب بغداد	1988	تشييد مقام عمار بن ياسر بالاشتراك مع الحكومة الإيرانية وهجرة عائلة متشيعة من قرى إدلب.	بدأت حركة تبشير شيعية في النصف الثاني من التسعينات. افتتح المقام رسمياً عام 2004	أقل من 200 شخص	أقل من 200 شخص
	*	مزرعة حطّين	*	1992	عبد المجيد الأحمد السراوي تأثراً بيبشير متشيعي حطلة		أقل من 200 فرد	أقل من 200 فرد
	*	تل أبيض	*	بعد 2000	تأثراً بتبشير بعض متشيعي قرية "حويجة صقر"		أقل من 50 فرد	أقل من 50 فرد
	*	حويجة صقر	*	التسعينات	تأثراً بتبشير بعض متشيعي قرية "حطلة"	أقلية متشيعة	أقل من 100	أقل من 100
	*	شلبية	*	غير معروف	تأثراً بتبشير بعض متشيعي قرية "حطلة"	عائلة القفاف	أقل من 200	أقل من 200
	*	جزرا	*	غير معروف	تأثراً بتبشير بعض متشيعي قرية "حطلة"	أقلية متشيعة	أقل من 50	أقل من 50
	الثورة (الطبقة)	*	*	بعد 2003	بعض المتشيعة بتأثير كلية "الدعوة والاجتهاد" في مدينة الثورة .		أقل من 300	أقل من 300
محافظة الحسكة	الحسكة	*	النشوة					
	*	تل الشدادي	*					
	*	تل تمر	*					
	*	تل ورد	*					
	*	القصر	*					أقل من 1500 شخص
	*	الداوودية	*					
	*	زين المبرك	*					
	*	عامودا	*					
	*	الجبسة	*					
	القامشلي	*	طريق الحسكة إلى حي الهلالية					
محافظــة حمص	حمص	*	البيّاضة	غير متوفر	مهاجرون شيعة من ريف حمص	بينهم لاجئون عراقيون بعد الاحتلال	أقل من 300	أقل من 300
	*	أم العمد	*	قديم		نسبتهم لسكان القرية غير متوفرة	غير معروف	غير متوفر
	*	الحميدية	*	قديم		نسبتهم لسكان القرية غير متوفرة	غير معروف	غير متوفر
	*	شنشار	*	غير متوفر		أقلية نسبتها إلى عدد السكان القرية غير متوفرة	غير متوفر	غير متوفر
	*	الجابرية	*	غير متوفر		أقلية نسبتها إلى عدد السكان القرية غير متوفرة	غير متوفر	غير متوفر
	*	رسم العبد	*	غير متوفر		أ أقلية نسبتها إلى عدد السكان القرية غير متوفرة	غير متوفر	غير متوفر

	*	**فيروزة**	*	غير متوفر		أقلية نسبتها إلى عدد السكان القرية غير متوفرة	غير متوفر	غير متوفر
	*	**معروف**	*	منتصف السبعينات		أقلية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي	غير متوفر	غير متوفر
	*	**العزيزية**	*	غير متوفر		أقلية نسبتها إلى عدد السكان القرية غير متوفرة	غير متوفر	غير متوفر
	الرستن	*	*	بين عامي 1950-1972		أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	أقل من 200 فرد	أقل من 200 فرد
محافظـــة حماة								
	*	**السلمية**	*		غير متوفر	إسماعيلية متشيعة	غير متوفر	غير متوفر
	*	**مصياف**	*	2000	غير متوفر	تقطن فيها أقلية وافدة من ريف مصياف من تيار "عودة الفرع إلى أصل" التيار الشيعي في الطائفة العلوية، والطائفة الاسماعيلة، والمسلمين السنة	أقل من 2500 شخص	أقل من 2500 شخص
	*	**عقارب**	*	بعد عام 2000	غير متوفر	متشيعة إسماعيليين	غير متوفر	غير متوفر
	*	**جبل زين العابدين**	*	بعد عام 2003	مزاعم تاريخية حول "طريق السبايا" من صفين إلى دمشق	لايوجد سكان، بنيت فيه بعض المباني للإقامة المؤقتة والزيارة	أقل من 50	أقل من 50
الساحل السوري (محافظتي اللاذقية وطرطوس)								
	اللاذقية	*	**حي الزراعة**	بعد عام 2000	إنشاء مركز ثقافي كبير		50 موظف شيعي سورية وعراقي ولبناني وإيراني	أقل من 400
	اللاذقية	*	**الزرقانية**	1978		أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع) بمعونة **حسن الشيرازي**	غير متوفر	أقل من 5000
	اللاذقية	*	**حي قنينص**	بعد 2000	التبشير الشيعي الإيراني العراقي في مدينة اللاذقية	أقلية سنية متشيعة ، حي فقير غالب أهله من التركمان السنة	أقل من 200	أقل من 200
	اللاذقية	*	**الرمل الفلسطيني**	بعد 2000	غير متوفر	أقلية سنية متشيعة، حي فقير	أقل من 100	أقل من 100
	طرطوس	*		بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	جبلة	*	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	صافيتا	*	*	بعد 1920	الإحياء الديني	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر





القرداحة	*	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	تلا	*	بين عامي 1950-1972		أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
الحفة	*	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
بانياس	*	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	حلبكو	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	المشرَّفة	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	كرم غيزل	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	الدالية	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	حمين	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	حرصون	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	عين التينة	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	الدبدابة	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	المقرمدة	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر





*	كفرفو	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	أبو قبيس	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
الدريكيش	*	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	الشبطلية	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	بكسا	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	تلة	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	مشقيتا	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	جيبول	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	بيت الشيخ ديب	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	الطليعي	*	مطلع القرن العشرين	الإحياء الديني	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	ضهر بشير	*	مطلع القرن العشرين	الإحياء الديني	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	بحنين	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
*	الجبيلية	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر




	*	بشرائيل	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	*	الشامية	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	*	بيت الشيخ يونس	*	ستينيات القرن التاسع عشر 1860م	الإحياء الديني، وبني أول مسجد لتيار "عودة الفرع إلى أصله الشيعي" في جبال العلويين	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	*	بيت نافلة	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	*	حكر	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	*	البلاطة	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	*	أوبين	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	*	بعمرة	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	*	سمت قبلة	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	*	القدموس	*			أقلية إسماعيلية متشيعة	غير متوفر	غير متوفر
	*	نهر الخوابي	*			أقلية إسماعيلية متشيعة	غير متوفر	غير متوفر
	*	دم سرخوب	*	بين عامي 1950-1972	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي وجمعية المرتضى	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر